حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حديث الأحداث

خالد أبو الفتوح

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أمريكا.. من أنتِ؟

١- ندوة لمحاولة فهم أمريكا.

٢- التحالف الأسود.

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاح

في خضم الأحداث وتتابعها، ووسط سيل الأخبار والتحليلات، يحار المرء في تفسير بعض الظواهر والجزئيات، وفي معرفة اتجاه الحدث وأبعاده، وتزداد الحيرة بتداخل التوجهات والانتماءات والأغراض وتأثيرها على الموضوعية والصدق في التحليل.

ومع إدراك صعوبة ـ أو استحالة ـ تجرد أي كاتب أو محلل ـ كلية ـ عن تأثير بيئته التي نشأ فيها، وثقافته التي نمت فيه، وميوله، وقدراته، ومعتقداته، ووجدانه..

ومع التأكيد على أهمية عدم المصادرة لآراء الآخرين، وخاصة في أمور تقبل تعدد الرؤى والاجتهادات ووجهات النظر، كالنظر في الأحداث وتحليلها وفقهها.. تجيء مادة هذا الكتاب: محاولة لفهم الواقع وتحليل الأحداث التي بدأت بتفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م واستمرت ـ وما زالت ـ حتى احتلال العراق، وقد حرص كاتبها ـ قدر استطاعته ـ على أن يكون هذا الفهم والتحليل وفق رؤية شاملة، تربط الجزئيات، وتردها إلى جذورها، مرتكزًا على قاعدة واسعة من المعلومات والبراهين، مع إيضاح لجوانب أخرى غير متعلقة بالحدث بشكل مباشر وإن كانت تساعد في فهمه وتكوين خلفية عن منطلقاته.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

لقد ترددت كثيراً في نشر هذا الكتاب ـ رغم إلحاح بعض أصدقائي عليَّ لنشره ـ، وذلك لأن مادة هذا الكتاب سبق نشرها ـ في مجلة البيان ـ، وكنت ـ وما زلت ـ أرىٰ أن أسلوب الكتابة للصحف والمجلات يختلف عن أسلوب كتابة الكتب، وكنت ـ وما زالت ـ أرىٰ أن أحداثًا كهذه تحتاج إلىٰ مزيد عناية عندما تخرج في كتاب، خاصة وأنه يمكن إعادة النظر في الأفكار والمادة بمزيد إثراء وتوثيق وتحليل؛ فالأحداث غنية، والأيام حُبلىٰ!.

ظلت هذه الاعتبارات مسيطرة عليَّ مدة من الزمن، حتىٰ ذكر لي أحد هؤلاء الأصدقاء قولاً عن الأستاذ مجدي أحمد حسين (جعله الله ذخراً للإسلام)يلوم فيه (مثالية) بعض الكُتاب الإسلاميين، قائلاً: أنتم أيها الإسلاميون يسيطر عليكم هاجس تحسين (الطبخة) وإنضاجها وإخراجها علىٰ الكمال إلىٰ أن يموت الجائع من الجوع.. طبخة نصف مطهية خير من الموت من الجوع!.

ومع اعتقادي أننا نحتاج لتأسيس بنيان فكري تكون فيه (الأنيميا) وسوء التغذية خطراً في المستقبل، إلا إنني وجدت في الكلام وجاهة، خاصة في زمن (المجاعات الثقافية)، وفي وقت تباع فيه (الوجبات) الفاسدة والمسمومة علىٰ الأرصفة وتنتشر عبر الأثير.. وهذا ما شجعني علىٰ إعادة النظر في المقالات المستهدفة ـ وتبلغ تسع مقالات بعضها نشر علىٰ حلقتين ـ وتنقيحها، وتصحيحها، وترتيبها، في أربعة فصول، يضم كل فصل المقالات المتناسبة موضوعيًا بغض النظر عن تاريخ نشرها، لتخرج علىٰ الوجه الذي بين يديك، بعنوان: (**حديث الأحداث**).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ثم تداعت لي فكرة أخرى، وهي: لماذا لا يكون (حديث الأحداث) مستمرًا ومقصودًا ومستقلاً، بغض النظر عن النشر في المجلات والصحف، أو طبيعة الحدث، أو حجمه، فما دام الحدث مهمًا ـ سواء أكان سياسيًا أم فكريًا أم اجتماعيًا.. ـ فإنه يستحق إفراد (حديث أحداث) له، والتعمق فيه، وتناول جوانبه، واستكشاف آفاقه..

ولكن تظل هذه الفكرة مجرد فكرة، يتوقف إخراجها إلى حيز الواقع على مدى استجابة القراء مع (حديث الأحداث) وتفاعلهم معه...

ومع انتظار ردود الأفعال والتصويبات والمقترحات من قارئي الكريم، أتمنى أن يوجد في هذا الكتاب ما يغني من جوع إن لم يكن فيه ما يسمن فكريًا..

خالد أبو الفتوح

abulfutoh@hotmail.com

❑❑❑

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أمريكا.. من أنتِ؟

١- ندوة لمحاولة فهم أمريكا.

٢- التحالف الأسود.

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ندوة لمحاولة فهم أمريكا(*)

لا شك أنه عنوان فضفاض، فأمريكا دولة مترامية الأطراف، ليس جغرافيًا فقط، ولكن أيضًا عرقيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا، صحيح أن (العمق) التاريخي لهذا الترامي محدود قياسًا إلى الأمم الأخرى، ولكن تعقيد الحالة الأمريكية وتشابك الخطوط داخلها يجعل من غير الممكن الزعم أنه من السهل (فهم أمريكا) جيدًا من خلال ندوة أو مقال أو حتى كتاب واحد، إذن: فهي محاولة لفهم بعض جوانب أو دوافع أمريكا التي قد تهمنا أو تمسنا بشكل أو بآخر، إنها محاولة لإلقاء (نظرة) على ذلك الترامي.

كما أن (الفهم) ليس بمستوى واحد، ولكننا هنا نحاول ـ قدر الطاقة ـ اكتشاف (بعض مفاتيح) حل شيفرة هذه الحالة المزمنة.

ليس ما سبق وحده وجه الغرابة في العنوان!؛ فقد اعتاد القارئ ـ ومعه الحق ـ أن تكون الندوة محاورات ومداخلات بين أكثر من شخص من ذوي التخصص في موضوع الندوة بإدارة مضيف الندوة لتسليط الضوء على أكثر من جانب وبأكثر من وجهة نظر حول الموضوع. ندوتنا هذه ليست كذلك، صحيح أن المضيف الذي يديرها واحد، ولكن ليس هناك أشخاص، بل كتب، يحاول المضيف

(*) ١٠/ ١٤٢٢هـ - ١/ ٢٠٠٢م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أن يستنطقها، يستخرج منها، يحاورها، يسكتها، يتفهمها، يضغط عليها.. تمامًا مثلما يُفعل مع الأشخاص، للحصول على أكبر قدر ممكن من الإيضاح لجوانب الموضوع الذي يدور حوله النقاش، خدمة للقارئ.

ولكن القارئ ليس طرفًا سلبيًا يقتصر دوره على التلقي ـ هكذا يتخيل المضيف (الكاتب)! ـ بل إنه يشاركنا أيضًا هذه الندوة التي سيكون الذهن الناشط مكان عقدها، يمكن لهذا القارئ أن يعترض، وأن يضيف، وأن يتساءل، ثم يجيب، يمكن له أن يقيس، وأن يكمل... ستبقى في دائرة هذه الندوة أقواس ناقصة، على القارئ أن يكملها.. لن يصل إلى ذلك إلا عندما تكون له نظرة كلية فوقية.

* * *

نرحب بضيوفنا جميعًا!، الذين سنعرِّف بهم واحدًا واحدًا عند بداية كلام كل واحد منهم، كما نود أن نلفت نظر قارئينا الكرام إلى أن كلام ضيوفنا سيكون محصورًا بين علامتي تنصيص «..»، ومذيلاً بمكان صدوره بين قوسين هلاليين (..).

من أين نبدأ الحوار؟! من الماضي أم من الحاضر؟ من العسكرة الطاغية التي تظهر لكل ذي عينين، أم من الاقتصاد المتذبذب، أم من الانحلال والجريمة؟، من البعد الديني أم من النظام العالمي الجديد؟

طليعة[1]: دعني أوفر عليك الحيرة وأشرح لك جذور ما تراه

(١) كتاب: أمريكا طليعة الانحطاط، تأليف: روجيه جارودي، ترجمة: عمرو زهيري، طبعة دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

غامضًا أو غير مترابط: من المعروف أن كل سكان أمريكا مهاجرون «جاء سكان أمريكا (أي المستوطنون الأوروبيون) بحثًا عن العمل وكسب المال أساسًا. ومع اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم، بين أيرلنديين وإيطاليين وغير ذلك من أجناس وجنسيات مختلفة، كانت الرابطة الوحيدة التي ربطتهم جميعًا هي ذلك الخيط الرفيع المشابه لما يربط العاملين في المؤسسة أو الشركة التجارية، وأصبحت الولايات المتحدة هي منظومة الإنتاج التي يقودها المنطق التكنولوجي والتجاري، والتي يشارك فيها كل فرد منتجًا أو مستهلكًا، في غاية وحيدة هي تنمية مستوى المعيشة كميًا.

وهكذا كانت كل هوية ـ ثقافية أو روحية أو دينية ـ تعتبر مسألة شخصية، فردية تمامًا، لا تتداخل مع مسيرة النظام، ومن مثل هذه الهياكل الاجتماعية أصبح الإيمان عديم الأهمية، وعند الأغلبية العظمى لهذا الشعب فقد مات الإله؛ لأن الإنسان انقطع عن كل ما هو مقدس، وبخاصة هذا الدأب في البحث عن معنى الحياة الذي يقود بالتبعية إلى الإيمان بالله.

واتسع المجال بذلك أمام تفشي الخرافات وانتشار الطوائف والهروب إلى المخدرات أو الشاشة الصغيرة، بينما غطى كل ذلك صبغة تدعي الدينية وهي «البيوريتانية» الرسمية أو التطهرية الرسمية، التي تتعايش مع كل أنواع انعدام المساواة وكل المذابح والجرائم، بل وتمدها بالتبرير والغطاء الديني!» (ص ٤٧، ٤٨).

المضيف: لقد ازددت حيرة!، ولكن أين ذهب السكان الأصليون؟

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

طليعة: سؤالك يضع أيدينا على كيفية تشكل علاقة أمريكا بالآخر «كانت العلاقة مع الآخرين ـ أيضًا ـ ذات طبيعة خاصة، بدأت أولاً بطرد الهنود للاستيلاء على أراضيهم ووضعهم بين خيارين: إما الإبادة، وإما النفي والانسحاب إلى المعازل. وبعد ذلك كانت العلاقة بين البيض أنفسهم، خاضعة لأحكام قانون الغاب، لنهب الثروات المسروقة من الهنود، أرضًا كانت أم ذهبًا. . .

وهكذا أصبح العنف الأكثر دموية، والتحريض عليه بنفاق المتدينين، ملمحًا دائمًا في تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها، فلقد قدم المتطهرون [البيوريتانيون] من الإنجليز الأوائل إلى الولايات المتحدة، حاملين معهم العقيدة الأكثر دموية في تاريخ البشرية، ومسلحين بفكرة: «الشعب المختار»، مقننين فكرة الإبادة، وكأنها حسب روايتهم أوامر إلهية، كانوا يسرقون أراضي الأهالي الأصليين طبقًا لتعاليم يهوا «إله الحرب» في «العهد القديم»، هذا الإله الذي أمر «شعبه المختار» بإبادة وذبح السكان القدامى في أرض كنعان واغتصاب أرضهم» (ص ٤٩).

سقوط[١]: اسمحوا لي أن أضيف بعدًا آخر في الموضوع، بعدًا

(١) كتاب: بعد الشيوعية سقوط الرأسمالية، تأليف الكاتب الأمريكي: د. رافي بترا، ترجمة وتقديم: د. رجب بودبوسي، طبعة الدار الجماهيرية، مصراته، سنة ١٩٩٧م، والكتاب الأصلي ظهر عام ١٩٧٨م، قبل سقوط الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية الشيوعية، وقد تصرفت تصرفًا يسيرًا في الأسلوب بما يتوافق مع روح اللغة العربية وقواعدها ويبتعد عن أسلوب الترجمة الحرفية (اللفظية) السائدة في النص المترجم.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فلسفيًا اجتماعيًا، فبحسب نظرية ساركار[١] ودورته في التغيير الاجتماعي القائمة على تصنيف أنماط الإنسان العقلية وطباعهم (الفردية والجماعية) إلى أربعة أصناف: الشغيلة (الجاموس)، والمقاتلين (النمور)، والمثقفين (الثعالب)، والجمّاعين (الفئران).

طبقًا لهذه النظرية فإن «تاريخ الولايات المتحدة يمثل تعقيدات قليلة، إذ من السهل ملاحظة أنه منذ تدفق المهاجرين الأوروبيين على القارة الشمالية الأمريكية، دخلت الولايات المتحدة عصر الجماعين. هذا لا يعني بالطبع أن الرأسمالية كانت دائمًا متغلبة في المجتمع الأمريكي، ولكن ببساطة يعني أنه منذ نشأة الولايات المتحدة كانت قوة النقود هي السائدة. قبل حرب الانفصال عام ١٨٦١ ـ ١٨٦٣م كان أكبر أغنياء أمريكا (ملاك الأراضي) على رأس المجتمع والحكومة، ولكن منذ تلك الحقبة صار الوضع الاجتماعي الأعلى يخص ملاك الرأسمال المالي والمشاريع الصناعية، هكذا هيمن الأثرياء بشكل أو بآخر على المجتمع الأمريكي منذ ولادته؛ وهذا يشهد على طول عصر الجمّاعين واستمراريته» (ص ٢٧٩).

المضيف: ولكن ما علاقة هذا الكلام بموضوعنا؟

سقوط: كما قلت فإن أمريكا تعيش عصر جماعين طويل (متمثل في الرأسمالية)، ولكي نفهم أمريكا المعاصرة جيدًا لا بد لنا من

(١) ب.ر.ساركار، أحد كبار الفلاسفة الهنود، صدرت له منذ عام ١٩٥٥م عدة مؤلفات ومقالات باللغة البنغالية.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

التعرف أولاً على صفات الرأسمالية التي تأسست عليها أمريكا، ثم لا بد من التعرف أيضًا على سمات عصر الجماعين.

فالحجة التي كان يتخفى وراءها كبار الرأسماليين ومنظروها في القرن الثامن عشر للوصول إلى أقصى حرية في البحث عن الربح.. هذه الحجة «مفادها أن الكائن الإنساني مدفوع قبل كل شيء بدوافع فردية وأنانية، كل أفعال الإنسان تصدر عن حب البقاء أو حفظ الذات، أي: تصدر عن الفردية والأنانية. الفردية والبخل إذن ليسا شرًا ـ في عرف هؤلاء ـ وإنما فضيلة؛ إذ يساعدان على العمل الجاد وعلى الازدهار؛ هذا يعني أن على الدولة تخفيف تدخلها في النشاطات الإنسانية إلى الحد الأدنى حتى تبلغ الرفاهية الفردية والاجتماعية حدها الأعلى» (ص ٢٩٥).

و «ليس فقط الممارسة الحرة لقوى العرض والطلب للسلع هي التي تقود إلى فعالية اقتصادية قصوى، ولكن أيضًا ـ حسب [الاقتصادي الشهير] سميث ـ إنها تكفل معدلات عالية من النمو الاقتصادي، وبهذا يحدث ارتفاع مستوى الحياة. لكن النمو يتوقف على تراكم رأس المال، الذي يتوقف بدوره على الربح الكافي. ها هو خط دفاع آخر للسلوك الاستحواذي والغرضي، حيث يعدونه ضمانة استمرارية التقدم الاقتصادي للمجتمع» (ص ٢٩٦).

وهذه النظرة ترسم لنا خارطة القوى واتجاهات الحركة ودوافعها في أمريكا: فـ «الرأسمالية تُعرَّف على أنها: نظام اجتماعي اقتصادي سياسي، تكون فيه وسائل الإنتاج (الصناعة، المصارف، الموارد

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الطبيعية) ملكية خاصة لأصحاب المشروعات والخواص، حيث يلعب النظام السياسي لصالح هؤلاء الملاك، وحيث يحدد هؤلاء كيفية توزيع الدخل الوطني. ويمكن تعريف هذا النظام أيضًا على أنه: نظام يكون فيه الرأسماليون ـ ملاك وسائل الإنتاج ـ أحرارًا في سعيهم لتحقيق أعلى حد من الأرباح.. هذه الحرية في العمل لزيادة الأرباح هي أساس الرأسمالية» (ص ٢٩٣).

وعلى ذلك، فرغم المظهر التعددي في التجربة السياسية الأمريكية إلا أن الحقيقة أنه في نشأته لم يكن «هناك إلا حزب سياسي واحد، إنه حزب الفيدراليين، والذي تسيطر عليه المصالح العقارية، وبدون معارضة حقيقية من تيارات أخرى. أما ولادة النظام الحديث (المتمثل في حزبين، لكل منهما برنامجه، أسلوبه، وسياسته الخاصة) فهو مظهر متأخر، وصل ذروته عام ١٨٥٤م عند الحزب الديمقراطي، الذي تكون منذ عام ١٨٢٥م، مواجهًا معارضة من الحزب الجمهوري. ومع هذا، فإذا كان هذان الحزبان السياسيان مختلفين جدًا في بعض النواحي، إلا أنهما وقعا شيئًا فشيئًا في يد كبار الرأسماليين الماليين والتجار، وهذه هي مجموعة الجمَّاعين التي تستخدم الدستور لصالحها الخاص، والتي استمرت في ذلك حتى اليوم» (ص ٢٨٧).

ولأن أشد ما يكرهه رجال الأعمال هو التنافس بينهم؛ لأن التنافس يزيد من عدم الثقة ويحد من الربح، فقد فطنوا «إلى تدخلات وتنظيمات السلطة العمومية خوفًا من أن يؤثر هذا سلبًا على مصالحهم

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وبالطبع يظل التنظيم مرحبًا به من قبلهم إذا وضع حدًا للتنافس وكفل لهم عائدًا منتظمًا وعاليًا» (ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

وهكذا حدد الرأسماليون لأمريكا دور الدولة وأهدافها حسب مصالحهم التي عبروا عنها بالمبدأ الشهير (دعه يعمل دعه يمر)، لقد استطاعوا الوصول إلى تطبيق ذلك المبدأ داخل أمريكا والدول الرأسمالية عامة، ويريدون تعميمه على العالم أجمع، فـ «نظرية (دعه يعمل) تُعد اليوم نظرية كلاسيكية في علم الاقتصاد، هذه الأيديولوجيا الاقتصادية ـ الليبرالية ـ تواكبت مع عقيدة سياسية تختزل الدولة أو الحكومة إلى مجرد شر ضروري، شر بسبب تدخلها في الحريات الفردية ولكنه ضروري لتفادي الفوضوية، ويحدد سميث للحكومة ثلاث وظائف أساسية: العدالة، والدفاع الوطني، وتقديم بعض الخدمات العمومية قليلة العائد بشكل لا يمكن للمشروعات الخاصة أن تقدمها» (ص ٢٩٧).

طليعة: أضيف هنا ما ذكره الرئيس الأمريكي ويلسون في نص خاص ضمن مذكرات سرية توضح المعنى الحقيقة لمُثُل ويلسون العليا التي يثرثر بها كثيرًا مثقفو الغرب!، يقول ويلسون: «بما أن التجارة لا تعرف حدودًا قومية، وبما أن المنتِج يحتاج إلى العالم ليصبح بأجمعه سوقه التجاري، فلا بد إذن من أن يسبقه عَلَم بلاده، حتى يوفر له فرصة اختراق كل الأبواب المغلقة، ولا بد أن يحمي رجال الدولة الامتيازات التي يحصل عليها رجال المال، حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير سيادة الأمم التي تحاول التصدي لذلك. يجب

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

إقامة المستعمرات أو ضمها حتى لا نترك أي ركن في العالم» (ص ٥٣)، هذا هو دور الدولة الرأسمالية خارج حدودها، هذا هو دور أمريكا في النظام العالمي الجديد (القديم)!.

سقوط: أعود إلى إكمال حديثي، فأذكر لكم سمات عصر الجمَّاعين، فهو عصر يتصف بـ . . .

المضيف: عفوًا د. (سقوط)، إن الأفكار كثرت وتتداخل مع بعضها، وأخشى أن تتلاشى بعضها وسط هذا الزحام الفكري، أحب أن ألخص وأركز ما سبق ذكره، ما فهمته مما سبق هو الآتي:

١ - أمريكا قامت على الاعتداء على الآخرين (الهنود الحمر) وإبادتهم أو نفيهم في المعازل ومصادرة أملاكهم بذرائع دينية نفاقية ورغبة توسعية استعمارية.

٢ - الرابطة التي تجمع شتات الأمريكيين المتنوعين عرقيًا وثقافيًا ودينيًا هي المصلحة المادية والمنفعة الاقتصادية.

٣ - تقوم الرأسمالية الشائعة في أمريكا على الفردية والأنانية التي تدفع إلى الرغبة في تراكم رأس المال وانتهاج السلوك الاستحواذي والاستغلالي.

٤ - يتحكم الرأسماليون في أجهزة الدولة الأمريكية ويوجهونها لمصلحتهم، مما رسم دور الدولة في الداخل بعدم التدخل في الحريات الفردية، وحصر دورها في وظائف محدودة تاركة للشركات والمنظمات والجهات النافذة فرصة التفاعل فيما بينها،

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أما في الخارج فدور الدولة ينصب على حماية مصالح أمريكا الرأسمالية، حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير سيادة الأمم.

هناك نقاط مما سبق تستحق المناقشة التفصيلية، ولكن قبل أن ننتقل إلى طرح نقطة أخرى للمناقشة، ألا ترون أن الكلام عن سلوك أمريكا الطامح في السيطرة والهيمنة على الآخرين لاستغلال ثرواتهم ونهبها.. يعارضه سلوك آخر خيِّر يتمثل في المعونة الأمريكية التي تمد أمريكا بها دولاً أخرى محتاجة؟ أليس هذا السلوك يستحق التوقف عنده والإشادة به وتقديره حتى نكون منصفين؟

طليعة: للأسف، الأمر ليس كما تظن، يُؤخذ عليكم أيها العرب أنكم تنخدعون بسهولة بمظهر حسن قد يكون مزيفًا أو لفتة إنسانية قد تكون غير مخلصة أو شعار براق قد يكون خادعًا، وما نحن بصدد الحديث عنه مثال على ذلك، المعونة الأمريكية لا تخرج إلا لتحقيق المصلحة الأمريكية، ومما يثبت ذلك: ما رَصَدَتْهُ دراسة مؤرخة في إبريل عام ١٩٤٧م وسجلت فيها أن ظاهرة «المعونة الأمريكية يجب أن توجه فقط (إلى البلدان ذات الأهمية الاستراتيجية الأساسية للولايات المتحدة، إلا في حالات نادرة جدًا، حيث تسنح الفرصة للولايات المتحدة عن طريق هذه المعونة للحصول على الرضا العالمي نتيجة فعل إنساني استعراضي) (Joint Chiefs of Staff. (1769/1)).

[وقد] أعرب وزير الخارجية دين أتشيشون وبعض النواب الأمريكيين عن الموافقة، في عام ١٩٥٠م، على هذا المبدأ: (إذا حلت المجاعة بالقارة الصينية، وجب على الولايات المتحدة تقديم القليل من

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

المساعدة، لا لمقاومة المجاعة نفسها، وتعنى فقط بقدر ما تكون كافية لإحراز نقطة في الحرب النفسية) (ستيفان شالوم، أكتوبر، ١٩٩٠م، Stephen Shalom: Z Magazine)» (ص ٦٩)، إنها المصلحة يا عزيزي، إنها أمريكا، بلد مصالح لا غير!، إنني أرى أن النفاق السياسي الأمريكي يستحق أن يفرد له محور خاص في هذه الندوة.

المضيف: لا شك أن ذلك وارد، ولكن مما أثار انتباهي في النقاط السالفة الذكر: دور الدين في المجتمع الأمريكي وفي السياسة الأمريكية، هل للدين دور عندهم؟

سقوط: سأجيب على سؤالك من خلال النظرية الفلسفية الاجتماعية نفسها التي أتبناها.. إننا «إذا تفحصنا أعماق السلوك الاستحواذي لقادة العالم فإننا نعثر على سبب كل المشاكل الدولية، ذلك لأن الوعي الإنساني ليس له أبعاد إلا في الناس، فالظمأ إلى السعادة غير متناهٍ وغير محدود، كما أنه كوني، وبسبب هذا الظمأ إلى غير المتناهي فإنَّ الروح الإنسانية تمل ما عندها وتجري وراء ما ليس عندها، أي الحصول على أشياء مادية بكمية أكبر دائمًا، لكن مع ذلك فإن هذا ليس علاجًا للظمأ، لأن الأشياء المادية هي نفسها متناهية، وكل شيء متناهٍ لا يمكن أن يكون مصدر سعادة غير متناهية. وعي الذات ـ باعتبارها كيانًا واعيًا غير محدود ـ يمكن وحده أن يكون مصدر سعادة، هذه النقطة الأساسية صحيحة منذ أقدم العصور وستبقى كذلك إلى الأبد» (ص ٣٢١).

«ذلك لأن الروح، بعد أن تكون لهثت في العالم المادي المتناهي ـ أي طلبت كل التلهيات ـ بدون جدوى، توجب عليها إغراق حاجتها

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الفطرية إلى غير المتناهي، في النبيذ والوسكي والمخدرات، ومع ذلك لا يقود هذا الطريق إلا إلى كارثة شخصية واجتماعية، والتي في نهايتها تبذر بذور نهضة روحية» (ص ٣٢٢)، وهذا ما حدث ويحدث في أمريكا.

طليعة: إنني أرى ـ شخصيًا ـ أن الدين في أمريكا ـ على الأقل على مستوى سياستها الرسمية ـ لا يخرج عن الإطار العام لسياستها العامة: المصلحة، المنفعة، الهيمنة.. أضرب لكم مثالاً يوضح ما أقوله، ثم أعقبه بإيضاحات أخرى: «لقد أعلن رونالد ريجان أن ثراء ورخاء الولايات المتحدة يرجع إلى كونها (أمة مباركة من الله)، لكن أحد رجال الدين الإسبان جرؤ على استهجان ما قاله ريجان واصفًا إياه بأنه (تجديف وهرطقة)، لأن ثروة وقوة الولايات المتحدة لا تأتي من مباركة الله، ولكنها ترجع إلى استغلال العالم وبخاصة العالم الثالث عبر التبادلات غير المتوازنة وغير المتعادلة، وفرض استيراد المنتجات الأمريكية بالقوة، وغزو رؤوس الأموال الأمريكية للدول التي تنخفض فيها المرتبات، وعبر الفوائد الاستغلالية (للقروض).

هذا هو تقييم خمسة قرون من الاستعمار وخمسين عامًا من تطبيق نظام (بريتون وودز) والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ثم منظمة التجارة العالمية. ولم يتوقف منذ ذلك الحين دق علامة الصليب على أسنة السيوف، كصنم يمثل الذهب والموت. ها هي ذي القصة كلها، فهي لا تخرج ـ أبدًا ـ عن هذا الإطار، وهذا هو لُبّ القضية» (ص ١٠٩).

مرة أخرى يا عزيزي.. إنها المصلحة، إنها هنا ترفع راية الصليب، ولو كانت مصلحة الأمريكي في التودد إلى الإسلام فستجده

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أول من يمسك بالمسبحة، ولو كانت في المسيحية فستجده أول من يتمسح بالصليب.. قد يتقلبون في أديان شتى وقد يناصرون أو يعادون أكثر من دين، ولكنهم لا يتخلون أبدًا عن ديانة محددة لا يجرؤون على التصريح بأن اسمها (وحدانية السوق)، «لا يتحول السوق إلى ديانة إلا عندما يصبح [هو] المحرك الوحيد في العلاقات الاجتماعية، الشخصية أو القومية، والمصدر الوحيد للسلطة والتسلسل الاجتماعي. ولسنا الآن بصدد أن نكتب تاريخ هذا التحول الكبير الذي أصبحت فيه كل القيم الإنسانية قيمًا تجارية بما فيها قيم الفكر والفن، بل وقيم الضمير» (ص ٤٠)، وعلى أساس هذا الدين تكون الصدامات أو التحالفات «وذلك يعني أن ما أوضحته في كتابي (نحو حرب دينية) كان يعني الصدام الحضاري، لأن (وحدانية السوق) ستعمل على تهشيم مقاومة كل هؤلاء الذين حافظوا على نظام آخر للقيم يختلف عن القيم التجارية، والذين بدفاعهم عن هويتهم يدافعون عن معنى الحياة» (ص ٢٦ ، ٢٧)، ولا مانع من أجل فرض هذه الديانة أن يتحالف رجال السياسة مع (رجال الدين) وأن يمهد كل منهما للآخر في المواقع المستهدفة، بل لا مانع أن يلبس كل منهما رداء الآخر، إنني أرى أن «النموذج الأمثل للأصولية هو الاستعمار الذي كانت حجتاه الأيديولوجيتان نشر وإرساء (الإنجيلية) ليفرض على العالم مفهومه الخاص عن الدين، وليقوم العسكريون والتجار بالباقي، أي: بالمجازر والاستغلال. وعندما يتراجع الدين، يتقدم نفس المنفذين ليفرضوا على العالم (حداثتهم)» (ص ١٤٩).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

إن استخـدام الدين والتاريخ لأهداف سيـاسية يتضخم فـي الفترة المعاصرة على يد أمريكا والغرب عامة، «ويكفي مثال واحد: لتسويغ سباق التسلح أو السيطرة الاقـتصادية، يُصطنع تاريخ الخصم على أنه شيطان، فقـد كان الاتحاد السوفييتي هو (إمبراطوريـة الشر)، وبعد انهياره وجـد جورج بوش [الأب] في الإسلام بديلاً ليسـوغ السياسة نفـسهـا. وعلى النقيض مـن ذلك، ظهر (تاريخ مـقدس)، كـان في البداية تاريخ العـبرانيين، ثم اسـتولى عليه المـسيحيـون الذين ادعوا وراثتهم ليسوغوا حملاتهم الصليبية، ثم استعمارهم» (ص ١٨١).

وهذا مـا يؤكـده يوهان جـالتونج فـي كتـابه (لاهوت الهـيـمنة الأمريكية)، حيث يقول: «هـكذا اتفقا [الآباء المؤسسون لأمريكا مع البيـوريتانيـين (المتـطهرون)] على تكوين جبـهة ضـد الإسلام. إن الاقـتناع بكونهم الشعب المـختـار قـد سبقـه الاقـتناع بأن الولايات المـتـحـدة هي الأمـة الأقـرب إلى الله من أي أمـة أخـرى، وذلك موضـح عـلى شعارهم المـدون على كل دولار: In God We Trust (إننا نثق بالله).

من ثم: فإن الدولة الأقرب إلى الله هي ـ أيضًـا ـ ممثلةُ الله على الأرض طبقًـا لثلاث خصـائص رئيسيـة من صفات الله: امـتلاك كل العلوم، والقوة الشاملة، والإحسان.

ويعني هذا رقـابة إليكتـرونيـة على العالـم وعلى الذين يُشك في كونهم ممثلي الشر وحَمَلَته.

وتستأثر الولايات المتحدة لنفـسها بمعرفة من يدخلون تحت هذا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

التصنيف، فلا توجد محاكمة لهم بما أن الولايات المتحدة تحتكر مسألتي الثواب والعقاب بالإضافة لحق الادعاء، هكذا تمارس هيمنة ثقافية وتمتلك قوة اقتصادية وعسكرية تحت إدارة البنتاجون وجهاز الاستخبارات (C.I.A) لتنفيذ أحكامها.

تستحق (إمبراطورية الشر) أن تُسحَق حتى تعود إلى العصر الحجري، إنه لواجب» (ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣)... هل رأيتم دجلاً أكبر من ذلك؟!

المضيف: في الحقيقة: إن كلامكما يثير نقطتين في غاية الأهمية ـ من وجهة نظري ـ، **الأولى**: حول الأمراض الاجتماعية في المجتمع الأمريكي، **والثانية**: حول اتخاذ الإسلام والعالم الإسلامي هدفًا للعداء في الحرب (الحضارية) الجديدة التي تشنها أمريكا نيابة عن الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

ولكن قبل الخوض في هاتين النقطتين، أذكِّر الدكتور (سقوط) بأنني كنت قطعت حديثه سابقًا عندما أراد أن يَذْكُر لنا سمات عصر الجمَّاعين، فليتفضل ليكمل حديثه.

سقوط: أفضل أن أستأنف الحديث عن هذا الموضوع مع أو بعد الحديث عن النقطة الأولى التي ذكرتها الآن: الأمراض الاجتماعية في المجتمع الأمريكي.

المضيف: إذن فلنكمل الحديث عن استهداف الإسلام والعالم الإسلامي بالعداوة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

طليعة: لا شك أن «انتهاء الحرب في عام ١٩٤٥م، ثم انهيار الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٨٩م، وضعا الولايات المتحدة أمام المشكلة الصعبة، وهي تسويغ استمرار سياسة التسليح أمام شعبها، إذ إن تلك السياسة هي أحد العناصر الأساسية وغير المستغنى عنها لعمل الاقتصاد الأمريكي. . .

كان يجب إذن البحث عن بدائل لـ (إمبراطورية الشر)؛ ولذلك برز كل من (الحق في التدخل الإنساني) أو (حماية الحقوق) أو (حرب المخدرات)» (ص ٧٠).

«وإذا صدقنا ما تحدث عنه هنتنجتون وأسماه (صدام الحضارات)، فسنجد أنه لو اندلعت حرب ثالثة فستصبح حربًا من نوع جديد، هكذا قال هنتنجتون، فلن يكون سببها نزاعًا (أوروبيًا ـ أوروبيًا)، ولكنها ستكون مواجهة بين الحضارات. . . بين (المركز) ـ وهو الغرب) ـ وبين الأطراف ـ أو المستعمرات القديمة ـ. بل إن هنتنجتون يعطي أيضًا كلاً من المجموعتين صبغة دينية: إذ سيكون الصدام بين حضارة (يهودية مسيحية) وأخرى (إسلامية كونفوشيوسية).

إن طريقة طرح المشكلة عنده خاطئة، ولكن المشكلة حقيقية، فالولايات المتحدة في خطتها للسيطرة على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، عينت العدو البديل أو (الشيطان) الذي يجب القضاء عليه، وهو (الإسلام) وحلفاؤه المحتملون فيما يسمى بالعالم الثالث» (ص ٢٦).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وفوق أن الإسلام هو الأيديولوجية الوحيدة الباقية التي يمكن أن تنافس أيديولوجية الغرب ولا ترضخ للديانة الجديدة (وحدانية السوق).. هناك سبب آخر جوهري لاستهداف العالم الإسلامي، هذا السبب نابع من الجغرافيا والتاريخ.. فلا يخفى على أحد «أن النقطة الحساسة لحدود الإمبراطورية الأمريكية هي الخليج الفارسي/ العربي الذي تحيط به أغنى منابع البترول والذي سيظل عصب التنمية الغربية لعدة قرون قادمة، وعلى هذا الخط الساخن، حققت (وحدانية السوق) آخر انتصاراتها بتحطيم العراق، وفي هذا الموقع (الحساس) لحدود الإمبراطورية الجديدة، لا تتوقف دولة إسرائيل عن لعب الدور الذي حدده لها مؤسسها الروحي تيودور هرتزل، ألا وهو أن تكون (حصنًا متقدمًا للحضارة الغربية في مواجهة بربرية الشرق)» (ص ٢٧).

الفرصة[1]: صحيح «إن أكثر ما يهمنا في الشرق الأوسط هو البترول وإسرائيل، ولو أنهما لا يسيران دائمًا في اتجاه واحد، فالتزاماتنا نحو إسرائيل تجعلنا نتحمل مصاريف باهظة في بترول الخليج» (ص ١٥٢)، وذلك لأن «التزاماتنا نحو إسرائيل عميقة جدًا، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطًا أخلاقيًا» (ص ١٥٢).

---

(١) كتاب (الفرصة السانحة)، تأليف: الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون، ترجمة: أحمد صدقي مراد، طبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

نحن لا ننسى «أن مصالحنا تحتاج إلى حسابات معقدة، فعلينا المحافظة على بقاء إسرائيل، وفي نفس الوقت التعامل مع الدول العربية المعتدلة لضمان أمان الخليج» (ص ١٥٢).

ومع ذلك، فإننا لسنا منغلقين تجاه جميع الأطراف في العالم الإسلامي، بل «يجب علينا أن نعاون التقدميين في العالم العربي، ففي ذلك مصلحتهم ومصلحتنا، فهم محتاجون لأن يعطوا أنصارهم بديلاً لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين، وانغلاق الرجعيين» (ص ١٤١).

لقد كنت أرى دائمًا «أن مفتاح السياسة الأمريكية يكمن في التهاون الاستراتيجي مع المسلمين التقدميين فقط، ويُقْصَر التعاون مع الأصوليين المتطرفين والرجعيين على الناحية التكتيكية فقط. ولما كنا نشارك التقدميين في أهدافنا فيجب أن يغطي تعاوننا جميع المجالات الاقتصادية والأمنية، ونظرًا لأننا نختلف مع الأصوليين والرجعيين في قيمهم فيجب ألا تتعدى روابطنا معهم الاحتياجات العاجلة الوقتية، علينا أن نعمل معهم ما داموا في السلطة، ولكن لا ندخل معهم في مشاركة واسعة المجال، لا ضرورة لأن نفرض عليهم ـ الأصوليين والرجعيين ـ حظرًا شاملاً للتجارة، أو غير ذلك من الإجراءات الحادة، ولكن علينا أن نبتعد عن التسويغات (المائعة) لتصرفاتهم، أو عدم التدخل في صراعاتهم مع جيرانهم. يجب ألا نسقطهم من حساباتنا، ولكن بالقطع يجب علينا ألا نساهم في تقدمهم، وعلينا أن نلتزم بسياسة العين بالعين والسن بالسن في كل حالة معهم» (ص ١٤٢).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الإعداد[١]: مع عدم إغفال أهمية هذا الكلام، إلا أنني أرى أن كلام **(طليعة)** أقرب إلى الواقع الآن، وذلك لأن القوة العسكرية الأمريكية وإن كانت «تزيد من أهمية الولايات المتحدة على الساحة الدولية، فإن ذلك لا يعود بالضرورة بمكاسب على الشعب الأمريكي، والواقع أن التكاليف الدفاعية قد تسببت بأضرار اقتصادية، فيما لا يبدو أن الولايات المتحدة قد تحصنت جيدًا ضد الأخطار غير العسكرية، لقد أمنت الحرب الباردة (الأسمنت) السياسي الذي وحَّد بين أكثرية الأمريكيين من جمهوريين وديمقراطيين، وجعلهم يتقبلون ميزانيات عسكرية هائلة وتحالفات مقيّدة. ولكن، بعد أن أزيل الاتحاد السوفييتي، فإن هذا الإجماع بات عرضة للانهيار ـ وذلك أقله ـ لما قد يجد بعض الأمريكيين من صعوبة لتسويغ التواجد العسكري على نطاق عالمي، وفيما يتساءل بعض الاستراتيچيين إذا كان من الأفضل سحب القوات من أوروبا وإعادة موضعتها لمواجهة الأخطار الخارجية في العالم النامي، يشكك البعض الآخر بالفائدة من القوة العسكرية أصلاً، وذلك أن الولايات المتحدة لا تواجه خطر الأسلحة النووية، بل أساسًا أخطار البيئة والمخدرات وفقدان القدرة التنافسية على الصعيد الاقتصادي» (ص ١٨٠ ـ ١٨١).

المضيف: وكأنك تريد الانتقال الآن إلى الحديث على النقطة

---

(١) كتاب (الإعداد للقرن الواحد والعشرين)، تأليف السناتور الأمريكي پول كيندي، ترجمة: د. نظير جاهل، طبعة الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، الجزء الثاني.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الثانية التي تدور حول أمراض المجتمع الأمريكي، ولكن قبل الانتقال إلىٰ هذه النقطة ـ عفواً د. سقوط ـ نود الانتهاء من الحديث عن نقطة أثيرت من قبل ولـم تذكر مرة أخرىٰ، وهي مناسبـة للحديث في هذا السياق، وأعني بها: الحديث عن النفاق السياسي الأمريكي.

الفرصة: أعترض علىٰ عـبارة (النفاق السيـاسي الأمريـكي) . . كثير مـن غير محترفـي السـيـاسـة لا يقدرون الظروف التي قد تضطر السياسيين إلىٰ (المناورة) لتحـقيق المصالح وإصابة الأهداف. . لذلك فقد «يغضب الأمريكيون عندما تـضطر إحدىٰ الدول الصديقة، نتيجة لضغـوط داخلية، أن تعـارض سياسـتنا، فعلىٰ سبـيل المثـال عندما تصوت المكسيك ضدنا في الأمم المتـحدة يصرخ الأمريكيون قائلين إن هذا نكران للجـميل، وعدم تقـدير للمسؤوليـة، ولكن بالرغم من معـارضة المكسيـك لنا ـ التي لا بد تمليها الـضغوط الداخليـة ـ فإن المكسيكيين يمثلون شريكًا مهمًـا ذا قيمة للولايات المتحدة. ويمكن أن نضرب مـثلاً آخر بالفـلبين، فقـد عبرت لمـضيفي الفلـبيني أثناء زيارتي للفلبين عـام ١٩٥٣م، عن قلقي من خطبة ألقاها أحـد أعضاء مجـلس الشيـوخ الفلبيني، هاجم فـيهـا سيـاسة الولايات الـمتـحدة الخارجية، وقد أكد لي مضيـفي أن هذا العضو مشايع جداً لأمريكا، وعندما قلت له إن هـذه طريقة غريبـة لإظهار تأييده لأمـريكا، أجاب قائلاً: (إنك لا تـفـهم السيـاسـة الفلبينيـة، إن (روشتة) الـنجاح في الفلبين هـي أن تَلْعَن الأمريكيين، وتدعـو الله أن لا يذهبوا بعـيداً). وبصرف النظر عـما يجري في الفلبين من مـشاكل داخلية فقـد كانت

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الفلبيـن من أصـدق أصـدقاء الولايات المـتحـدة منذ استـقلالهـا عام ١٩٤٦م» (ص ١٤٥).

لذلك فقد أوصيت قادة أمريكا بأن يراعوا في سياستنا تجاه العالم الإسلامي «أن لا نبالغ في علاقاتنا مع الدول التـقدمية، حتى لا تكون هذه العلاقـة هدفًا للناقدين. ولما كـانت ذكريات الاستعـمار لا تزال ماثلة في أذهان العالم الإسلامي، فيـجب ألا تصل العلاقة بين أمريكا والدول الشريكة إلى حد الوصاية، ويجب ألا نتـعامل مع الزعماء في الدول التـقدمـية كـأنهم مراسلون بيننـا وبين شعـوبهم، بل علينا أن نعاملهم كشركاء متساوين، لأن أسرع طريقة ندفنهم بها هي معاملتهم كأنهم أبواق للدعاية للغرب» (ص ١٤٥).

كمـا أن «علينا أن نتـقبل في بعض الأحـيان رفض أصدقـائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا، التي تسـبب لهم حرجًا سياسيًا في بلادهم... فيجب ألا يزعجنا أن تضطر الظروف أصدقاءنا أن يتفوهوا ببعض السباب ضدنا إرضاء لأعدائنا» (ص ١٤٦).

هل هذا نفاق؟! إنه سياسة تقتضيها الحكمة والظروف.

طليعة: أيًّا كانت التسمـية.. الحقيقة التي يشـهد لها التاريخ أن السياسـة الأمريكية لا تعتـرف بأي مبدأ كمـا تدعي وتروج، ليس ثمة مبـدأ إلا مصلحـة أمريكا، بل مصلحـة أصحـاب الأموال فيـها، لا ديمقراطية ولا عدالة ولا حقوق إنسـان ولا مبادئ دولية.. إنها مجرد واجهات تحتكـرها الآلة السياسية الأمريكيـة للتمكين للديانة الجديدة (وحدانية السوق).. وإليكم الأمثلة:

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

- فـ «في الصباح التالي لنهاية الحرب العالمية الثانية، . . . لم يتردد القادة الأمريكيون في استخدام جنرالات من النازيين الجدد في شتى أنحاء العالم!

سياسة التعاون مع النازي، بعد الحرب العالمية الثانية، في كل أمريكا اللاتينية، كانت لها سابقة بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن مع الفاشية!

منذ عام ١٩٢٢م امتدح السفير الأمريكي في إيطاليا (التقدم نحو روما) لموسوليني الذي قضى على أي ديمقراطية في إيطاليا، بوصفها (الثورة الجميلة والشابة)، وشرح لماذا قد يكون الفاشيون العامل الأقوى في الضغط على البلاشفة [الروس] ومواجهتهم، ومن ثم: تمتعت إيطاليا الفاشية بوضع خاص من جانب الإدارة الأمريكية، وكانت إحدى الدول الأولى بالرعاية فيما يخص تسوية ديون الحرب والاستثمارات الأمريكية المتدفقة، في عام ١٩٣٣م، تحدث تيودور روزفلت عن موسوليني بوصفه (هذا الجنتلمان الإيطالي المهذب واللطيف).

في عام ١٩٣٧م، أكدت إدارة الدولة الأمريكية بأن (الفاشية أصبحت روح إيطاليا)، (لقد وضعت حدًا للنظام الفوضوي وفرضت نظامًا خاصًا إيطاليًا)» (ص ٥٨ ـ ٥٩).

- وبعد أن أمم مصدق البترول في إيران عام ١٩٥١م، خططت وكالة الاستخبارات الأمريكية انقلابًا عليه وقلبت بالفعل نظامه البرلماني وأعادت الشاه، ثم أخذت الشركات الأمريكية ٤٠٪ من الحصة البترولية المخصصة لبريطانيا «لقد علقت النيويورك تايمز

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حينئذ على ما حدث في افتتاحيتها موضحة الأمر على كونه (امتيازًا جديدًا) وفتحًا عظيمًا، وأوضحت أن هناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من هذه التجربة، وأول هذه الدروس وأهمها ـ كما أوردت (النيويورك تايمز) ـ: (على البلدان النامية الساعية للتطور، والتي تملك موارد طبيعية لا بأس بها، أن تتعظ من هذا المثال الذي تم ضربه، فإذا اتَّبَعَتْ من يهذي بقومية مجنونة، فإن هذا سيكلفها دون شك الكثير. إن التجربة الإيرانية تبدو مقنعة لأي مصدق آخر، وتُظهر له أن عليه أن يخلع نفسه من السلطة، كما أن التجربة ذاتها تحدد وتوضح لباقي القادة وتضيء لهم التصور المحدد لأولوياتنا) (افتتاحية النيويورك تايمز ٦/ ٨/ ١٩٥٤م)» (ص ٧٩).

- سياسة الانقلابات على الديمقراطيات سياسة مقننة في أمريكا إذا كان في ذلك مصلحتها، هذا ما يؤكده تقرير لمكتب الاستخبارات الأمريكية، الذي يقول: «(كما رأت الولايات المتحدة أنه في الدول التي يصعب فيها التحكم في الشرطة والعسكريين بطريقة مباشرة، يجب قلب نظام الحكم، وأن يصل إلى الحكم فيها نظام أكثر تودداً للولايات المتحدة، وأن يوضع على رأس القمة والحكم (جيش دائم التواجد في السلطة) على طريقة (الحرس الوطني) أعوان سوموزا الذي ظل طوال سنوات حكمه من المقربين للولايات المتحدة) (مكتب الاستخبارات الأمريكية للمعلومات المتداولة، ١٣ مايو، مجلة OCI العدد ١٨٠٣: ٦٥)» (ص ٨٠).

ومن أجل نجاح هذه الأنظمة القمعية المنقلبة على شعوبها «خُصِّصَتْ المدرسة العسكرية للأمريكيين لتدريب ضباط الجيش

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

والشرطة في بلاد أمريكا اللاتينية المتحالفة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مقرها في فورت بيننج (ولاية جورجيا)، وتتطلب مرانًا قاسيًا. (واعترفت وزارة الدفاع الأمريكية بأن الكتب التعليمية المستخدمة في المدرسة كانت تحبذ ما بين عامي ١٩٨٢م و ١٩٩١م ممارسة التعذيب والتصفية الجسدية والابتزاز وكل أنواع العنف؛ لاستخلاص المعلومات من المعارضين والمناضلين السياسيين أو gurilleros.

وعلى الضابط ألا يغفل عن تقديم الهدايا مقابل أي معلومات تؤدي إلى اعتقال أو أسر أو قتل رجل العصابات الذي تعتبره الحكومة الشرعية مجرمًا) (مقال في جريدة «لوموند» ٢/٩/١٩٩٦م: بعنوان: دروس في التعذيب والابتزاز في مدرسة الأمريكيين)» (ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

- «في الجزائر، تباين رد الفعل الأمريكي مع مبادئ دستورها المؤسس، وذلك عندما التقى الرفض الشعبي لسياسات صندوق النقد الدولي والذي ظهر بوضوح في تظاهرات الجزائر عام ١٩٨٨م، مع حركة إسلامية ترفض بوضوح مبدأ وحدانية السوق. بذلك عرضت جبهة الإنقاذ الإسلامي (FIS) موقفًا مهمًا رغم افتقادها لمشروع حقيقي، فإن رفضها لوحدانية السوق وتلك الليبرالية التي تؤدي إلى الانعزال والتهميش لأربعة أخماس العالم لحساب خمسه، (...)، فقد جعلها رفضها لمبادئ هذا النظام المشرِّع للهيمنة على العالم، قرينة للشر.

لم يكن دعم العسكريين لأسباب اقتصادية فقط (فالجزائر مدينة بما يقدر بـ ٢١ مليار دولار، وتدفع كل عام ٥,٥ مليار دولار

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فوائد)، ولكن بسبب سياسي أكثر أهمية، وربما دينيًا، مما يطرح سؤالاً حول ماهية وأهداف المجتمع المبني على أساس اقتصاد السوق.

لقد أعلن مدمرو الكوكب من أتباع الدين السري الجديد (وحدانية السوق) حربًا حقيقية للدين، مع تحويل كل ما يخالف ديانتهم إلى شيطان.

بغض النظر عن المميزات والحسنات أو الجرائم والأخطاء، فإن كل من خالف معبودهم وهيمنتهم أصبح هتلر جديدًا سواء كان أصوليًا أو عراقيًا أو حتى معارضًا من بيرو» (ص ١٢٣).

لقد انكشف «النفاق المروع في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان في الجزائر: إذ انكشف التناقض حين اضطر النظام (الليبرالي الديمقراطي) إلى اتخاذ موقف يتناقض مع مبادئه وهو يقاوم جبهة الإنقاذ الإسلامي (FIS)، وذلك بموافقته على وقف مسيرة الانتخابات الحرة ومساندته انقلابًا عسكريًا ضدها.

وهنا في الجزائر، كما في فلسطين، تُدفع المشكلة الدينية إلى الواجهة: فلا بد من مكافحة الحرب الكونية التي تُشتهر باسم دين لا يجرؤون على إعلان اسمه، وهو (وحدانية السوق) » (ص ٣٢).

- بماذا نسمي تلك المواقف غير (النفاق السياسي)؟ وهل عرفنا لماذا يستهدف الإسلام من قِبَل كهنة ديانة (وحدانية السوق)؟ ، لأنه الصخرة التي تأبى على التفتت أمام مطارق هؤلاء الكهنة، وهل ما زال هناك أمل لحل مشكلة فلسطين على أيدي هؤلاء الكهنة؟ انظروا كيف حسموا مشكلة الكويت في أشهر معدودة وكيف يماطلون في فلسطين منذ عشرات السنين: «بعد إمطار العراق وقت الحرب بما

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

يوازي حجم المتفجرات التي ألقيت على هيروشيما ثماني مرات، قاتلة حسب أدنى تقدير للصليب الأحمر الدولي مائتين وعشرة آلاف من الأفراد، تلك هي خلاصة الحماية للقانون الدولي، الذي يسير دون أدنى شك في اتجاه واحد: يستخدمونه لمواجهة ضم الكويت ويتناسونه عند تقييم قضية القدس، في الحقيقة، القدس مدينة مقدسة، لكن مدينة الكويت هي أكثر تقديسًا بآلاف المرات طالما هي محاطة بآبار البترول» (ص ١٢٥ ـ ١٢٦).

- للأسف لقد أصبح «الدفاع عن القانون الدولي وعن الديمقراطية مجرد مسميات تستخدم لستر وإخفاء معالم التدخل وحماية هذا الاستعمار الجديد» (ص ١٢٥).

ففي الصومال «استغل ما يجعل الإنسان يحلم أحلامًا وردية: (حق التدخل الإنساني لحماية الإنسان)، وهو حق استثنائي للغربيين، فلا يمكننا أن نتصور شعبًا إفريقيًا يستخدم هذا الحق في محاربة التمييز العنصري ضد السود أو الهنود داخل الولايات المتحدة، حتى بعد انفجار التظاهرات في لوس أنجلوس!، وهو حق يمكن تطبيقه ـ قياسًا على ما حدث في الصومال ـ على نصف البلدان الإفريقية.

لكن التدخل يكون انتقائيًا.

ولقد أفصح الرئيس بوش [الأب] بوضوح عن هذه النقطة في خطابه الأخير في الأكاديمية العسكرية وست بوينت: (لا يجب أن نتدخل في حالات العنف الإجرامي... إن أيديولوجيات الأمة لا يجب أن تتعارض مع مصالحها)» (ص ١٢٤).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

- «ومن اليسير تعداد الأمثلة لاستخدام تلك الذرائع والافتراءات، مثل (مكافحة الإرهاب)، أو (التدخل الإنساني)، أو (حماية حقوق الإنسان) لتسويغ العدوان المباشر على الدول، أو فرض القيود على الاتفاقيات الاقتصادية معها» (ص ٢٩).

والحقيقة التي تتكشف أبعادها كل يوم أن «(النظام العالمي الجديد)، كما يحلم به القادة الأمريكيون، هو تسمية بديلة للهيمنة الشاملة على العالم.

(حق التدخل) هو المصطلح البديل للاستعمار.

فبعد التخلص من الند العنيد ـ الاتحاد السوفييتي ـ (الذي ضحى به قادة روسيا ودعاة التفتت القومي) أصبحت الأمم المتحدة مؤسسة لتسجيل الرغبات الأمريكية وتنفيذها، وليتحول دورها إلى ساتر ومسوِّغ قانوني للمخططات الأمريكية، وأداة التنصل من الجرائم وإثبات البراءة للإدارة الأمريكية. في الوقت ذاته، أديرت الآلات العسكرية الهائلة ـ إرث مواجهة الغرب والشرق والمتوافرة في يد الإدارة ـ لكي تلعب أدوارًا ومهام أخرى» (ص ١١٢ ـ ١١٣).

- وكلمة أخيرة أختم بها هذا الحديث عن التباين بين ما هو معلن وما هو منفذ أو ما أسميه بـ (النفاق السياسي)، وهي توضح نفاق الشعارات والمبادئ نفسها وليس فقط المواقف.

«فالقيام بحملة انتخابية للفوز بمقعد عضو في مجلس الشيوخ الأمريكي أو نائب في الكونجرس، يحتاج إلى ملايين الدولارات، وتسمح الثروة في كل الدول بشراء الأدوات اللازمة للسلطة: ومنها

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الإعلام للتلاعب بالرأي العام، وكذلك صناعات السلاح لإقناعهم في نهاية المطاف إذا أخفق الإعلام.

وهذا (الإعلان) (عالمي)!

وكل العالم يمكنه المطالبة بحقوق الإنسان وبمساواة كاملة أمام القانون.

للعاطل والمليارديرمعًا الحق المتساوي في إصدار صحيفة أو إقامة محطة تليفزيونية، ولكن ماذا عن القدرة على ذلك؟ كذلك تمنع تلك المساواة أمام القانون المليارديرأو العاطل من سرقة الخبز، لأنهما قد يواجهان عقوبة واحدة، ولكن ماذا عن حاجة كل منهما لذلك؟» (ص ١٤٨). إنه عالم أصحاب الأموال!

سقوط: من هذه النقطة أصل حديثي المقطوع عن سمات الرأسماليين (الجمَّاعين) وأمراض المجتمع الأمريكي التي تؤذن بسقوطه، وهي الأمراض نفسها التي عصفت بنظام جمَّاعين سابق هو نظام الإقطاع.

المجتمع الغربي يَعْبُر عصر الجمَّاعين منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، و «الرجال الأغنياء هم الذين يقبضون على مقاليد الأمور فيه، الطبقة الحاكمة إذن تستمد نفوذها من سيطرتها على الثروة وعلى وسائل الإنتاج، مع أن الطبقات الأخرى (المقاتلين، المثقفين، والشغيلة) تخضع طوعًا للنخبة المحظوظة. خلال هذا العصر (عصر الجمَّاعين) يكون نظام الحكومة مغاليًا في عدم مركزيته، وبالنتيجة: يعم الإجرام، وتتفكك العائلة، وتنتشر الدعارة،

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وفي النهـاية تطبع الفردية المـتطرفة النـظام الاجتـماعي. وقـد عرف الغرب نظامًا اجـتماعيًا اقتصـاديًا من هذا النمـط خـلال الجـزء الثاني مما عرف بـالعصر الوسيط، وهذا ما يدعى عادة إقطاعًـا. اليوم يسود مجـددًا النمط نفسـه ويسمى رأسمـالية، ورغم الاختـلافات الكثـيرة الظاهرية، فـإن الإقطـاع والرأسـمـاليـة، ويملكان عـدة خـصـائص مشتركة.. موت الرأسماليـة لا يمكن تفاديه تمامًا كما لم يكن ممكنًا تفادي موت الإقطاع» (ص ٢٧٧).

فـ «الرأسمالية تـتشابه كثيرًا مع نظام الإقطاع الذي سـاد المجتمع الغربي مـا بين عام ٩٠٠ ، ١٤٠٠م، الرأسمـالية ليست فـقط نظامًا اقتصاديًا، ولكنها أيضًا نظام اجتماعي واقتصادي متلازمان؛ لأنه بدون الإقرار بحق الملكية غيـر المحدود للرأسماليين اجتمـاعيًا، فإن عالم الأعمال لن يعيش أكثر من يوم واحد. وإذا بحثنا عن أسس القوة عند الطبقة الحاكمة، فإن التماثل في النظامين يبدو واضحًا، نفس الشيء: الفلسفة السياسـية والاجتماعية التي يعتمد عليـها النظامان تُظهر وحدة أكبر مما اعترف به حتى الآن.

بالنسـبة لعقـلية الطبـقة الحاكـمة: الرأسـماليـة والإقطاع يكونان شقـيقين في تلك الفـترة، في الإقطاع ـ كمـا اليوم ـ في الرأسمـالية الثروة هي المـسيطرة، في الإقطاع الأغنيـاء يحكمون بفـضل السيطرة التي يمـارسونها عـلى الأراضي الشاسـعة، وهذه كانت آنـذاك عامل الثـروة، اليـوم: الأغنيـاء يحكمـون لأنهـم يسـيطرون على الأسـهم والأوراق المالية. الإقطاع كدَّره عراك مسـتمر حدث بين كبار الملاك

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العقاريين الذين كانت الأرض موضوع تنافسهم. الرأسمالية تكدرها الآن حرب صناعية، حيث تكون الشركات الصغيرة باستمرار فريسة للمجموعات الصناعية الكبرىٰ. في أوروبا القديمة (القرون الوسطىٰ) كانت الثروة مركزة في أيدي ملاك الأرض: دوقات، بارونات، كومتات، إنها اليوم مركزة في أيدي الرأسماليين: رؤساء الشركات، نوابهم، الإداريين. النظام الإقطاعي كان بربريًا ويضطهد الفلاحين والأقنان، والرأسمالية قاسية ووحشية، تضطهد البلدان النامية والعمال غير المؤهلين، في الحالتين الاستغلال يقوم علىٰ عدم الملكية وعلىٰ الظلم الاقتصادي» (ص ٣٠١ ـ ٣٠٢).

و «فيما يتعلق بالحياة اليومية توجد أيضًا عدة تماثلات بين الإقطاع والرأسمالية: الدعارة والانحراف كانا وباء الإقطاع كما هما بالنسبة للرأسمالية اليوم. آنذاك كما اليوم العلاقات والروابط العائلية تراخت، آنذاك كما اليوم السلطة السياسية والإدارية غير مركزية. في نظام الإقطاع الفرسان يحاربون باسم ولاتهم، اليوم حل محل الفرسان الجنرالات والكولونيلات والجيش. باختصار: آنذاك كما اليوم، العقلية الاستحواذية هي السائدة وهي التي تصنع القانون. لهذه الأسباب جميعًا أعتبر النظام الإقطاعي والرأسمالية فرعين مختلفين لنفس الشجرة المسماة عصر الجمَّاعين» (ص ٣٠٣).

الرأسمالية الغربية ـ التي تمثلها أمريكا أعظم تمثيل ـ تنحدر، «أعراض هذا الانحدار في الحاضر يمكن رؤيتها لكل من يتجشم مشقة النظر: معدلات الجريمة المروعة، تفكك الروابط العائلية

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وآثارها على المسنين، نسبة الطلاق المرتفعة، والتسامح الفاضح مع البورنوغرافي (الفن الخليع) والدعارة، وموجة سوء استخدام المخدرات، وإدمان الكحول، وتحول الفن والرياضة ـ وعمليًا كل شيء ـ إلى تجارة، وعدم إحساس العمال العاملين بالآخرين العاطلين.. هي جميعًا أعراض أزمة تعصف بالرأسمالية اليوم. إنها جميعًا أعراض لا تظهر إلا في نهاية عصر الجمَّاعين» (ص ٣٠٥).

الإعداد: إن ما يذكره الدكتور (سقوط) عن ظهور أمراض اجتماعية في المجتمع الأمريكي صحيح تمامًا، «وتعكس هذا: الأوضاع الصحية المتفاوتة، وبنية الثروة والمداخيل الحالية في أمريكا؛ حيث يكسب مدير مؤسسة كمعدل وسطي ما يبلغ حوالي ٩٠ مرة أكثر مما يتقاضاه العامل الصناعي (مقابل ٤٠ ضعفًا عام ١٩٨٠م) وفي الوقت نفسه: يكسب ٣٠٪ من الأمريكيين السود و٢٠٪ من الإسبان أقل من حد الفقر الرسمي ويعيشون في مدن الصفائح.

وما يزيد هذه الوضعية خطورة: كمية المخدرات التي يستهلكها الأمريكيون، ووفق بعض التقديرات: تستهلك الولايات المتحدة ـ التي تضم من ٤ إلى ٥٪ من سكان العالم ـ ٥٠٪ من الكوكايين العالمي، ويؤدي مثل هذا الإدمان إلى ضغوطات قوية على الأجهزة الصحية. ولا يقتصر الأمر على علاج الراشدين؛ إذ ولد عام ١٩٨٩م ـ وحده ـ ٣٧٥٠٠٠ من الأمريكيين وهم مدمنون أصلاً، وخاصة على الكوكايين والهيروئين.

وبدورها، تغذي المخدرات الجريمة التي تبدو في الولايات المتحدة أعلى من أي بلد صناعي آخر، وبفضل ما لرابطة National Rifle As-

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

sociation من سلطة سياسية، يستطيع الأمـريكيون اقتناء الأسلحة القاتلة واسـتخـدامهـا بسهـولة تذهل المراقـبين الأجـانب. ويقدر أن بحـوزة الأمريكيـين ٦٠ مليون مـسدس و ١٢٠ مليون بندقـية، وأنهم يتـقاتلون بمعـدل ١٩٠٠٠ شخص كل سنة بالمسـدسات بصورة رئيـسة. ويصل معدل جرائم القـتل بالنسبة لعدد السكان إلى أربعة أو خمسـة أضعاف ما هو عليه في أوروبا الغربيـة، (فيما يصل معدل حـوادث الاغتصاب إلى سبعة أضعاف، والاغتصاب مع العنف إلى عشرة أضعاف).

ويعتـقد الخـبراء أن لهـذا العنف جذوراً ثقـافيـة، ولا يمكن رده حصراً إلى الفقر؛ فمعدل جرائم القتل أعلى بكثير في نيويورك منه في أكواخ كـالكتا [بالهند] مثلاً، وفي سـياتل Seattle المدينة المزدهرة التي اعتـبرت مـؤخراً الأولى في الولايات المـتحدة بالنسـبة لنوعـية الحـياة، يصـل عدد جـرائم القـتل إلى سـبعـة أضـعاف عـددها في بيرمينجهام Birgmingham في إنجلترا.

كـما أنـه لا يمكننا ـ رغم ذلـك ـ تفسـير العنف بغـياب القـمع وتقـصيـر الشرطة؛ فـانطلاقًا من الأرقـام الأخيـرة: تؤوي السجـون الأمريكية أكثر من مليون محكوم، أي نسبة أعلى من تلك التي نجدها في جنوب إفريقـيا وفي الاتحاد السوفـيـتي السابق، ومن أصل كل ١٠٠,٠٠٠ أمـريكي زنجي نجد ٣٠٠٠ في السـجن، فيـما كـانت إفريقيا الجنوبية ولفرض التمييز العنصري تسجن ٧٢٩ أسود من أصل كل ١٠٠,٠٠٠» (ص ١٩٦ ـ ١٩٨).

هذا، بينمـا «تبلغ نسـبة المـجرمـين المـسجـونين في الولايات المـتحـدة ٤٢٦ من أصل كل ١٠٠,٠٠٠ نسـمة، أمـا المعـدل في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أستراليا فهو ٧٢، وفي هولندا ٤٢ فقط، وكان المعدل السوفييتي ٢٦٨ لكل ١٠٠,٠٠٠ . ويشكل السود الذين لا يتجاوز نسبتهم ١٢٪ من السكان في أمريكا نصف المساجين تقريبًا» (ص ٢٣٨).

طليعة: أضف إلى ما ذكر:

في الأمن: يكشف «التقرير الأخير لـ (صندوق حماية الأطفال) ـ المؤسسة الرئيسة لحماية الأطفال في الولايات المتحدة ـ رصد الخط البياني الصاعد بلا توقف للأطفال والمراهقين المقتولين بالأسلحة النارية: (منذ عام ١٩٧٩م وحتى ١٩٩١م قُتل ما يقرب من ٥٠ ألف أمريكي أقل من تسعة عشر عامًا (٩ آلاف أقل من أربعة عشر عامًا، و٤٠ ألفًا بين خمسة عشر وتسعة عشر عامًا) قتلوا برصاصات أو حوادث أو جرائم متشابكة. في خلال الفترة ذاتها، نجد أن عدد المحتجزين لارتكاب جرائم قتل وذبح ممن هم دون سن التاسعة عشرة قد تزايد بنسبة ٩٣٪) وحسب ما ورد في التقرير ذاته، فإنهم في الأغلب الشباب الذين يقتلون أو يصيبون شبابًا آخرين» (ص ٩٧).

وفي العدالة الاجتماعية: «أثبتت إحدى الدراسات التي أعقبت أحد المؤتمرات، ونشرت في مارس عام ١٩٨٩م ـ أثبتت أن : (الخمس الأكثر حرمانًا ـ الأقل من مستوى خط الفقر ـ من السكان، رأى انخفاض عائداته بـ ٦٪ من عام ١٩٧٩م حتى عام ١٩٨٧م، في نفس الوقت ارتفعت الدخول بنسبة ١١٪ بالنسبة للخمس الأكثر رفاهية) هذه الإحصاءات قد رصدت أيضًا التضخم، وشملت المبالغ المُنْفَقَة في الدعم الاجتماعي والضرائب، فالخمس الأكثر حرمانًا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

انخفضت بالفعل عائداته الشخصية بنسبة ٩,٨٪، بينما ارتفعت العائدات الشخصية للخمس الأكثر رفاهية بنسبة ١٥,٦٪.

لقد اعترف التقرير ذاته (بالمعازل) الاقتصادية: (فلقد اتسعت الفجوة بين الأمريكيين الأغنياء والفقراء في الثمانينيات، بحيث أمست في عام ١٩٩٠م، عائدات ميلونين ونصف المليون من الأغنياء تساوي مجموع عائدات مائة مليون مواطن قابعين أسفل السلم الاجتماعي) (مكتب ميزانية الكونجرس، ١٩٨٩م)» (ص ٩٠).

«كما أن هناك (عنصرية اقتصادية) حقيقية تقسم الولايات المتحدة إلى أمتين؛ ففي هذا البلد الذي يجوع فيه طفل بين كل ثمانية أطفال، لا يَكُف عدد الأطفال الذين يموتون في الأحياء الأكثر فقراً عن الزيادة، وتتعدى معدلات موت الأطفال في مثل هذه الأحياء الفقيرة معدَّله في دول مثل سري لانكا وبنما وشيلي وجاميكا» (ص ٩٨).

وفي الاقتصاد: تعيش الولايات المتحدة «أعلى بكثير من إمكاناتها: فاستغلال العالم يتم على نفس النحو الذي تمت به مجازر الهنود، كما لو كانت مذابح الهنود الحمر لم تكفها، ويبرز هذا التعدي للحدود في التسلط القائم رغم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأغنى رسميًا في العالم، ولكنها في الواقع أكثر دولة مدينة ـ أيضًا ـ بما يقدر بـ ٣٠٠٠ مليار دولار من الدين الخاص، ومبلغ مماثل من الدين العام، وهذا يعني ما يساوي ثلاثة أضعاف ديون كل دول العالم الثالث مجتمعة» (ص ٩٧).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وفي الاطمئنان النفسي: «يتساوى حجم تجارة المخدرات ماليًا مع حجم تجارة السيارات والصلب داخل الولايات المتحدة، كما يتزايد الاستهلاك يوميًا مع افتقاد معنى للحياة وتفشي البطالة والإقصاء، ولأسباب أخرى عديدة. كما أصبحت الغاية الوحيدة لاستهلاك المخدرات هي الإحساس بسعادة التسوق في السوبر ماركت التي تسمح بها.

وهكذا، فمما له مغزى كبير: أن انتحار المراهقين ترتفع معدلاته في البلدان الأغنى ـ كما في الولايات المتحدة والسويد ـ ومن ثم ينتحر الشماليون لغياب الغايات، بينما يموت الجنوبيون لنقص الوسائل!» (ص ٤٢).

ولكني مع كل ذلك أقول: إن من أهم أسباب الانحطاط في المجتمع الأمريكي: **الانحطاط الثقافي** الذي يسوده منذ زمن «ذلك أن انحطاط الثقافة ينبع من تاريخ الولايات المتحدة ذاتها ومن تكوينها؛ لأن الثقافة لا تلعب أي دور مُنَظِّم في حياة المجتمع الأمريكي» (ص ٤٧).

وقد رصد ألكسيس دي توكيل هذه الظاهرة في كتابه عن «الديمقراطية الأمريكية» في عام ١٨٤٠م عندما قال: «لا أعرف دولة يوجد بها هذا القدر القليل أو المنعدم لاستقلالية العقل والمناقشة كما في الولايات المتحدة» (ص ٦٥) أي: ديكتاتورية في الفكر.

و «في القرن العشرين، أصبحت تلك السيطرة على الفكر أكثر إحكامًا، شخصيات عامة، وباحثون في العلوم السياسية، وصحفيون،

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وممـثلو الصناعـة، ورجال العـلاقات العـامة التي يتـعاظم نمـوها، وآخرون، اعترفوا بأنه في بلد يصبح فيه صوت الشعب مسموعًا يكون ضروريًا أن يظل هذا الصوت يقـول ما يتناسب مع النظام العام!» (ص ٦٥) أي: مسايرة العامة وحتى لو كانوا غوغاء!

الإعداد: أحب أن أشيـر هنا إلى أن الأزمة في ثقـافة المجـتمع وليست في نظامه التـعليمي، حيث يؤكد الخبـراء: أن «الأزمة ليست موجودة في المدرسة، بل إن المـجتمع الذي بناه الأمريكيون أعطاهم بدوره نظام التـعليم الذي يسـتـحقـونه، وهم يرون أن مـيل الثـقافـة الأمريكية إلى الابتذال ـ أي: التركيز على رغـبات المستهلك، وثقافة البـوب، والرسـوم المتـحـركة، والـضجـة، واللون، واللهـو ـ بدل التشجيع على التفكّر الجدي، هو بمـثابة جرح ناتج عن طعنة وجّهها المجتمع إلى جسده، يشاهد الطـفل الأمريكي المتوسط خمسة آلاف ساعـة أمام الشـاشة الصغـيرة قـبل أن يدخل إلى المدرسـة، وعندما سيخرج منها يكون قد مكث عشرين ألف ساعة أمامها.

وما يفاقم هذه الثقافـــة الشبابية غير التَفَكُّرِيَّة ـ التي تستـمر فيما بعد عبـر الانجذاب إلى الرياضة والمنشورات السيـئة ـ إنما هو تفككُ العائلة، خاصـة في أوساط الزنوج الأمريكيين، وهو مـا يدفع بالكثير من الأمهات إلى مـواجهة مصـيرهن بمفردهن، وكذلـك تعاظم عدد النساء العاملات الذي يؤدي (وبعكس ما هو سائد في مجتمعات شرق آسيا) إلى غياب الأم (المربية الأولى) عن البيت خلال فترة طويلة من النهار، وعدا أطفال بعض المجموعـات التي تشدد على أهمية التربية

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

(الأمريكيون من أصل آسيوي) يتشرب الطفل الأمريكي المتوسط القيمَ التي تنتجها صناعة ترفيهية فارغة، بدل القيم التي تستند إلى مرجعيات أخلاقية وتنشر الانضباط وحب التطلع الفكري الذي يدفع إلى التدريب، ومن غير الممكن ـ رغم ذلك ـ الطلب من المدارس، خاصة في المدن، أن تعالج الأزمة الاجتماعية الثقافية» (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

«أليس هذا ما يفسر لماذا يتناقص إقدامُ الأمريكيين على الاقتراع؟ فإذا كان الأمريكي المتوسط لا يهتم إلا قليلاً بالثقافات الأجنبية، ولا يستطيع تعيين الخليج العربي على الخريطة؛ فكيف سيفهم حيثيات التدخل في الخارج أو الحاجة إلى زيادة المساعدات المخصصة للتنمية، أو كيف سيتابع التغيرات التي تُحدثها القوى العالمية؟» (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

لذا: يجب دائمًا أن ننتبه إلى أنه «فيما يتركز قسم كبير من الجدل حول (أفول وتجدد) الولايات المتحدة على الاقتصاد، فإن فشل النظام التربوي ـ إضافة إلى النسيج الاجتماعي، ورفاهية الناس، وحتى حياتهم السياسية ـ يشكل أيضًا موضوعًا لمناظرات عديدة، وذلك على الأرجح لوجود تخوف من أن يكون العجز عن المنافسة ناتجًا عن أسباب عميقة وليس فقط ـ مثلاً ـ عن معدل غير كاف للتوفير. والواقع: أن الفرضية التي تقول: إن الشعب الأمريكي قد اختار الطريق السيئ.. هو ما يتميز به أساسًا هذا الفكر. وكما يقول المعلق التلفزيوني الشهير جون شانسلور: (القوة متوافرة، غير أن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

مجموعة من عوامل الضعف تقوضها. . .)» (ص ١٩٥).

المضيف: أفهم من ذلك أن عوامل انحطاط أمريكا تكمن داخلها. .

سقوط: في الحقيقة، لو تحدثنا على المستوى المادي فإنه يوجد «في أمريكا جيل جديد من الاقتصاديين الكلاسيك الجدد بدأ يعترف ببعض فشل الرأسمالية، مثل: غياب المنافسة الكاملة، قلة إنتاج الخيرات المطلوبة اجتماعيًا مثل الطرق والحدائق، وجود آثار جانبية غير مرغوبة اجتماعيًا مثل تلوث الجو وتوسيخ البيئة، وفوق كل شيء الأزمات الاقتصادية» (ص ٢٩٨).

وفي المقابل: «المدافعون عن الرأسمالية يؤكدون أن النظام لا زال سليمًا، وأنه لم يشهد في التاريخ مثل هذا الازدهار، وأنه رغم التركيز الهائل للثروات في بعض الأيدي، فإن أي نظام لم يقدم مثل هذا القدر من الرفاهية والسعادة لهذا العدد الكبير من المواطنين، هنا بالضبط يخدعون أنفسهم!؛ الشيء الوحيد الذي له حساب عندهم هو المادة، ولكن في العمق هذه المادية الفائقة ـ خاصة هذه المادية التي نراها ـ والنفاق الرأسمالي هما المسؤولان عن كل أمراض المجتمع، قادة العالم الغربي لا يوحون اليوم لا بالثقة ولا بالاحترام، كل ما يثيرونه هو الغيرة: الغيرة من حياتهم المرفهة، الغيرة من السهولة التي يخدعون بها الجمهور العام» (ص ٣٠٥).

وكما ذُكِر سابقًا فإنه «حتى في المستوى المادي، بعض ادعاءات الرأسمالية ـ وليس كلها ـ زائفة. أمريكا التي تضم ٦٪ من سكان

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العالم تستهلك على الأقل ٣٠٪ من الموارد الطبيعية في العالم كله. ومع ذلك يوجد داخل حدودها فقر حاد ـ خاصة بين السود والأقليات الأخرى ـ فإذا كان هذا أفضل ما تستطيع الرأسمالية عمله بعد أن تستنزف كل سنة ثلث الموارد العالمية، فإننا نتساءل: لماذا الازدهار الاقتصادي يكون موضع هذاالصخب؟!» (ص ٣٠٦).

الإعداد: «الواقع أن حجم الاقتصاد الأمريكي، وما يتصف به من تعقيد، لا يسمحان بتصنيفه في خانة الاقتصاد الضعيف إلى حد اليأس، ولا بالمقابل في خانة الاقتصاد الجبار: إنه مزيج من القوة والضعف.» (ص ١٨٣) هذا إذا تحدثنا عن الاقتصاد، وهو جانب مهم جدًا من وجهة نظري.

ولكني ألفت النظر إلى وجود أبعاد خارجية أيضًا بالنسبة لتقدم أو تأخر (أو ما تسمونه انحطاط) أمريكا، وخاصة في الجانب الاقتصادي، وهي تتمثل في المنافسة الشديدة، ليس فقط مع خصومها، بل حتى مع أصدقائها، كما تتمثل في أولويات الإنفاق والاهتمام بالنسبة لأمريكا مقارنة مع هؤلاء الأصدقاء والحلفاء «ففي عام ١٩٨٨م مثلاً خصص أكثر من ٦٥٪ من الأموال الموجودة للأبحاث الفدرالية للدفاع، مقابل ١٥,٠٪ لحماية البيئة و ٢,٠٪ لتطوير الصناعة. ولْنُشر هنا أيضًا إلى أن الولايات المتحدة عمدت وهي تخوض سباقًا مكلفًا على التسلح مع موسكو، ولتحسين حصتها من السوق العالمية.. إلى منازلة حلفاء لها مثل اليابان وألمانيا اللتين لا تخصصان إلا نسبًا أدنى من مواردهما للدفاع، ويتوفر لهما بذلك

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ما يلزم من رساميل وجهاز بشري وأبحاث للصناعة التجارية، أي ما لا يحصل عليه قسمٌ من القاعدة الصناعية الأمريكية. إذن ـ والحال هذه ـ، يطلب الأمريكيون من حلفائهم المزيد من المساهمة في الدفاع المشترك؛ بحيث يتمكنون من عصر النفقات العسكرية لتلبية الحاجات اليومية» (ص ١٨٢).

المضيف: كلامك الأخير يوضح لنا جانبًا من أسباب إصرار أمريكا دائمًا على إشراك حلفاء وأصدقاء لها في حروبها المعاصرة، حتى لو لم يكن لهؤلاء الحلفاء ناقة ولا جمل في هذه الحروب، وهنا تختلط مصلحة أمريكا بطبيعة النظام العالمي الذي روجته ثم أعلنت نفسها حامية له.

نشوء[1]: دعني أوضح لك الأمر بجلاء أكثر وأضرب لك مثالاً: عندما تكون في سباق ما: لا يعد تقدمك للأمام وحده تقدمًا، ولكن ينبغي أن يقاس هذا التقدم نسبة إلى مواقف منافسيك الآخرين، فلو كنت تتقدم ومنافسوك يتقدمون أكثر منك فإنك في الحقيقة تعد متأخرًا.. أليس كذلك؟ وقد يزيد من صعوبة موقفك وجود أثقال تحملها وحدك أو وجود انحراف في مسار سعيك للوصول للهدف، لذا: فمن طرق تحقيق تقدمك: إلقاء بعض هذه الأثقال على منافسيك، فإذا نجحت في ذلك فإنك سوف تتخفف منها ويزداد تقدمك في الوقت الذي يقل فيه

(١) كتاب: نشوء وسقوط القوى العظمى، تأليف: بول كيندي، ترجمة مالك البديري، نشر: الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

حُمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

تقدم منافسيك نتيجة الأثقال التي أُلقيت عليهم، ومن هذه الطرق أيضًا: تصحيح مسار سعيك نحو الهدف أو وضع منافسيك في مسار خاطئ يبعدهم عن الوصول إلى ذلك الهدف.. تعال نطبق ذلك على التنافس (أو الصراع) بين الدول، فأقول:

«إن القوى النسبية لدول المقدمة ذات التأثير على الشؤون المالية العالمية لن تبقى ثابتة أبدًا؛ لسببين: **أولهما**: تباين معدل النمو للمجتمعات المختلفة، **وثانيهما**: تفاوت الاتجاهات التكنولوجية والتنظيمية التي تأتي في نهاية المطاف بمنفعة كبرى لهذا المجتمع على حساب الآخر.

وهنا نذكر على سبيل الذكر أن قدوم السفن الشراعية ذات القدرة على الإبحار لمسافات طويلة والمزودة بالمدفعية، وكذلك نشوء التجارة عبر المحيط الأطلسي بعد عام ١٥٠٠م، لم يأتيا بالمنفعة (المتساوية) لجميع أوروبا، بل إن بعضها انتفع أكثر بكثير من البعض الآخر. كما أزاد التطور الأخير الذي شهدته الطاقة البخارية، وكذلك نمو مصادر الفحم والمعادن، من القوة النسبية لبعض البلدان، وبالتالي: قلل من القوة النسبية لبلدان أخرى.

فالبلدان حيثما أدركت أن قدرتها الإنتاجية قد تعاظمت كان يسيرًا عليها أن تتحمل أعباء الإنفاق على تسليح واسع النطاق في عصر السلم، وأن تحافظ على جيش جرار وأساطيل ضخمة تأتيها بالذي تحتاجه في أيام الحرب. قد لا يبدو هذا التعبير ناضجًا من وجهة النظر التجارية، لكن الثروة سلاح لدعم القوة العسكرية، والقوة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العسكرية ثروة مكتنزة تتيح الحصول على الثروة وحمايتها؛ فلو خصصت الدولة نسبة كبيرة من مصادرها لأغراض عسكرية فحسب بدلاً من توظيفها لأغراض إيجاد الثروة وتنميتها لاختطت لنفسها طريق التداعي على المدى البعيد، وستلقي الدولة بنفسها في خطر توسعها الاستراتيجي المفرط ـ أي احتلالها لمناطق شاسعة أو ولوجها حروبًا باهظة التكاليف ـ لو رجحت كفة الإنفاق الهائل على مثل هذا التوسع الخارجي الفائدة المرجوة منه، وتلك مصيبة ستزداد حدة عندما تدخل تلك الدولة مرحلة الانهيار الاقتصادي النسبي. ويبين لنا تاريخ نشأة وسقوط بلدان كانت طليعية في ميزان القوى العظمى منذ التقدم التي شهدته أوروبا خلال القرن السادس عشر (إسبانيا، هولندا، فرنسا، الإمبراطورية البريطانية، وحديثًا الولايات المتحدة) ترابطًا دالاً ـ على المدى البعيد ـ بين الإنتاج ونمو عوائده من جهة، وبين القوة العسكرية من جهة أخرى» (ص ١٢ ـ ١٣).

الإعداد: وهناك بُعْد آخر في هذا الموضوع، وهو بعد التدخل (الأجنبي) في بنية المجتمع والدولة الأمريكية نتيجة تبني سياسة العولمة بصورة واسعة مؤخرًا؛ فالعولمة كما أنها تتيح الفرصة لتدخل أمريكا في العالم فإنها أيضًا يمكن أن تتيح الفرصة لتدخل الآخرين في أمريكا والتأثير فيها «ويتعاظم الآن هذا الاهتمام بالوضعية الاقتصادية الأمريكية، في جو من القلق المتزايد حول ما قد تستتبعه الميول الراهنة من نتائج تطول الأمن القومي والقوة الأمريكية وموقعها في الشؤون العالمية. ماذا سيجري إذا ما امتلك بعضُ الأجانب احتكارًا في صناعات تزوّد البنتاغون؟، أو إذا لم يعد بالإمكان الحصول على

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

سلعة ذات أهمية عسكرية كبرى إلا من الخارج؟ هل سيُدفع ثمن سياسي إضافة إلى الثمن المالي من جراء هذه التبعية؟ (. . .) وماذا سيحصل إذا ما بات الاقتصاد الأمريكي ينمو بنصف سرعة اليابان أو المجموعة الأوروبية طوال العشر أو العشرين سنة المقبلة؟، هل يستمر توازن القوى المنتجة بالتبدل، لكي تُخلع الولايات المتحدة في نهاية المطاف عن المرتبة الأولى؟» (ص ١٩١ ـ ١٩٣).

طليعة: اسمحوا لي أن أسجل نقطتين بعد هذا الكلام الجيد:

النقطة الأولى: هي عن العلاقة بين أمريكا والقوى الدولية الأخرى، فأوروبا «لم تعد الحليف المؤكد والدائم للولايات المتحدة الأمريكية. ولم يظهر هذا الموقف في معاهدة ماستريخت فقط؛ فتلك المعاهدة التي تهدف منذ توقيعها إلى استقطاب كامل لأوروبا بجعلها ملحقة خاضعة وثانوية لحلف الأطلنطي، ما زالت تظهر يومًا بعد يوم آثارها السلبية وأضرارها الاقتصادية والثقافية، وتوضح أكثر فأكثر انقسام الأوروبيين فيما بينهم (. . . .) يتلازم هذا الانقسام مع تحول الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر دولة دائنة في العالم إلى أكبر دولة مدينة في العالم. ومعدل الاستثمار في الولايات المتحدة الأمريكية يعد الأقل بين الدول الصناعية الكبرى؛ فبرغم قوتها العسكرية التي لا تعتمد على قوة المقاتلين والتي لا تتمنى ـ كما تشير تقارير البنتاجون ـ إلا دخول حروب (لا تخسر فيها قتيلاً واحدًا)، وذلك بإمكاناتها التقنية العالية الخاصة بإدارة المعارك عبر الضغط على أزرار الكومبيوتر والمراقبة بشاشات الرادار، بهدف أن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

يصبح قادتها بذلك أسياد العالم. . برغم كل ذلك تحولت الولايات المتحدة شيئًا فشيئًا إلى عملاق بكعب (أخيل)» (ص ٣٥ ـ ٣٦).

«لهذا الضعف الواضح والقصور، تقامر الولايات المتحدة حتى الآن وحتى إشعار آخر، على سياسة التسليح لمواجهة صعود أي عمالقة آخرين إلى قمة العالم التي تعتليها. ومن ثم: فهي لا تسلح فقط مرتزقها الرئيسي في الشرق الأوسط (إسرائيل) تسليحًا كثيفًا، بل تسعى أيضًا لعرقلة صعود الصين، بينما تسعى إنجلترا إلى تمييع عودة هونج كونج إلى الصين، وتبعث الولايات المتحدة طائرات تقدر قيمتها بأربعة مليارات ونصف المليار إلى تايوان، كما تبيع حليفتها فرنسا لتايوان ٦٠ طائرة ميراج، وذلك للحيلولة دون أن تصبح الصين الموحدة قوة عالمية بسوقها الداخلية المحتشدة بمليار ومائتي مليون نسمة، وبمواردها الطبيعية الهائلة، وبأيديها العاملة الكادحة» (ص ٣٦) ، وهذا يقودنا إلى:

النقطة الثانية: والتي هي عن مكانة التسلح والحروب في الاستراتيجية الأمريكية الساعية إلى الهيمنة على العالم؛ فمن المعروف أنه «في صبيحة الحرب العالمية الثانية، حددت الولايات المتحدة معالم خططها الجيوسياسية، إذ إن مجموعات بحث في (معهد العلاقات الخارجية) ـ المؤثر جدًا في عالم المال وفي عالم السياسة الخارجية) ـ ووزارة الخارجية، قد وضعا مصطلح ما يسمى بـ (المجال الكبير)، وهو ما يجب أن يظل خاضعًا لمصالح الاقتصاد الأمريكي، ويجب أن يضم على الأقل نصف العالم الغربي والشرق

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الأقصى والإمبراطورية البريطانية القديمة، (وبرغم خضوعها، فإنه يجب ـ مع ذلك ـ في حدود الممكن تنميتها وتطويرها لتكوّن نظامًا كاملاً ومستقلاً نسبيًا، وتضم في كل الأحوال أوروبا الغربية وخزانات الطاقة بالشرق الأوسط والتي تتحول لتصبح في يد الولايات المتحدة) (نعوم تشومسكي: الأيديولوجية والسلطة، الناشر إبو، ص ٢٠)» (ص ٧٣ ـ ٧٤).

وقد كتب چورچ كينان رئيس إدارة الدولة لفريق التخطيط عام ١٩٤٨م (وثيقة هيمنة) قال فيها صراحة:

«نحن نملك حوالي ٥٠٪ من ثروة العالم، غير أننا نمثل ٦,٣٪ من سكانه فقط.. وفي مثل هذا الوضع، لا يمكن تجنب أن نكون هدفًا للضغينة والغيرة.. فمهمتنا الحقيقية في الفترة القادمة هي: تطوير نظام للعلاقات يسمح لنا بالحفاظ على هذه المكانة، دون تعريض أمننا القومي للخطر. ولتحقيق هذا علينا أن نتخلص من أي رومانتيكية، وأن نكف عن الحلم، مع البقاء متيقظين. ويتعين أن يكون كل تركيزنا منصبًا على أهدافنا القومية المباشرة والفورية، وألا يصيبنا الغرور، ولا يمكن أن نسمح لأنفسنا اليوم باتباع رفاهية حب الغير والخير(!) على الصعيد العالمي. وينبغي أن نتوقف عن الحديث عن أهداف كبيرة غير محددة فيما يخص الشرق الأقصى؛ فهو غير قابل للتنفيذ، وكذلك حقوق الإنسان، ورفع مستوى المعيشة، وإرساء الديمقراطية. ولن يكون بعيدًا اليوم الذي سيكون علينا فيه استخدام القوة (دراسات سياسة التخطيط (P.P.S.) لـ ٢٣ فبراير ١٩٤٨م)» (ص ٦٣).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

كما عبر وزير الدفاع الأمريكي السابق ـ قبل أن يتبوأ هذا المنصب ـ . . عبّـر بوضوح عن أسلوب السـيطرة المتوقع مـن أمريكا، وذلك عندما قال : «إن برامج التعليم في الكليات العـسكرية الأمريكية تتغير حـسب الأهداف، ولهـذا أعلنت الكليـات الحـربيـة لتلاميـذها أن الدراسات الاستـراتيجية للحـرب ستتركز حـول: الحرب في الريف، ومكافحة الإرهاب، ومعالجة الأزمات (ذات التكثيف الضعيف)، أي: الحرب المـحدودة، وعلىٰ سبيل المـثال: غزو بنما؛ لأن الصـراعات المحتـملة قد تستوجب حـربًا (متوسطة الكثافة) مـع العدو القوي في العالم الثالث، ممـا يحتم اهتمامًا خاصًا، وبالأخص إذا اعـتبرنا القوة احتياجًا حيويًا لفرض السيطرة علىٰ أقاليم ومناطق جديدة للحافظ علىٰ الإمكانية المـفتوحـة للوصول إلىٰ الأسواق والمـواد الأولية البعـيدة» هكذا قـال السـيناتور ويليـام كوهين، من لـجنة القوات المـسلحـة. (مايكل كليـر: القوات الأمريكيـة تواجـه الجـنوب (جـريدة الأمـة ـ Nation)، الأول من يونيو عام ١٩٩٠م) » (ص ٨٠ ـ ٨١).

و «لقد تأكدت الرغبة الواضحـة للإدارة الأمريكية في الهيمنة علىٰ العالم عقب تدمير العراق. ولقد أبرزت وثيقتان للپنتاجون هذا التوجه بوضوح: الأولىٰ تحت إدارة پـول دي وولفوفيـتش، والأخرىٰ تحت إدارة الأميرال جـيريميـا نائب رئيس لجنة رئاسة الأركان. وفيـما يلي أربعة مقتطفات منهما:

ﻍ (الولايات المتـحدة هي الضامن للنظام الـعالمي، لذلك يجب أن نتصرف باستقلاليـة في حال وقوع كارثة تتطلب رد فعل سريع، أو

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عندما يصعب تجميع موقف عالمي موحد).

ﻍ (علينا التحرك لمنع تكوين نظام أمني بأوروبا، يمكنه تهديد توازن حلف شمال الأطلنطي).

ﻍ (إذابة ألمانيا واليابان في النظام الأمني الجماعي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية).

ﻍ (إقناع جميع المنافسين المحتملين بعدم ضرورة التطفل للعب دور عالمي أكبر من الذي يلعبونه الآن بالفعل).

للوصول إلى ذلك يجب الحفاظ على وضع القوة الهائلة الخاصة بنا وتخليد الهيمنة عبر إيقاع الهزيمة بأسلوب مدمر وقوة عسكرية تكفي لردع أي أمة أو مجموعة من الأمم عن تحدي إرادة الولايات المتحدة. وذلك يجعلنا نضع في الاعتبار رغبات ومصالح الدول الصناعية المتقدمة لكي لا نشجعها على مجابهة القيادة الأمريكية، أو أن تسعى إلى إدانة النظام السياسي والاقتصادي الموجود. (كتبها پول دي لاجورس (مدير مجلة (الدفاع القومي) في (لوموند ديپلوماتيك) الفرنسية، في أبريل عام ١٩٩٢م)» (ص ٨٢ ـ ٨٣).

المضيف: كلام مهم ومفيد، ولكني ألاحظ أننا ابتعدنا بعض الشيء عن مسار حديثنا؛ فقد كنا نتحدث عن عوامل الانحطاط الكامنة في أمريكا؛ وتطرق الحديث إلى العوامل الخارجية، ثم علاقة أمريكا بالآخرين واستراتيجيتها في الهيمنة.. إذا أردنا إكمال الحديث من نقطة عوامل الانحطاط، تُرى ما هي رؤيتكم للمستقبل؟

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

طليعة: ما ذكرته سابقًا لا ينقطع عن الحديث عن عوامل الانحطاط، بل يقدم تصورًا للمستقبل!

سقوط: على صعيد الصراعات مع (الآخر) فإني أتوقع أنه في «عام ٢٠٠٠ فإن الصراعات الداخلية التي تختمر سواء قبل أو بعد عام ٢٠٠٠[1] سوف تنتهي بأن تصبح على مستوى عالمي، نزاع عالمي يضع العالم كله في حالة هيجان. ومن المحتمل جدًا أن المخزون المتكون في العالم بفضل مصانع الأسلحة الأمريكية والروسية والأوروبية، سوف يجد فرصته للتدخل بشكل أو بآخر، في خلال هذا الاضطراب تبرز الحركة الروحية الجديدة إلى السطح» (ص ٣٢٣).

نشوء: وإذا وقع ذلك فإنه حتمًا ستكون هناك نتائج كارثية على بعض الأطراف المشاركة فيها، وقد تستفيد منها أطراف أخرى؛ لأنه «إذا كانت الحرب قد أثرت بقسوة على بعض البلدان، فإن بلدانًا أخرى أفلتت من لوعتها ـ بل وتحسنت أحوال بلدان أخرى بسببها ـ؛ وما ذلك إلا لأن للحرب الحديثة والإنتاجية الصناعية التي تتولد عنها نتائج إيجابية. واستنادًا إلى المعايير الاقتصادية والتكنولوجية البحتة نرى أن هذه السنين قد شهدت تطورات عديدة؛ في إنتاج السيارات والجرارات، وفي الطيران، وتكرير النفط، والمواد الكيماوية، وفي الصناعات الكهربائية، وسبك المعادن، والتبريد، والتعليب، وهكذا بالنسبة لصناعات أخرى. وسيكون من الطبيعي الاستفادة تجاريًا من هذه التطورات الاقتصادية لو كان البلد بعيدًا عن نيران الخطوط الأمامية.

---

(١) كما ذُكر سابقًا، نُشر الكتاب الأصلي في طبعته الأولى عام ١٩٧٨م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وهكذا وَجَدَتْ [في السابق] الولايات المتحدة تحديداً ومعها كندا وأستراليا وجنوب إفريقيا والهند وأجزاء من أمريكا الجنوبية، وجدت اقتصادياتها تنمو وتحفز بالطلب المتزايد لأوروبا ـ التي ترنحت بحرب استنزاف ـ من الصناعات والمواد الخام والمواد الغذائية. وكما هو شأن الصراعات التجارية السابقة، فإن مصائب قوم عند قوم فوائد شريطة أن يتجنب القوم المستفيد كلفة الحرب، أو أن يحمي نفسه في أقل تقدير من عصفة الحرب الكلية» (ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤).

سقوط: أما على المستوى الداخلي للمجتمع الرأسمالي ـ وعلى رأسه أمريكا ـ فإن «التاريخ يقول لنا إنه عندما يكتسب القادة عقلية استحواذية مفرطة، ويفقدون الإحساس بمعاناة الفقراء، فإن الوضع الاقتصادي يسوء حتى يقود إلى ثورة لا مفر منها، هذا ما حدث قريبًا في الكتلة السوفييتية، ويحدث في كل مرة يسود فيها الطغيان» (ص ٣٤٦).

فـ «الدراسة الجادة لأهم ثورات العالم: الثورة الفرنسية، الثورة البلشفية... ثورة ماو... إلخ، تُظهر قضية مشتركة: أنها اندلعت جميعًا بسبب إفراط بيروقراطي شمولي غير مبالٍ بظروف الجماهير وبسبب تدخل الرأسماليين المثقفين.

الغول البيروقراطي نفسه يهدد اليوم بتقويض العالم الغربي، هذا الغول يتضخم يوميًا ومستمر في ذلك، في المستقبل القريب ينتهي بإرغام الجماهير على رفع السلاح لكنسه هو والذين أوجدوه» (ص ٣٠٧).

«إن التركز المتطرف للسلطة السياسية في الكتلة السوفييتية أدى إلى انهيار الشيوعية، والتركز المتطرف للثروة في الغرب يسرع بسقوط الرأسمالية» (ص ٣٤٧).

حُمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

طليعة: في الحقيقة فإن المظالم التي اقترفها هذا المجتمع مستمرة منذ زمن بعيد، وقد طالت أممًا كثيرة في بقاع عديدة من العالم وليست داخل الغرب وأمريكا فقط:

؟ فمن الذي يعيد لپيرو الـ ١٨٥ ألف كيلو جرام من الذهب، والـ ١٦ مليون كيلو جرام من الفضة، التي اعترف (بيت العقود التجارية) لأشبيلية بنزحها ما بين عامي ١٥٠٣م و١٦٦٠م؟!

؟ ومن الذي يعوض هنود أمريكا عن قتلاهم [تقلص عددهم من ١٠ ملايين إلى ٢٠٠ ألف] وعن نهب واغتصاب قارتهم؟!

؟ ومن الذي يعوض الهند القديمة، المصدرة العالمية للنسيج، عن ملايين أطنان القطن المنهوبة من زارعيها بأسعار بخسة؟!، ومن يعوضها عن تدمير وحرق الأنوال اليدوية لصالح مصانع لانكشاير الكبرى؟!.

؟ ومن يعيد إلى إفريقيا حياة الملايين من أبنائها الأشداء الذين نقلوا عبيدًا للأمريكتين عن طريق النخاسين الغربيين طوال ثلاثة قرون؟!» (ص ٢٠٨).

سقوط: إذا صدق حدسي فإن عصر الجمَّاعين الحالي «قد بدأ في الغرب نحو عام ١٨٦٠م، ليبلغ ذروته في حوالي الثلاثينيات من القرن العشرين، وهو في حالة انكماش منذ تلك الحقبة. التجربة التاريخية تعلمنا أنه في عصر ما مدة التيارات الصاعدة والهابطة تقريبًا متساوية. إذن الاتجاه الصاعد للرأسمالية استمر ما بين ٧٠ و٨٠ عامًا تقريبًا، فإن انحدارها سوف يستغرق في العموم عدد السنوات نفسه،

حُمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وهذا يعني أن الثورة الاجتماعية التي تخلع الجمَّاعين عن عرشهم يجب أن تحدث عام ٢٠١٠م أو عام ٢٠٢٠م تقريبًا» (ص ٣٠٧).

طليعة: أريد أن أختم كلامي حول هذا الموضوع بأن أقول:

«لقد تحول الوهم الذي دام مئة عام بالحلم الأمريكي إلى كابوس أمريكي بسبب رغبة قادة أمريكا في السيطرة على العالم، وبسبب جموحها البربري في التسلح، وبسبب نفاق تلك (الليبرالية) الاقتصادية المفروضة على الشعوب لامتلاك أسواقها بإنشاء عدة إمبراطوريات للشر متعاقبة، تسوِّغ إرهابها الخاص باسم محاربة الإرهاب، وتسوِّغ (جرائمها ضد الإنسانية)» (ص ٢٢١ ـ ٢٢٢).

المضيف: إذن: ماذا تريد أمريكا من نفسها ومن العالم؟ وإلى أين تتجه هذه الصخرة التي يدحرجها طوفان المادية من علٍ؟ وما مصير من يريدون اللحاق بأمريكا؟ هل لنا أن نفهم أنفسنا قبل أن نفهم أمريكا؟!

❁ ❁ ❁

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

التحالف الأسود (غ)

في خبر أوردته وكالات الأنباء ذكر عقيد سابق في جهاز الاستخبارات الروسية الخارجية أن الجهاز هو المسؤول عن مجموعة التفجيرات التي شهدتها العاصمة الروسية موسكو في سبتمبر/ أيلول ١٩٩٩م، والتي نُسبت إلى (متطرفين) شيشان، وأدت لاحقًا في سياق تطورات الموقف إلى اندلاع الحرب الروسية في جمهورية الشيشان. وقد أدلى الضابط بشهادة مكتوبة، وأخرى عبر التلفزيون للجنة وطنية روسية ما زالت تبحث عن أسباب تلك التفجيرات.

وسواءً أكان مضمون هذا الخبر صحيحًا أم لا فإنه لم يكن هذا أول الاتهامات ـ ولا آخرها ـ لجهاز مخابرات ما بتدبير أعمال تخريبية ضد مواطني بلده، ثم إلصاقها بقوى سياسية أخرى، أو استغلال نتائج وآثار هذه الأعمال لتحقيق مكاسب سياسية بعيدة وغير ظاهرة للجمهور. . وليس ببعيد عنا الجدل الدائر حول ما حدث في الجزائر؛ خاصة أنه لم تَخْبُ بعد جذوة الاعترافات العلنية والاتهامات للجيش وأجهزة الأمن الجزائرية بتدبير المذابح البشعة ـ أو على الأقل بعضها ـ ضد المواطنين الجزائريين العزل، وإلصاقها بالجماعات الإسلامية المختلفة. وإن صدقت هذه الاعترافات والاتهامات؛ فإن

(غ) قراءة في كتاب: التحالف الأسود ـ وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة. ١٠/ ١٤٢٣هـ ـ ١٢/ ٢٠٠٢م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الهـدف من تلك الأعمـال: إشاعـة الذعر بـين المواطنين، وتسـويغ قمعهم باسم الحفـاظ على الأمن، واستمرار الحكم بحالة الطوارئ، وتشويه صورة التيار الإسلامي كله، وتحقيق مكاسب سياسية وإعلامية داخلية وخارجية من وراء ذلك..

وليس ذلك بمستـغرب على أجهزة الاسـتخبارات عمـومًا؛ حيث تَعُدُّ هذه الأجـهزة (العـمليات القـذرة) من صلب أعمالهـا، بل تضع مثل هذه الأعمال ضمن مفاخرها التي تُظهر فيها مهاراتها وكفاءاتها.

والكتاب الذي نعـرض له يكشف كثيرًا من هذه الأعـمال، ولكنه يضـيف أطرافًا أخـرى ضـالعة في هذه الأعـمـال ومكملة لأدوارها، كأجـهزة الإعلام وعصـابات المخدرات؛ لذا جاء عنوانه: (التـحالف الأسود.. وكـالة الاستخـبارات المركزية والمـخدرات والصحـافة ـ Whiteout - The CIA, Drugs and the Press)، وقد صـدرت الطبـعة الأولى للترجمة عام ٢٠٠٢م عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

يقع الكتاب في ٥٠٠ صـفحة من القطع المتـوسط، وينقسم إلى مقـدمة وخمسـة عشر فصـلاً، وهو بدون تقديمات أو تمهـيدات من المـترجم أو غـيره من أصـحاب مـثل هذه الاهتمـامات من الكتَّـاب والباحثين العرب.

وإذا كنت لن أستطيع في مثل هذا المقـال تقديم عرض تلخيصي واف لمـثل هذا الكتاب الضـخم المليء بالمـعلومات والتـفاصـيل، فيمكن تقديم نبذ وإلماحات سـريعة مما ورد فيه عن هذا العَالَم الذي أقل ما يوصف به: أنه عَـالَم شياطين ومتـجردين من جميع الـصفات

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

والمعاني الإنسانية.

قبل أن يخوض الكاتبان في التفاصيل يؤكدان في المقدمة نقطة مهمة قد تغيب عن كثيرين أو قد تعمَّى عليهم، وهي إسناد المسؤولية عن هذه الأعمال إلى أصحابها الحقيقيين، فيقولان صراحة: «ونحن لا نقبل هذا الفصل بين أنشطة وكالة الاستخبارات المركزية عن سياسات الحكومة الأمريكية وقراراتها... فقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية على الدوام المنفِّذ المطيع لإرادة الحكومة الأمريكية التي تبدأ بالبيت الأبيض».

ثم يبدأ الكتاب بذكر قصة الصحفي «جاري وب»، وهو أول من كشف ـ بمثل هذه القوة ـ تورط الـ (CIA) مع عصابات تجارة المخدرات في إغراق المجتمع الأمريكي بأصناف المخدرات الفتاكة، وذلك عندما نشر أيام ١٨ و ١٩ و ٢٠ أغسطس عام ١٩٩٦م في صحيفة (سان هوزيه ميركوري نيوز) سلسلة مقالات بعنوان رئيس: (التحالف الأسود)، وعنوان فرعي: (القصة التي وراء زيادة تدخين الكوكايين المفاجئة)، وكان العنوان الرئيس في اليوم الأول هو: (جذور بلاء أمريكا في حرب نيكارجوا).

ويمضي الفصل الأول من الكتاب ـ وهو بعنوان: (قصة «وب» الكبيرة) ـ في ذكر تفاصيل هذا التورط، ولأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت في كل مرة تنكر ـ من خلال الصحافة الموالية لها ـ الاتهامات الموجهة لها، مدعية أنها اتهامات «لا أساس لها»، أو أنها «مبالغ فيها» أو أنها «غير مؤكدة»... فقد اهتم «وب» ـ وتابعه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الكتاب الذي نعرض له ـ بذكر التفاصيل الدقيقة المدعمة بالوثائق والمستندات والشهادات التي تدل دلالة دامغة على هذا التورط.

ترجع بدايات هذا التورط عندما سقط نظام «سوموزا» الموالي لأمريكا في نيكارجوا، واستيلاء شيوعيي جبهة «ساندينستا» على الحكم هناك؛ مما أقلق الإدارة الأمريكية ـ برئاسة كارتر حينها ـ ودفعها إلى تنظيم ميليشيات مقاومة عسكرية مضادة عرفت فيما بعد بـ (كونترا)، تمركزت في هندوراس، وأشرف عليها ضباط (فرق الموت) الأرجنتينيون السابقون، وقبل أن يوقِّع الرئيس ريجان في نوفمبر ١٩٨١م على قرار الأمن القومي الذي يوفر ميزانية مقدارها ١٩,٣ مليون دولار لكونترا من خلال وكالة الاستخبارات المركزية؛ وجد رجال الكونترا أنفسهم في ضائقة مالية، ولأن بعض قياداتهم ومن على صلة بهم ـ من أصحاب المصلحة في عودة النظام القديم ـ كان من أصحاب السوابق والملفات الإجرامية خاصة في التهريب؛ فقد برز تهريب المخدرات وبيعها بأسعار رخيصة في شوارع المدن الأمريكية ـ وخاصة جنوب وسط لوس أنجلوس ذات الأغلبية السوداء ـ وسيلة واقعية للتمويل تحت شعار (الغاية تسوِّغ الوسيلة).

إلى هنا والأمور قد تبدو متوقعة، ولكن غير المتوقع أن الـ (C.I.A) عندما لم تحصل من الكونجرس على المخصصات المالية التي طلبتها لتمويل الكونترا (خصص الكونجرس عام ١٩٨٤م مبلغ ٢٤ مليون دولار، وهو تقريبًا ربع ما طلبته الـ C.I.A)؛ بحثت عن مصادر تمويل بديلة، وكان نشاط رجال الكونترا في تهريب المخدرات هو الوسيلة (الواقعية) أمام وكالة الاستخبارات المركزية

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

للحصول على ما تريده من مال ـ خاصة بعد تفجر فضيحة (إيران كونترا) التي تورطت فيها الوكالة أيضًا ـ، فكان تهريب المخدرات وبيعها يتم بعلم ـ وأحيانًا بإشراف ـ الوكالة، بل كانت الطائرات العسكرية تهبط في بعض المطارات لتفرغ حمولتها من شحنات السلاح لمقاتلي الكونترا، وتعود محملة بشحنات المخدرات التي تأخذ طريقها فيما بعد لعصابات التوزيع في الشارع الأمريكي، ومارست الوكالة نفوذها لحماية هؤلاء المهربين والتستر عليهم، وإحباط جهود وكالة مكافحة المخدرات وجهات تنفيذ القانون الأخرى في ملاحقتهم.

وبحلول عام ١٩٨٥م كانت هناك ١٥ مدينة أميركية تشكل أسواقًا مفتوحة أمام مافيات المخدرات التي كانت توزع المخدرات أحيانًا بنظام (الأمانات !). . وتركت العصابات والتجار والموزعين الصغار ـ الذين يروِّجون هذه المخدرات في كاليفورنيا وسان فرانسيسكو ـ يجوبون الشوارع الخلفية بحُريَّة، وهكذا تسببت الوكالة في رفع نسبة المدمنين الأمريكيين بنحو ١٨٪ خلال عقد الثمانينيات، ولم يهتم هؤلاء جميعًا بحجم الشباب الذين كانوا يموتون من الجرعات الزائدة، أو يفقدون عقولهم عندما يلح عليهم المخدر ولا يجدونه.

لقد تسبب كوكايين التدخين الذي كانت هذه العصابات توزعه في تحطيم أسر بسبب الإدمان، وكان المدمنون يسرقون بأي صورة للحصول على الجرعة التالية، وكانت هذه العصابات تدخل في معارك دامية للسيطرة على مناطق النفوذ؛ مما أوجد مناخًا إجراميًا واسعًا في هذه المدن.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

¿ الهجوم المضاد:

لم يكن «وب» أول من أثار هذه الاتهامات ضد وكالة الاستخبارات المركزية؛ فالاتهامات نفسها أثيرت من قَبْلُ في منتصف الثمانينيات، ولكنها في ذلك الوقت لم تأخذ ما تستحقه من اهتمام وتم تجاهلها، أما عندما نشر «وب» مقالاته في منتصف التسعينيات فقد لعب الإنترنت دورًا مهمًا في نشر هذه المقالات واتساع الجدل حولها؛ لذا لم يكن من الممكن تجاهلها، كما أن أحد الأبعاد التي تناولها «وب» في مقالاته: ما ذكره من أن نشاط موزعي كوكايين التدخين الرخيص كان في المناطق التي يغلب على سكانها الأمريكان السود ذوو الأصول الأفريقية؛ مما أوجد موجة من السخط العارم وسط هذه الأوساط، وهذا أيضًا مما يعطي لمقالاته أبعادًا خطيرة، وخاصة أنه يشيع في هذه الأوساط من قَبْلُ اضطهادها من قِبَل السلطات التي يغلب عليها ذوو الأصول البيضاء؛ فهناك اتهامات بمؤامرات مفترضة، مثل: أن الحكومة تعمدت إصابة السود بڤيروس الإيدز، وأن دجاج الكنيسة المحمَّر ومشروبات سنابل أضيفت إليها كيماويات لتعقيم الرجال السود.. لذا: جاءت هذه الاتهامات الجديدة لتجد آذانًا صاغية، وتشعل ثورة الغضب من جديد؛ مما ينذر بخطر اجتماعي داهم.

من أجل ذلك كله كان لا بد من هجوم مضاد يهدف إلى أمرين: تحطيم «وب» مهنيًا والقضاء على مصداقيته هو والصحيفة التي نشر فيها مقالاته، وتبرئة ساحة وكالة الاستخبارات المركزية مما نسب إليها من اتهامات.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ومن ثم شُن على «وب» وصاحب صحيفته أشرس هجوم من وسائل الرأي العام المعروفة، ثم شاركت ـ فيما بعد ـ الصحيفة التي يعمل فيها «وب» نفسه في الهجوم عليه وتحطيمه. ونستطيع القول: إنها كانت «حملة إبادة» شاركت فيها وسائل الإعلام المعروفة لدى الرأي العام التي لبعض محرريها صلات بوكالة الاستخبارات المركزية، كالواشنطن بوست، ولوس أنجلوس تايمز، ونيويورك تايمز، وشبكة NBC، وشبكة CNN... ولكنهم لم يكونوا موضوعيين، ولم يناقشوا المستندات التي قدمها «وب»، ولا شهادات بعض الأطراف التي أدلوا بها تحت اليمين القضائي، ولكنهم بدلاً من ذلك حاولوا ممارسة نوع من النيل المعتمد على التجريح الشخصي، والتشكيك في الهدف من نشر المقالات، وكان بعضهم يدفع بأن ضرورات (الأمن القومي) تقتضي عدم نشر مثل هذه الأخبار، كقول أحدهم: «نحن نعيش في عالم قذر وخطير، وهناك بعض الأمور التي يجب ألا يعرفها الجمهور العام.. وأعتقد أن الديموقراطية تزدهر عندما يتخذ رجال الحكومة خطوات مشروعة للحفاظ على أسرارها، وعندما تقرر الصحافة إن كان عليها نشر ما تعرفه أم لا!!»، وغاية ما كان يأتي من بعض هؤلاء هو إحالة الاتهامات بتبرئة ساحة الوكالة كجهة حكومية، والزعم أن «أغلب ما سيظهر هو أن بضع ضباط من وكالة الاستخبارات المركزية كانوا يتربحون لحسابهم الخاص»، وهو ما تدحضه المستندات والشهادات التي قدمها «وب».

ثم يمضي الكتاب سارداً: تجنيد الوكالة للعلماء النازيين لخدمة أنشطتها المريبة، والتحالف مع أمراء الأفيون في بورما وتايلاند

حُمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ولاوس، وبرنامج الاغتيالات في ڤيتنام، والتواطؤ لقلب نظام حكم «سلبادور أيِّندي» في شيلي، وتسليح تجار الأفيون في أفغانستان، وتدريب الشرطة القاتلة في چواتيمالا والسلفادور، إضافة إلى التورط في نقل المخدرات والسلاح بين أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة. . ورغم كل ذلك يقول أعوان الوكالة في الصحافة إنهم اكتشفوا أن أيدي الوكالة ناصعة البياض، وعندما يتصدى صحفي معارض لهذا التيار ـ مثل جاري «وب» ـ يكون زملاؤه الصحفيون هم الأدوات التي تشن بها الحرب عليه لتكذيبه والتشهير به، رغم ما لديه من أدلة ومستندات وشهود على قيد الحياة.

¿ جذور البارانويا السوداء:

لم تكن ردود الفعل الغاضبة التي صدرت عن الأمريكان السود ـ بفعل حملة «وب» ـ نابعة من فراغ؛ فهناك تاريخ طويل من الاضطهاد العرقي الذي مارسه الرجل الأبيض في القارة الأمريكية ما زال ماثلاً في أذهان الملونين، والقصة التي ساقها «وب» عن تواطؤ المخابرات المركزية في انتشار المخدرات بين سكان الأحياء الفقيرة من مدن الجنوب الأمريكي مسَّت وترًا حساسًا في نفوس السود، واستدعت حالة البارانويا[1] التي خلفتها تصرفات الرجل الأبيض.

ونستطيع إيراد لمحات دالة من هذه التصرفات فيما يأتي:

---

(١) البارانويا الاضطهادية Persecutory Paranoia – جنون الاضطهاد أو الارتياب: حالة عصاب تتسلط فيه على المريض أوهام تتعلق بتعقب الناس له، ومحاولتهم إلحاق الأذى به.

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

استخدام السود كحيوانات تجارب:

فمن الحقائق المرعبة في هذا التاريخ: استخدام السود حقل تجارب طبية؛ فمنذ عام ١٩٣٢م، وعلى مدى أربعين عامًا، جُنِّد ٦٠٠ من السود ـ بدون علمهم ـ من مقاطعة ماكون بولاية ألباما؛ من أجل دراسة تُجريها هيئة الصحة العامة الأمريكية ومعهد تكسيجي، وأظهرت الدراسة أن أربعمئة من بين الستمئة مصابون بالسفلس (الزهري)، ولم يعط ضحايا تكسيجي أي علاج طبي فعال؛ لأن الباحثين كانوا يريدون دراسة التطور الطبيعي لذلك المرض التناسلي، وعندما كان أطباء آخرون يشخِّصون السفلس لدى بعض الرجال كان باحثو هيئة الصحة العامة يتدخلون لمنع إعطاء أي علاج.

التطهير العرقي:

على نمط حضارة (إسبرطة القديمة) و (أفكار النازية) اهتم بعض الأمريكان البيض بالظروف السيئة التي اتسمت بها الحياة في الأحياء الفقيرة، ومن هؤلاء: المعالج النفسي «فريد جودوين» الذي كان في عام ١٩٩٢م مديرًا لهيئة حماية اسمها (إدارة إساءة استعمال الكحول والمخدرات والصحة العقلية)، وكان «جودوين» شديد الحرص على تنفيذ برنامج حيوي طبي قومي للحد من العنف؛ حيث كانت الفكرة الجوهرية هي البحث عن (جين العنف)، وبحثًا عن الأساس البيولوجي المفترض كان «جودوين» يردد كل الوساوس (المالثوسية) التي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، والمفكرين والساسة الأمريكيين البيض في أوائل القرن العشرين، وقد كانوا يعتقدون أن (التعقيم) هو أفضل

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

طريقة للحفاظ على نقاء (مجمع الجينات القومي).

لم يكن «جودوين» أول من ابتدع هذه البرامج، ولكنه اتبع خطوات المعالج النفسي في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس «جولي ويست» الذي وضع خطة عام ١٩٦٩م لوضع أقطاب كهربائية في أدمغة المشتبه فيهم من الجناة الذين يتَّسمون بالعنف، وكان «ويست» بدوره يعمل لفترة طويلة مع كيميائيي وكالة الاستخبارات المركزية وغيرهم من العلماء والباحثين في استخدام (عقار الهلوسة) لتعديل السلوك البشري.. وفي هذه الفترة بالذات (أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات) كان علماء الأعصاب والمعالجون النفسيون مشغولين إلى حد كبير بمشاكل العنف الحضري، وكان أحد أساتذة «ويست» هو الدكتور «أرنست رودين» يوصي بإجراء جراحات المخ النفسية والإخصاء باعتبارها التكنولوجيا الطبية المناسبة للطبقات الخطيرة، وقد أوصى «ويست» بعد تمرد مقاطعة واتس في لوس أنجلوس بأن تحل مادة (أسيتات السيبرتيرون) ـ وهي مادة معقِّمة ابتكرها الألمان الشرقيون ـ محل منجل الخَصَّائين، وبحلول عام ١٩٧٢م اقترح «ويست» استغلال نزلاء السجون مواد للبحث في ذلك العلاج.

إن فكرة (مجمع الجينات القومي) فكرة قديمة، فقد كان مؤسسو معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ـ على سبيل المثال ـ متعصبين لتحسن الجنس البشري، وفيما بين ١٩٠٧م و ١٩١٣م وضعت اثنتا عشرة ولاية ـ وأولها إنديانا ـ لوائح للتعقيم الإجباري لأي شخص يثبت أنه مجرم أو معتوه أو مغتصب أو أبله موجود في مؤسسة حكومية،

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وتقرر لجنة طبية أن حالته (غير قابلة للتحسن).

ويورد «ألان تشيس» في كتاب The Legacy of Malthus أن ٦٣٦٧٨ شخصًا عُقِّموا تعقيمًا تامًا فيما بين ١٩٠٧م و ١٩٦٤م في ثلاثين ولاية ومستعمرة واحدة بموجب تلك القوانين، إلا أنه يشير كذلك إلى أن أولئك الضحايا يمثلون «أقل جزء من العدد الحقيقي للأمريكيين الذين أخضعوا في هذا القرن لعمليات تعقيم إجبارية لتحسين النسل البشري؛ أجرتهًا جهات فيدرالية وأخرى تابعة للولايات». ويورد «تشيس» ما قاله القاضي الفيدرالي «جيرهارد جيسيل» عام ١٩٧٣م في قضية رفعت باسم ضحايا التعقيم الإجباري للفقراء: «على مدى السنوات القليلة الماضية؛ كان يعقم ما بين ١٠٠ ألف و١٥٠ ألف شخص من ذوي الدخل المنخفض سنويًا؛ في إطار برنامج ممول فيدراليًا»، وكما يشير «جيسيل» فإن هذا المعدل يساوي ما تحقق في ألمانيا النازية.

لقد كانت تتردد باستمرار في برنامج التعقيم الكبير نبرة (العمل من أجل خير البشرية)، وإذا وُجد اعتراض في بعض الأحيان على هذا البرنامج فإن حجته كانت تقوم على أن التعقيم سوف يحرم العالم ـ على الأقل ـ من المواطنين المفيدين الممتثلين للقانون الذين يرعون أنفسهم، وهناك إقرار بأنهم قد لا يكونون أذكياء، ولكن لو توقف إنجاب محدودي الذكاء كافة؛ فمن ذا الذي سيحفر المجارير ويجمع القمامة؟!

ومع أن «اليوجينيين» الذين يفضلون كلمات من قبيل (ضعاف العقول) أو (البُله)، ويتحاشون عادة المصطلحات التي تنطبق على

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

جنس بشري بعينه؛ فقد كان الهدف في الغالب هو (السود).

ألا يمكن أن يزداد ما لدى الرجل الأسود أو المرأة السوداء ـ الذي يعاني بالفعل من (البارانويا) بشأن فكرة معالجة الفقر أو العنف على يد كيميائيين حكوميين يحملون في حقنهم عوامل (إعادة التوازن) ـ من بارانويا عند رؤيته آثار وساوس قديمة موجودة لدى الجهات الحكومية مثل وكالة الاستخبارات الأمريكية؟!

إنها إذن ليست (البارانويا) التي تجعل أي شخص أسود يستنتج أنه منذ تكريس المفكرين والساسة البيض البارزين في القرن التاسع عشر الكثير من جهدهم لتقليل عدد السود؛ عن طريق وسيلة (التعقيم) أو (الاعتداء الطبي الانتقائي) الذي يوصف تأدبًا بـ (علم اليوجينيا)!.

الحرب البيوكيماوية العنصرية:

يعود استخدام أمريكا للأسلحة البيولوجية إلى ستينيات القرن التاسع عشر؛ عندما وزع الأمريكان البطاطين الملوثة ببكتيريا الكوليرا على قبائل الهنود الحمر (مواد إغاثة خيرية!!)، وفي عام ١٩٠٠م نقل أطباء الجيش الأمريكي في الفلبين إلى خمسة من السجناء نوعًا من الطاعون، كما نقلوا البري بري إلى ٢٩ آخرين.

وفي عام ١٩٤٢م أصاب أطباء الجيش والبحرية الأمريكيون ٤٠٠ سجين في شيكاغو بالملاريا؛ في تجربة قصد بها الحصول على (صورة المرض، وابتكار علاج له)، وكان معظم النزلاء من السود ولم يُبَلَّغ أي منهم بمخاطر التجربة.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وفي عام ١٩٥١م لوث الجيش الأمريكي سرًا مركز (نورفولك) للتموين البحري في فيرجينيا بالبكتيريا، واختير نوع من البكتيريا كان يعتقد أن السود أكثر قابلية للتأثر به من البيض.

وفي عام ١٩٧٠م، وفي مقال نشرته (ميليتاري ريفيو) المجلة التي يصدرها الجيش الأمريكي وكلية الأركان العامة، ناقش عالم وراثة سويدي اسمه «كارل لارسون» الأسلحة المنتقاة وراثيًا، وذكر «لارسون» أنه رغم أن دراسة الإنزيمات المؤيضة للمخدرات لا تزال في بدايتها؛ فإن «التفاوتات الملحوظة في الاستجابة للعقاقير أوضحت احتمال وجود اختلافات وراثية كبيرة في قابلية الإصابة بالعوامل الكيماوية بين الشعوب المختلفة»، ومضى «لارسون» ليتوقع أنه في عملية أشبه بخرطنة الجماعات العرقية في العالم «قد يكون لدينا عما قريب شبكة نضع عليها الملاحظات الجديدة من هذا النوع»، وهي الفكرة التي تحققت مؤخرًا من خلال ما يعرف بـ (مشروع الجينوم البشري)، وفي الاتجاه نفسه أشار تقرير للجيش الأمريكي صادر في ١٩٧٥م في خاتمته إلى أنه «من الممكن نظريًا ابتكار ما تسمى أسلحة عرقية؛ يمكن تصميمها بحيث تستغل الفروق الطبيعية في قابلية الإصابة بين جماعات سكانية محددة».

الانتقائية العنصرية في تنفيذ القوانين:

يعد التطبيق العنصري لقوانين المخدرات الأمريكية أحد الموضوعات التي يتم تجاهلها دائمًا عند ذكر قصص (البارانويا السوداء)، وكان أول تطبيق عنصري لقوانين المخدرات في أمريكا ضد

حُمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عمال كـاليفورنيا؛ فبعـد الحرب الأهلية الأمريكية كان إدمـان الأفيون مشكلة كبيرة؛ وفي عام ١٨٧٥م أصبـحت سان فرانسيسكو أول مدينة تجرِّم تدخين الأفـيون بناءً على تشريع كان من الواضح أنه يسـتهدف العمال الصينيين الذين جُلبوا إلى الجنوب ليحلوا محل العبيد؛ جالبين معهم عادة تدخـين الأفيون التي شجعهم البريـطانيون على إدمانها. . فـجاء القـانون الأمـريكي ليـعاقب من يدخنـون الأفيـون دون الذين يتعاطونه سائلاً؛ حيث كان الرجـال والنساء البيض يتعاطونه على هذه الصورة الأخيرة.

في عام ١٩٣٠م أنشـئت إدارة جـديدة في الحـكومة الفيـدرالية، هي مكتب «المخدرات والعـقاقير الخطيرة» برئـاسة «هاري أنسـلنجر» الذي فرض رأيه بأن الإدمان غـير قابل للعلاج، وإنمـا يمكن القضاء عليه بالعـقوبات الجنائية، وكـانت أولى حملات «أنسلنجـر» الكبرى لتـجريم المـخدر المـعروف في ذلك الـوقـت باسم (القنّب)، ولكن «أنسـلنجر» أسـماه (ماريوانا) لربطه بالعمال المكسيكيين الذين كانوا ـ كالصينيـين قبلهم ـ منافسين غير مـرحب بهم في فرص العمل النادرة في فترة الكساد.

وفي عهد نيكسون؛ أكـد الرئيس أن مشكلة المخدرات تكمن في السود، وكـانت هذه الإلماحة فـاتحة لغضـب تام في سنوات ريجان وبوش وكلينتون، عندمـا أصبحت الحـرب على المخدرات صـراحةً حربًا على السود.

وهكذا نجـد أنه في عام ١٩٩٥م راجـعت لجنة الأحكام الأمريكـية ثمـاني سنوات من تطبـيق بند فـي قانون صـدر عـام ١٩٨٦م؛ يقـضي

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بالحكم بإعدام العقول المدبرة لتجارة المخدرات، ومنع طلب تخفيف الأحكام حتى جرائم الحيازة الصغيرة، ووجدت أنه عنصري بصورة لا سبيل إلى إنكارها في تطبيقه؛ ذلك أن ٨٤٪ ممن ألقي القبض عليهم لحيازتهم كوكايين التدخين كانوا من السود؛ بينما ١٠٪ فقط من البيض، و ٥٪ من ذوي الأصول الإسبانية، بل إن التباين في تحقيقات تجارة الكوكايين التدخيني كان أوسع؛ ذلك أن النسبة فيه كانت ٨٨٪ من السود، و ٧٪ من ذوي الأصول الإسبانية، و ٤٪ من البيض.

وكان ٧٠٪ من أحكام الإدانة بموجب القانون ـ فيما بين ١٩٨٩م و ١٩٩٦م ـ ضد البيض، و ٢٤٪ ضد السود، ولكن في ٩٠٪ من المرات التي سعى خلالها المحققون الفيدراليون إلى تطبيق عقوبة الإعدام لم يكن هناك ولا أبيض واحد، فقد كان ٧٨٪ منهم سودًا، والباقون من ذوي الأصول الإسبانية، علمًا بأن السود يمثلون ١٦٪ فقط من عدد سكان أمريكا.

التجسس الداخلي باسم الأمن القومي:

وباسم الأمن القومي ساد عام ١٩٦٨م نظام واسع من التجسس الداخلي ضم ٣٠٤ مكاتب في أنحاء البلاد، إلى جانب «ملفات أمن قومي مدمِّرة» عن ٨٠٧٣١ أمريكي، بالإضافة إلى ١٩ مليون ملف شخصي مودعة في فهرس التحريات المركزي بوزارة الدفاع، ومن أشهر من مُورس عليه هذا التجسس زعيم مقاومة التفرقة العنصرية الأسود الدكتور «مارتن لوثر كينج»، الذي شكل التجسس عليه واحدة من أطول المراقبات المفروضة على أي عائلة في التاريخ الأمريكي،

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بل يذكر الكتاب الشكوك التي تدور حول مقتل كينج نفسه.

ومن الشخصيات البارزة التي خضعت لهذا النظام: «إ. ب. دوبيوس» مؤسس الاتحاد القومي لتقدم الملوَّنين؛ حيث خضع للمراقبة قرابة سبعين عامًا، وألقي القبض عليه وقيد بالأصفاد بسبب دعوته لإجراء محادثات سلام مع كوريا الشمالية.

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية قد جمّعت من خلال (العملية فوضى)، وما شابهها من برامج، ملفات عن أكثر من ٣٠٠ ألف اسم، وكانت تتنصت على المكالمات التليفونية الخاصة بالصحفيين الأمريكيين، وتخترق الجماعات المنشقة، كما أنفقت ٣٣ ألف دولار لدعم حملة لكتابة خطابات تأييد لغزو كمبوديا.

¿ تاريخ أسود:

في ٢٢/ ١١/ ١٩٩٦م وجهت وزارة العدل الأمريكية إلى الجنرال «جين دافيلا» من فنزويلا اتهامات تتعلق بتوريد الكوكايين إلى أمريكا، وادعى المحققون الفيدراليون أنه أثناء رئاسة الجنرال «جين» لوحدة مكافحة المخدرات في فنزويلا!! هرّب ما يزيد على ٢٢ طنًا من الكوكايين إلى داخل أمريكا وأوروبا، ولكن «جين» رد على الاتهامات من ملاذه في كاراكاس بأن أكد أن شحنات الكوكايين إلى أمريكا كانت بموافقة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.

والحقيقة أن لهذه الوكالة تاريخًا حافلاً من (العمليات القذرة)، فلا خلاف على أن وكالة الاستخبارات المركزية استخدمت الاغتيال سلاحًا لإضعاف النظام السياسي أو الاجتماعي، وعلى سبيل المثال

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فقد اعترف مدير سابق للوكالة في سبعينيات القرن الماضي «وليام كولبي» بإشرافه على (برنامج فينيكس) وغيره من العمليات التي تسمى (مضادة للإرهاب) في ڤيتنام. وفي شهادة أدلى بها «كولبي» أمام الكونجرس تباهى بمقتل ٢٠٥٨٧ من نشطاء (الفيت كونج) بين ١٩٦٧م و ١٩٧١م فقط، بينما أعلن الڤيتناميون أن ٤١ ألفًا لقوا حتفهم.

وربما كان هؤلاء أسعد حظًا من ٢٩ ألف مشتبه فيهم من (الفيت كونج) قبض عليهم واستجوبوا بأساليب مرعبة؛ حتى بمعايير ديكتاتورات العالم الثالث، وفي عام ١٩٧٢م أدلى طابور من الشهود بشهاداتهم أمام الكونجرس بشأن الأساليب التي اتبعها محققو فينيكس: كيف كانوا يستجوبون المشتبه فيه ثم يلقون بهم من الطائرات، وكيف كانوا يقطعون أصابعهم وآذانهم، وكيف كانوا يستخدمون الصدمات الكهربائية، ويدقون الخوابير الخشبية في أدمغة بعض المسجونين، ويضعون المناظير المكهربة في فتحات شرج غيرهم.

ومن هذه العمليات التخلص من الزعماء الذين يمثلون مصدر خطر على مصالحهم، ولو كانوا من حلفائهم وعملائهم، فبحلول عام ١٩٦٠م كان «روفائيل تروخيو» رئيس جمهورية الدومينيكان قد أصبح مصدر إزعاج لواضعي السياسة الخارجية الأمريكية؛ إذ بدا فساده الواضح وكأنه سيؤدي إلى ثورة أشبه بتلك التي أتت بـ «فيدل كاسترو» إلى السلطة، وكانت الطريقة الوحيدة لتلافي ذلك الاحتمال غير المرغوب فيه هو ضمان انتهاء حياة «تروخيو» السياسية على الفور، وهو ما حدث في أوائل ١٩٦١م، فقد أردي «تروخيو» قتيلاً

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وهو في سيارته خارج بيته، وظهر أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت وفرت السلاح والتدريب لمنفذي اغتيال الطاغية الذي كانت الوكالة قد جاءت به إلى السلطة في البداية.

ويذكر الكتاب سلسلة من محاولات اغتيال الزعماء السياسيين الذين بدا وجودهم مزعجًا لأمريكا في أنحاء كثيرة من العالم؛ منهم: الزعيم الكونغولي «لومومبا» الذي حاولوا اغتياله بتسميم طعامه ومعجون أسنانه بسُمٍّ حيوي؛ يشبه في أثره مرضًا متوطنًا في الكونغو، ورغم تهريب السم والأدوات إلى البلاد في حقيبة ديبلوماسية إلا أن المحاولة أخفقت.

ولم تدخر الوكالة جهدًا لإجراء حوالي ثلاثين محاولة لاغتيال الزعيم الكوبي «فيدل كاسترو»؛ منها محاولة بتصميم طريقة لتشبيع ستوديو الإذاعة الذي يلقي منه «كاسترو» أحاديثه بـ (عقار الهلوسة) البخاخ وغيره من «المنشطات النفسية»، ودعت خطة أخرى إلى تشبيع نوع السيجار المفضل لدى «كاسترو» بالمخدرات المؤثرة على العقل أو بسُم الالبوتولينوم الذي يقتل خلال ساعات، بل إن لمس السيجار فقط ـ وليس تدخينه ـ كان يكفي كي يقتل ضحيته.

وفي عام ١٩٧٠م أُجبرت الوكالة قضائيًا على نشر خبر وجود سبعة صناديق من المعلومات عن برنامج أبحاث قامت بها الوكالة على مدى عشرين عامًا عن «المخدرات المؤثرة على العقل وتعديل السلوك»، والواقع أن هذا البرنامج ومجموعة كبيرة من المشروعات ظلت قائمة حتى عام ١٩٧٣م على الأقل، وشملت السعي لابتكار

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أساليب لضبط العقل بما في ذلك (جراحة المخ النفسية)، وكانت وكالة الاستخبارات المركزية ترغب في إيجاد نوع من (المرشح المنشوري)؛ وهي قائمة تضم أسماء القتلة والجواسيس (المبرمجين كيميائيًا ونفسيًا).

وهذا ناهيك عن حملات الدعاية المضللة، وجراحة المخ النفسية التي كانت تمارسها بشكل واسع على الشعب الأمريكي (إدارة الفهم) بوكالة الاستخبارات؛ بواسطة بعض وسائل الإعلام، وكبار شركات العلاقات العامة في البلاد...

والأمر ـ كما يقول الكتاب ـ فكما تُذَكِّرنا تلك اللمحات الموجزة؛ فإن وكالة الاستخبارات المركزية هي على وجه الدقة ما يتوقعه المرء من هيئة ذات تفويض يمتد من جمع وتحليل البيانات الاستخبارية، حتى تنفيذ التدمير، والتلاعب في الانتخابات، والاغتيالات، وإدارة الحروب السرية.... والكذب جزء من توصيف وظيفة وكالة الاستخبارات المركزية؛ حيث تقدم البيانات الزائفة دومًا للحلفاء، والصحافة، وغيرها من الوكالات الفيدرالية، والكونجرس..

¿ ماذا يعني (التحالف الأسود)؟

يسجل كتاب (التحالف الأسود) إخفاق الـ C.I.A في عملياتها أكثر من مرة، ولكن الإخفاق الكبير الذي يشير إليه هو الإخفاق الأخلاقي الذي لازم مسيرتها، بل إخفاق النظام السياسي الأمريكي في أن يكون وفيًا لمبادئ إنسانية يدَّعي أنه يؤمن بها ويحميها، ويشن الحملات العديدة على الدول الأخرى بدعوى مخالفتها لهذه المُثُل:

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

- فأين هي حقوق الإنسان عندما تنفذ «جهة حكومية» عمليات تستهدف القضاء على حياة هذا الإنسان أو تغييب عقله عندما تشرف على تهريب المخدرات؟!

- وأين هي هذه الحقوق عندما تمارس «جهات حكومية» عمليات تطهير عرقي وتفرقة عنصرية حتى ضد مواطنيها؟!

- وأين هي هذه الحقوق عندما تمارس أساليب القمع وانتهاك الحرمات والتجسس؟!

ورغم أن الكتاب يشير في متابعاته إلى نجاح بعض الصحفيين ـ إلى حد ما ـ في نشر ما يريده، وممارسة نوع من الرقابة على أجهزة تنفيذ القانون؛ فإنه يسجل كذلك كيف أن بعض أباطرة الإعلام وأعمدة الحكم متواطئون في العمل على إخفاء الحقيقة عن الرأي العام، ومحاربة من يسعون لنشرها، وهو ما يشير إلى حقيقة الإعلام الغربي المخدوع به كثيرون.

كما أن الكتاب يقدم شهادة على زيف الديموقراطية التي ينعق بها الغرب؛ فلقد ديست (إرادة الشعب ممثلاً في الكونجرس) مع كل شحنة مخدرات كانت تدخل أمريكا بعلم وكالة الاستخبارات الأمريكية؛ حيث لم ترض هذه الوكالة بالحصة المالية التي قررها (ممثلو الأمة الأمريكية)، ولجأت إلى تحقيق ما تريده هي ـ باعتبارها جهة تنفيذ ـ ولو كان ذلك بأقذر الأساليب وأبشعها وأضرها على المواطنين؛ فالمبدأ الوحيد الثابت عندهم هو أن (الغاية تسوِّغ الوسيلة).

❁ ❁ ❁

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

(٢٠٠١/٩/١١م)
انفجار الحدث والمشاعر

١- الإسلامفوبيا والعدالة الأمريكية.

٢- فليستقل چورچ الثالث عشر.

٣- لماذا نكره أمريكا؟

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الإسلامفوبيا والعدالة الأمريكية(غ)

وسط الغبار المتصاعد من الركام الناتج عن انهيار مبنى التجارة العالمي بنيويورك وجناح مقر البنتاجون بواشنطن يوم ١١/٩/٢٠٠١م.. تصاعدت تساؤلات عديدة، وبرزت علامات الدهشة والتعجب حول أكثر من نقطة:

- من وراء هذه التفجيرات؟
- ما أهدافهم منها؟
- كيف نفذوا هذه العمليات بهذه الدقة والكفاءة؟
- هل بهذه السهولة يمكن تهديد أمن أمريكا؟
- أين كانت أجهزة الأمن الأمريكية المتعددة المدربة على أعلى مستوى والتي أنفق عليها مليارات الدولارات؟
- هل حدث اختراق لمؤسسات رسمية أمريكية؟
- كيف ستستعيد أمريكا هيبتها أمام شعبها أولاً، ثم أمام حلفائها وأصدقائها ثانيًا، ثم أمام أعدائها ثالثًا وليس أخيرًا؟

تساؤلات كثيرة ومعقدة، وخيوط كثيرة ومتشابكة، من المفترض أن حل ألغازها والوصول إلى إجابات صحيحة لها قد يستغرق شهورًا وربما

(غ) ٨/ ١٤٢٢هـ - ١١/ ٢٠٠١م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

سنوات، وخصوصًا إذا أخذنا في الاعتبار أن حادث تفجير مبنى أوكلاهوما سنة (١٩٩٥م) ـ وهو أقل تعقيدًا بكثير ـ استغرقت التحقيقات والمحاكمات فيه زهاء ست سنوات، وتكلفت ١٨٠ مليون دولار.

ولكن المراقبين المحايدين فوجئوا أنه في سرعة مدهشة ـ وربما قبل اكتمال وصول المحققين إلى أماكن الحوادث ـ أشار المسؤولون الأمريكيون بأصابع الاتهام ـ وإن أسموه اشتباهًا تجملاً للعدالة ـ إلى جهة محددة ذات صفة معينة، بل إن ذلك قيل بثقة من الرئيس الأمريكي أو مساعد بارز له وهم على طائرة الرئاسة عقب التفجيرات مباشرة يوم الثلاثاء، بحسب رواية النائب الجمهوري دان ميلر الذي كان مرافقًا للرئيس.

ونحن وإن لم نجزم بأنهم بهذه التصريحات أثروا على (اتجاه التحقيق)، إلا أنهم ـ بلا شك ـ أطلقوا بتلك الإشارات العنان للآلة الإعلامية ـ ذات النفوذ الواسع على الرأي العام ـ للتهويل والتحذير مما دعوه (الإرهاب الإسلامي) وحده وإلصاق التهمة به قبل التثبت من ذلك، ولأجل إحكام إلصاق التهمة وإغلاقه أشاعت وسائل الإعلام عن أجهزة التحقيق ما قالت عنه إنه أدلة تصب في هذا الاتجاه.

وإذا استطعنا الخروج من تأثير الإرهاب الإعلامي الواسع والناشط باسم محاربة الإرهاب، والذي يهدف إلى تعطيل ـ أو التأثير على ـ تعقل الأمور، ومن ثم: الاندفاع خلف عاطفة غوغائية غير متزنة وقائمة على حجب الحقائق لتصب في تحقيق أهداف معدة سلفًا. . . إذا استطعنا الخروج من تأثير هذا الإرهاب فإن المنطق يقتضي أن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

نمحص الأدلة التي راجت في وسائل الإعلام لاتهام إسلاميين بهذه العمليات، وأن نبحث عن احتمالات منفذين آخرين لها، وأن ننقب وراء دوافع أمريكا ـ أو أهدافها، أو مصالحها ـ من التسارع في إلصاق التهمة بهذه الجهة والتحرك نحو (المواجهة) بهذه السرعة.

ونحن حين نقوم بذلك لا نقوم به من منطلق عاطفة الدفاع عن إسلاميين بحق أو بباطل بقدر ما نقوم به بحثًا عن حقيقة قد تغيب وسط التراشق الإعلامي الكثيف والألاعيب السياسية المتعددة.

(سيناريو) مضطرب لحوادث غير خيالية:

إن أي منصف ومتابع للأحداث و (التسريبات) التي أعلنتها وسائل الإعلام على شكل سيل من الأخبار والمعلومات: يدرك أن الغموض يكتنف كثيرًا من جوانب هذه الحوادث، ويدرك أيضًا أن لائحة الاشتباه والأدلة التي قُدِّمت على تورط الجهة التي حددتها السلطات الأمريكية.. إنما هي أدلة ـ من الناحية القضائية العدلية ـ من الدرجة الثالثة، يستطيع أي محام تحت التدريب أن يفندها بسهولة؛ فهي في حقيقتها ليست أدلة للإثبات بقدر ما هي أدلة للإقناع.. إقناع الرأي العام الأمريكي أولاً، والعالمي ثانيًا.. بخطر الإسلام (الأصولي) على المدنية والحضارة، وإقناعه بأن مجريات الأمور ـ رغم كل ما حدث ـ ما زالت تحت سيطرة أجهزة الأمن والتحقيق الأمريكية، وإقناعه بأن تحركات أمريكا التالية لهذه الحوادث تحركات مبنية على (العدالة المطلقة)، حتى ولو لم تثبت أدلة هذه العدالة بعد!.

فالشكوك تبدأ من أول نقطة في (السيناريو) المحكي عن الحادث، من كونها حوادث اختطاف طائرات أصلاً، ومن أن خاطفيها عرب

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

مسلمون، وقد شكك وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جورج شولتز في هذه النقطة متسائلاً: «منذ عشر سنوات لم يتم اختطاف طائرة أمريكية؛ فكيف يتم اختطاف (٥) طائرات خلال ساعة واحدة؟!».

- فهناك شكوك في كون تفجير مبنى البنتاجون تم باستخدام طائرة سقطت عليه، حيث بينت صحيفة (كيهان) الإيرانية ـ كما ذكر موقع الجزيرة نت ـ «أنه وبعد تفجير مبنى البنتاجون ذكر صحفيون أنه لا يوجد أي أثر لحطام طائرة في الموقع، وشككوا في كون الانفجار ناجمًا عن ارتطام طائرة، وخاصة أن شبكة التلفزة الأمريكية لم توفر حتى الآن أي صورة لحطام الطائرة في مبنى البنتاجون كما هو الحال في نيويورك».

- وإذا كان الانفجار حدث بسبب طائرة مختطفة ـ كما قيل ـ فإن هناك تساؤلات حول الأسباب التي دعت خاطفي تلك الطائرة إلى (التلكؤ) في ضرب المبنى لمدة ٦٠ دقيقة وقد كانوا قرب الهدف المقصود من البداية، وحول كيفية معرفة هؤلاء الخاطفين بالجناح الذي يضم موظفي عمليات الجيش والبحرية دون الأجنحة الثانوية الأخرى، رغم أن مبنى البنتاجون ليس مزارًا سياحيًا ـ خصوصًا للعرب والمسلمين ـ، وعن السر في عدم أخذ البنتاجون الاحتياطات الأمنية اللازمة رغم وجود فارق زمني يقدر بـ (٥٥) دقيقة بين انفجار الطائرة الأولى في نيويورك وانفجار البنتاجون الذي يقال عنه إنه أحصن قلعة في العالم!.

- كما أن الطائرة الرابعة التي قيل إنها سقطت بعد شجار مع الخاطفين، ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أنها لم تسقط ولكن أسقطت

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بواسطة مقاتلات أمريكية، ويؤيد ذلك ما أكدته قناة (TN) من أن إحدى قطع الطائرة المذكورة عثر عليها على بعد مسافة أربعة أميال من القطع الأخرى للطائرة، وهذا ما يثبت فرضية إسقاط الطائرة ـ بحسب المصدر السابق ـ ويشكك في رواية الخطف.

- ثم إن منطقة مثلث بوسطن نيويورك واشنطن التي وقعت فيها حوادث (الاختطاف) والتفجيرات تعد من أكثر الأجواء ازدحامًا، ومن أكثر المناطق في العالم حماية ومراقبة، ومن الصعب جدًا خروج طائرة عن مسارها وقطعها للاتصالات مع أبراج المراقبة من غير رصد وتتبع لها واستنفار ضدها.

- وتدور علامات استفهام كثيرة حول (عملية الاختطاف) ذاتها؛ فكيف استطاع عدة أشخاص لا يملكون سوى المدى السيطرة على عشرات الأشخاص بمن فيهم طاقم الطائرة الذي يفترض أنه مدرب لمواجهة مثل هذا (الشغب)؟ ولماذا لم يستخدم الطيارون الأربعة أزرار إعلان حالة الخطر عند إحساسهم بما يدور؟ كما أن المهارات المهنية التي تتطلبها قيادة طائرات ركاب تجارية كبيرة كالتي نفذت بها التفجيرات، والتنفيذ الفائق الدقة والكفاءة في إصابة الأهداف ـ وخاصة ما ذكر عن طائرة البنتاجون؛ حيث أدار قائدها الطائرة بزاوية ٢٧٠ درجة نحو اليمين وانخفض بها إلى مستوى متدن لا يسمح لأجهزة الرادار برصده وليكون في مستوى المبنى المنخفض (خمسة أدوار) مما لا يستطيعه سوى الطيارين الحربيين، بل يصعب على كثير منهم تنفيذه بواسطة طائرة مدنية، على حسب ما ذكره أحد مدرسي

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الطيـران ـ. . . كل ذلك يثير الـشك الكبيـر في الرواية الرسمـية عن خاطفـين قادوا الطائرات رغم أنهم من عيـنة التلميذ بليـد الفهم الذي أخذ مـعه كـتاب تعليم قـيادة الطائرات (باللغـة العربيـة) إلى المطار ليراجع دروسه ويتذكر معلوماته قبل دخوله (الامتحان)، ثم يتركه في سيـارته في مرآب الـمطار، أو أن يكونوا تدربوا على قيـادة الطائرات باستخدام إحدى ألعاب الڤيديوجيم كما افترض بعض الصحفيين.

- وأيضًا: من هم الـذين يستطيعـون معرفـة واستـخدام «شيـفرة أمريكيـة خاصة، كمـا كانوا على علم بمكان الرئيس بوش وبتـحديد مكانه، وهو الأمر الذي جـعل السلطات الأمريكية تعلن فيـما بعد أن طائرة الرئاسـة كانت مسـتهدفـة. وحسب المـعلومات الجـديدة فإن معاوني الرئيس ورجال الاستخبارات شعروا بالقلق الشديد بعدما تبين لهم أن منفـذي العمليات كـانوا على علم بالشيـفرة الخـاصة وبمكان وجود الرئيس. . . وأشارت المعلومات إلى أن رجال الأمن المرافقين للرئيس في طائرته تلقـوا رسالة استخـدمت فيهـا الشيفرة الخـاصة ـ ومصـدرها من منفذي العـمليات!ـ بأن طائرة الرئيس سـتكون الهدف التالي» (الشرق الأوسط، ١٦/ ٩/ ٢٠٠١م).

خاطفون أم مخطوفون؟

وما سبق يجرنا إلى الحديث عن قائمة أسماء المختطفين الأولى التي أعلنت سلطات التحقيق الأمريكيـة أنها لأشخاص عرب على صلة بتنظيم القاعدة وأسـامة بن لادن، لنجـد أن إعـلان هـــذه القـائمة يمـثل إخـفاقًا ذريعًـا لـ (FBI) مثلما كان الحدث نفسه سقوطًا مدويًا لـ (CIA).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فقد ذكرت صحفية (كيهان) الإيرانية «أن الركاب العرب لم يرد لهم أي ذكر في قائمة أسماء الركاب التي نشرتها شركتا الخطوط الجوية الأمريكيتان، ويبدو من خلال هذه الشواهد ـ كما أشارت إلى ذلك صحيفة نيويورك تايمز ـ أن موضوع الاختطاف لم يكن سوى سيناريو غير حقيقي يهدف إلى إخفاء حقيقة كون الحادث قضية داخلية».

- ورغم ذلك أعلن مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) أسماء خاطفين مزعومين، وذكر حينها روبرت مولر مدير (FBI) أن المكتب «على ثقة كبيرة» بأن أسماء الخاطفين التي أذاعها ليست أسماء حركية، ولا ندري ما الذي يدعو (إرهابيين) يملكون كل هذه الإمكانات ويتقنون فنون التزوير والاحتيال وسرقة الهويات ـ كما يذكر عنهم ـ إلى استخدام أسمائهم الحقيقية وهم يقدمون على عمل بهذا الحجم، مما يعرضهم للخطر قبل العملية ـ وخاصة أن فيهم من هم على قائمة المطلوبين من الشرطة الأمريكية ـ ويعرض شبكتهم للملاحقة بعد العملية؟!.

- وبعد ذلك بقليل تهاوت مصداقية هذه الأسماء، عندما ظهر أن أحدها لطيار مات منذ سنتين (أمير بخاري)، وبعضها لأناس أحياء يعيشون خارج أمريكا، وهم: عبد العزيز العمري (مهندس كهربائي بالرياض، وذكر في اللائحة تاريخ ميلاده بدقة)، عامر كنفر (مهندس طيار موجود في مكة المكرمة)، عبد الرحمن سعيد العمري (طيار موجود في جدة)، عدنان بخاري (طيار موجود في جدة)، أحمد حيدر محمد النعمي (مشرف طاقم ملاحين بالخطوط السعودية

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بالرياض)، سعيد حسين الغامدي (طيار سعودي موجود في تونس، وكانت الصورة المنشورة له حقيقية، وأعلن أنه لم يفقد جواز سفره سابقًا)، ومن أعلن اسمه ضمن قائمة المشتبه في ضلوعهم بالتفجيرات أيضًا: الطيار السعودي (وليد أحمد الشهري) الذي نشرت صورته (صورة حقيقية له بالفعل)، ثم تبين عدم صلته بالهجمات وأنه مقيم في المغرب ـ حيث يعمل في الخطوط المغربية ـ، وقد تم تقديم اعتذار أمريكي رسمي له فيما بعد!.

- وهذا مما يشكك ليس في هذه الأسماء فحسب، بل في حقيقة جميع الأسماء المعلنة للخاطفين، ويطرح تساؤلات قوية ومشروعة حول الأساس والمصدر الذي تم بناءً عليه إعلان هذه الأسماء، كما إن هذه الشكوك تزيد الغموض حول الهوية الحقيقية للخاطفين (أيكونون عربًا ومسلمين أم غير ذلك؟) وتعيد الافتراضات مرة أخرىٰ إلىٰ نقطة الصفر.

- كما أن السيرة الشخصية التي ذكرتها أجهزة الإعلام لبعض هذه الأسماء لا تتناسب أبدًا مع الاتجاه الفكري والأخلاقي الذي يُزعَم انتماؤهم إليه؛ فليس معروفًا في أوساط الإسلاميين أن من بينهم من يشرب الخمور ويرتاد ملاهي ليلية ويراقص النساء ويحتفظ بصورة (زعيمه) علىٰ سبيل الذكرىٰ، إنما يوجد ذلك فقط في مخيلة من اعتادوا رؤيته في أوساط (المنظمات النضالية) العلمانية والميكياڤيللية، ومن أجل ترقيع هذه الثغرة ودرء هذا التعارض خرج بعض المحللين والكتَّاب بتفسير سمج يدَّعي أن مثل هؤلاء يعيشون بشخصيتين في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الحيـاة: شخـصية المـتكيف مع الحيـاة الأمريكية، وشـخصـية الورع صاحب المـبدأ، وهو افتـراض قائم على مـحض التخمـين؛ حيث لم يعايش من يذكر ذلك هؤلاء الأشخـاص ويطلع على الجانب الآخر من حيـاتهم الذي يدَّعي وجوده، وهذا التـفسيـر فوق خيـاليتـه يجعل كل منتسب إلى الإسلام إرهابيًا افتراضيًا حتى ولو كان من أفسق الناس.

- ولو افترضنا جـدلاً أنه كان على الطائرات المتفجـرة أشخاص عـرب ومـسلمـون بالفـعل؛ فـما الـذي يُثبـت أن هذه الطائرات تم اخـتطافـهـا؟ وإذا ثبت ذلك، فـمـا الـذي يُثـبت أن هؤلاء العـرب والمسلمين هم الذين اختطفوها، فحتى لو زعم أنه ظهرت تسجيلات شجار دار بين أصوات عربية وأخرى في غرفـة القيادة: فلماذا يستبعد احتمال أن هـؤلاء العرب كانوا هم الذين يقاومون مخـتطفين آخرين؟ وإذا ثبت جدلاً أن هؤلاء العرب هم الخاطفون فهل يعني ذلك تلقائيًا أنهم ينتمون إلى جماعات وتنظـيمات إسلامية؟، ألا يمكن أن يكونوا عملاء لجهة غير عـربية؟ ثم: أليس في العرب من يعادي أمريكا غير هذه الجـماعات؟ وخـاصة في ضـوء عدم صـدقيـة الأسماء المـعلنة وذوبان الجثث مما يصعب ـ إن لم ينف ـ إمكانية التعرف على حقيقة انتماء هؤلاء الأشخاص، وإذا افترضنا أن هؤلاء الخاطفين ينتمون إلى جماعة أو أخرى فهل يعـني ذلك بالضرورة أنهم نفذوا تلك العمليات بناء على مخططات تلك الجماعة وأوامر قائدها؟ ألا يمكن أن يكونوا تصرفوا بصورة فردية؟.

إننا هنـا في مـعـــرض اتهـام ينبـني عليـه إدانـة أو براءة، ليس لأشـخاص، بل لجـمـاعات وربمـا لشعـوب ودول، بمـعنى أننا في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

معـــرض تحقيـــق (عـــدالة) لا يكفي فيهـا مجـرد الزعم بحدوث اتصال هاتفي (يتطور مضـمونه حسب معطيات مـا بعد الحادث) بين راكب وأحد أقـربائه أو أصدقائه، ولا يكفي فيـها أيضًا مجـرد وجود اسم عربي في سـجلات مـعاهد الطيران؛ فـهناك المئـات من العرب والمسلمين وأصحاب الجنسيات والديانات الأخرىٰ الذين يتدربون في مدارس عـديدة للطيران في أنحـاء أمريكا. . ولا بد قـبل إعلان اسم مشتبه فيه أن تتـوفر قرائن أو أدلة قوية تؤكد ذلك، وهذا ما دعا بعض المسؤولين في (FBI) إلىٰ الإقرار بأن عدداً من أسـماء قائمة التـسعة عشـر المـعلنة أولاً ربما يكون الخـاطفون اسـتخـدموها بـعد سـرقة هوياتهم، وأن أسماءهم الحقيقية قد تظل مجهولة.

ومع ذلك فإن السـياسـيين والعسـكريين ـ مصحـوبين بتظاهرات إعلامية كبيرة ـ لا ينتظرون حتىٰ انتهـاء التحقيقات، وتتسارع جهودهم لتوجيه الضربات للجهة التي حددوها من قـبل بدء التحقيقات. . غير معتبرين بتجربة حادث أوكلاهوما عندما أشارت أصابع الاتهام بتلقائية إلىٰ المسلمـين، بل تبارىٰ (الخبـراء) في تقديم الأدلة علىٰ ذلك، ثم اتضح بعد ذلك أن الجاني أمريكي (مـسيحي) (أبيض)، وبعد القبض علىٰ الجاني الحقيقي (مصادفة) وإجراء تحقيقات ومحاكمات استمرت ٦ سنوات، وقبـيل تنفيـذ حكم الإعدام في المتـهم المدان (تيـموثي ماكفي) اعترف مدير (FBI) وقتها لويس فـريه بارتكاب مكتبه أخطاء كبـيرة لعدم تقديم جـميع مسـتندات الأدلة (والتي تقدر بالآلاف) إلىٰ محامي المتهم المدان!.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ويشار أيضًا إلى قضية العالم الصيني الأصل (وين هو لي) الذي اتهمه (FBI) بالتجسس وتسريب التصاميم النووية إلى الصين، فأودع السجن لمدة تناهز العام، ثم أخلي سبيله بعد أن تبين للقاضي أن الإفادات التي تقدم بها بعض رجال (FBI) كاذبة.

ولم يعتبر السياسيون والعسكريون ـ ومعهم جوقة الإعلاميين ـ من تجربة قصف مصنع أدوية الشفاء بالسودان عقب تفجير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا، حيث أكدوا وقتها أن لديهم (أدلة قاطعة) على أنه مصنع أسلحة كيماوية، وأن صاحبه على علاقة بابن لادن، وبعد قصفه اعترفوا بخطأ أدلتهم واعتذروا عن قصفه ودفعوا تعويضات لصاحبه.

ولكن يبدو أن الأمر يتجاوز هدف الوصول إلى الحقيقة، فبحسب الخبراء فإن الكشف عن الفاعل الحقيقي سيستغرق وقتًا طويلاً، وبعد هذا الوقت أيضًا لن تستطيع الأجهزة الأمنية أن تجزم واثقة بأن هذه الجهة بعينها أو غيرها هي التي نفذت أو خططت للعملية.

ولكن في الوقت نفسه لا بد من استعادة هيبة أمريكا في العالم واستعادة إحساس المواطن الأمريكي بالأمان وبقوة دولته.. في أسرع وقت.. لذا: كان لا بد من تحديد جهة ما تفرغ فيها طاقة الغضب والثأر الأمريكي، ثم: ليكن إثبات مسؤولية هذه الجهة فيما بعد.

من أحرق أمريكا:

ما ذكرناه سابقًا عن (السيناريو) المضطرب والأدلة المتهافتة يشير إلى أن رواية الاختطاف قد تكون غير صحيحة، وأنها ذكرت لعدة أهداف: منها: ما ذكر سابقًا من استعجال إرسال ضربة تعيد هيبة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أمريكا وتطمئن مواطنيها، ومنهـا: ما ذكره بعض المراقبين من أنه قد تكون للتغطية على احتمـالات أخطر بكثير من (سيناريو الاختطاف)، كمـحاولة انقـلاب، أو حدوث انشـقاقـات وصراعات داخل أجـنحة السلطة والأجهـزة الأمنية الأمـريكية ذاتها، أو ضلـوع جهات أجنبـية أخرى لا يسمح بالكشف عنها الآن.

وعمومًـا فإننا إذا قلنا إن تورط جهات إسلامـية في هذه الأحداث احتمال وارد فإننا نستطيع القول أيضًا إنه ليس الاحتمال الوحيد وليس هو الاحتمـال الذي يحتل رأس القائمة؛ فكون بـن لادن أو غيره لهم دوافع للقيام بمثل هذه الحوادث أو أنهم توعدوا أمريكا قبلها وابتهجوا بفاجعتها بعدها.. لا يعد ذلك مسوغًا كافيًا لاتهامهم بها، ولا لحشد عاطفة الغرب ضدهم، ثم حشد جيوشه لحربهم؛ فليس بن لادن ولا العـرب أو الإسلامـيون وحـدهم الذين لهم دوافع عداء مع أمـريكا، فأعداء أمريكا وخصومها كـثر داخلها وخارجها، ومن توعدوا بإحراق أمريكا كثر أيضًا ومن مشارب وأديان شتى، ومن ابتهج بهذه الحوادث متنوعـون: صينيـون وعرب ويهود!، وحـدهم الإسلاميـون والعرب الذين سلطت عليـهم الأضواء وأشارت إليـهم الأصابع من أول يوم، وهذا يجعلنا نعيد إضاءة الاحتمالات الأخرى التي حجب عنها الضوء وصرفت عنها الأنظار عمدًا؛ لأن المنطق والتـحليل السياسي يفترض طرحها ضمن الجهات المحتمل وقوفها وراء الهجوم، مع ملاحظة أن ترتيب الاحتمالات التالية لا يعني ترتيبها حسب قوتها:

أولاً: فأولى هذه الاحـتمـالات: أن يكون الطيارون أنفـسهم هم الذين قاموا بهذه الـتفجيرات، حيث يجمع الطيـارين الأربعة (تشارلز

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

برلينجيم، وجو أجوتاوسكي، وفيكتور ساراسيني، وجيسون داهل) كونهم ضباطًا سابقين في سلاح الجو الأمريكي (طيارين مقاتلين)، ثلاثة منهم شاركوا في حرب ڤيتنام، والرابع قتل أخوه في الحرب نفسها، مع ملاحظة حدوث تناقض في المعلومات بشأنهم بين تلك التي نشرتها عنهم شركتا الطيران اللتان كانوا يعملون فيهما وبين المعلومات التي نشرتها الشرطة الفيدرالية الأمريكية، وهذا يفسر المهارة (القتالية) التي نفذت بها العمليات، كما يفسر عدم استخدامهم لأزرار حالة الخطر أو الطيران الآلي، كما يفسر ما ذكر عن أن (الخاطفين) استطاعوا فك واستخدام الشيفرة الأمريكية الخاصة، وهو ما لا يستطيعه إلا أشخاص نافذون على مستوى عال في الأجهزة الأمريكية، وهو اختراق يصعب جدًا إن لم يكن مستحيلاً أن يقوم به خاطفون (أجانب) أو شركاء لهم أجانب أيضًا.

أما دوافع هؤلاء الطيارين وهوية الشبكة التي تقف وراءهم ويعملون فيها، فهي احتمالات متعددة أيضًا:

أ - فقد يكونون طليعة الانقلاب العسكري (المفترض) أو أحد أدوات الصراع بين أجنحة السلطة أو أجهزة الأمن المتنافسة التي تريد بسط نفوذها أو إحراج خصومها بتحدي السلطة الأمريكية؛ لإثبات أن هذا الجناح هو الذي يملك السلطة الحقيقية في أمريكا.

ب - وقد يكونون أعضاء في مجموعات ومنظمات معارضة داخلية، كمنظمة (الجنود المعارضين لحرب ڤيتنام) ومنظمة (أعداء الإمبريالية).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ج - وذكرت صحيفة الوطن القطرية (١٧/٩/٢٠٠١) أن مصادر غربية مطلعة (جدًا) سربت لمراسلها في لندن «أنباء عن توفر معلومات دقيقة لدى القيادة الأمريكية بأن طيارين من الصرب من الموالين للرئيس اليوغسلافي السابق سلوبودان ميلوسوفيتش هم الذين نفذوا العمليات الانتحارية الأخيرة انتقامًا من الولايات المتحدة لدورها في حرب البلقان أولاً، وأيضًا لإجبارها الإدارة اليوغسلافية الحالية على تسليم الرئيس السابق لمحكمة مجرمي الحرب في لاهاي. ووفقًا لمصادر عليا فإن الطيارين الصرب يحملون الجنسيات الأمريكية، وأن الأمر أعد ورتب بالاتفاق مع أطراف داخلية مهمة تدين بالولاء لميلوسوفيتش الذي يقال: إنه أقسم على أن يجعل الولايات المتحدة تدفع ثمن كل يوم يمضيه في السجن بلاهاي». . لماذا يفترض الأمريكان أن الطيار المصري جميل البطوطي الذي سقطت ـ أو أسقطت ـ طائرته قبالة الساحل الأمريكي الشرقي. . هو وحده الذي يمكن أن ينتحر، رغم أن جميع المعطيات لا تشير إلى هذا الاحتمال سوى ما ذكره الأمريكان من أنه قال: (توكلت على الله)؟!.

- وقد يكون الطيارون أعضاء في إحدى المنظمات اليمينية المتطرفة، وهي منظمات متعددة ومتشعبة ومسلحة تسليحًا جيدًا، ويتغلغل أعضاؤها المقدرون بالآلاف في مؤسسات المجتمع الأمريكي، ولأهمية هذا الاحتمال نفرده بحديث خاص.

ثانيًا: فاحتمال أن يكون أعضاء في هذه الجماعات قاموا بهذه العمليات (سواء كانوا طيارين أم خاطفين) احتمال لا يمكن تجاهله،

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فـهذه الجـمـاعات تضـم آلاف المنظمـات التي تتعـدد في أشكالهـا وخطاباتها السياسية وحركاتها، وفوق أن هذه المنظمات تضم عشرات الآلاف من الأمريكيين فإنها تشكل ميليـشيات مسلحة، وتقوم بتدريب أعضائها على اسـتعمال السلاح والمتفجرات الحـية في معسكرات أو مزارع خاصة أو غابات.

وبحسب كتاب (جنود الله ـ اليمين العنصري والديني المتطرف في أمريكا) فإن هذه الجماعات تجمعها مبادئ مشتركة، أهمها:

أ - سمـو العرق الآري الأبيض (الأنجلوسـاكسون ـ الجِـرْمان ـ الغال ـ الإسكندناڤيون، التيتونيون) باعتبارهم وحدهم أبناء آدم (عليه السـلام)؛ ومن ثم: فـإنهم يعـدون العـرق الأبـيض هو شـعب الله المخـتار، ويعـدون أمريكا هي إسـرائيل البيـضاء، وعلى ذلـك فهم يقاومون اختلاط الأعراق الذي تسوغه التعـددية الثقافية وعملية الصهر داخل المجتمع الأمريكي.

ب - الهوية المسيحية هوية دينية، بمعنى أن أمريكا المسيحية هي إسرائيل الحقيقية وريثة مملكة يهوه ـ إله الكتاب المقدس ـ التي تطبق قوانين يهوه.

ج - الهوية القـوميـة الأمريكانية: لتكون أمـريكا أمة آرية بيـضاء مسـيحـية خـالصة: لا بد من تحـريرها من جميـع الأعراق والأديان الأخرى؛ ولذا: فهم يشـعرون بفخر وطني شـاذ، وأن لديهم تفويضًا إلهيًا بهذا التحرير.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

د - تقديس الحريات الفردية، وعلى رأسها: الحرية الدينية، وحرية التعبير، وحرية حمل السلاح، وحق الدفاع عن النفس، وحق تقرير المصير، ويرون أن هامش الحريات في مجتمعهم خاضع لأهواء الحكومة الفيدرالية.

ومن تفاعل المبادئ السابقة لدى تلك الجماعات فإن أفرادها يعتقدون أنهم مستعمرون في ظل حكومة شيطانية ماسونية صهيونية، تصادر حرياتهم وتحكمهم بأسلوب ديكتاتوري بهدف السيطرة على أمريكا لصالح اليهود، ضمن مخطط عالمي تديره الأمم المتحدة يهدف إلى القضاء على الجنس الآري أو إخضاعه على الأقل.

لذا فهم يرون أنه: يجب الانفصال عن هذه الحكومة وعن غير البيض ومقاومتهم والثورة عليهم ولو بالعنف المسلح وتشكيل مؤسسات حكومية خاصة، فينص يمين الولاء الذي يقسمه أفرادها على الآتي: «نقسم بأن واجبنا المقدس هو أن نقوم بكل ما هو ضروري لتحرير شعبنا من اليهود وتحقيق النصر الكامل للعرق الآري.. إننا نتعهد بدمائنا ونعلن أننا في حالة حرب كاملة».

ومن ثم: فقد شجعت هذه الجماعات العمل المسلح، وشاع فيها ثقافة العنف والعنصرية والانتحار، بل إن بعض قادتهم أعلنوا مرارًا أن الحرب الأهلية الأمريكية لم تنته، وأن هناك ثورة أمريكية ثانية، وأنهم يعدون العدة للزحف نحو واشنطن! وقد انخرطت هذه التنظيمات في عمليات عنف وقتل عديدة وخطيرة، ليوجهوا الكراهية والعداء وأعمال العنف ضد رموز الحكومة الفيدرالية وضد الأقليات العرقية والأجانب.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وهناك ثلاثة حوادث عنف كبرى تسجل في ملف هذه الجماعات:

الأول: عام ١٩٩٢م وعرف باسم حادث روبي ريدج وأسفر عن مقتل ثلاثة أشخاص.

الثاني: عام ١٩٩٣م، وعرف باسم حريق مجمع الديڤيديين في واكو بتكساس، وأسفر عن مقتل أكثر من ثمانين شخصًا معظمهم من الديڤيديين، الذين يقال إنهم انتحروا حرقًا.

والثالث: انفجار المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما عام ١٩٩٥م، وأسفر عن مقتل ١٦٨ شخصًا وجرح ٥٠٠ آخرين.

وقد اعترف (تيموثي ماكفي) مدبر انفجار أوكلاهوما بأنه قام بهذا العمل انتقامًا وثأرًا لمقتل الديڤيديين في واكو (قام به في يوم ١٩/ ٤ يوم الذكرى الثانية للحادث، وليلة ميلاد الزعيم النازي هتلر ٢٠/ ٤/ ١٨٨٩م)، حيث كان عضوًا في ميليشيا ميتشجان، كما إنه أعلن مرارًا حتى ساعة إعدامه: عدم إبدائه أي ندم أو أسف على سقوط ضحايا، مبينًا أكثر من مرة أنه قام بهذا العمل «للحد من سوء استغلال الحكومة للسلطة؛ إذ أخفق الآخرون في وقف القوة المتغطرسة التي تعربد بلا حدود»، وموضحًا أنه «قرر مخاطبة الحكومة بلهجتها»، وأضاف قائلاً: «قررت أن أبعث برسالة إلى حكومة تزداد عداء، بتفجير مبنى حكومي والموظفين الذين يمثلون الحكومة بداخله!».

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ونأتي إلى حوادث تفجير نيويورك وواشنطن لنجد أنها ذات دلالات رمزية لا تهمل:

أ - فالحوادث وقعت في أمريكا وحدها رغم اشتراك دول غربية أخرى وحلف الأطلسي في مقومات العداء، وكان يمكن لمن في هذا المستوى من الدقة والتنسيق من القيام بضربات في دول أخرى لإيصال رسالة أعمق.

ب - والحوادث من أكبر ما شهدته أمريكا لمناطحة غطرسة حكومتها وإسقاط هيبتها، وطالت رموزًا واضحة لهذه الغطرسة وتلك الهيبة، عندما استهدفت مبنى البنتاجون رمز القوة الأمريكية، واخترقت النظام الأمني الأمريكي.

ج - كما أنها دمرت مركز التجارة العالمي الذي يعد رمزًا للعولمية وذوبان الجنسيات والقوميات في مكان واحد، ويعد أيضًا رمزًا للسيطرة اليهودية المالية.

د - كما أنه لم يعلن أحد مسؤوليته عن الهجوم مثلما لم يعلن ماكفي عن مسؤوليته (إن كان وحده) عن تفجير أوكلاهوما.

هـ - ومن هنا: يمكن توزيع الاتهامات على (أجانب) أو (غير مسيحيين)، وشن حملات كراهية وعنف ضدهم لحملهم على الخروج من أمريكا وتطهيرها من دنسهم!.

و - وأيضًا فإن هذه التفجيرات مدعاة إلى الدعوة إلى المحافظة على - وإحياء - حق تسلح الأفراد، بدعوى وجود خطر عليهم وعلى

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حياتهم، وهو ما يشير إلى التقاء مصالح اليمين الأمريكي مع مافيا السلاح القوية والنافذة.

ز - ونفذها انتحاريون مدعومون بقدرات وإمكانات واسعة ودعم لا ينقصه التغلغل داخل المجتمع الأمريكي واختراق المؤسسات الرسمية.

ح - وقد جاءت التفجيرات بعد تنفيذ حكم الإعدام في ماكفي الذي فجر أوكلاهوما ثأرًا لحريق معسكر واكو.

وهذا الاحتمال ذهب إليه (توماس جرومكه) الخبير الألماني في شؤون اليمين الأمريكي، حيث ذكر في حوار مع جريدة (ديرتاجيس شبيجل) ـ نقل ملخصه موقع محيط ـ أن لديه معلومات بأن سلطات الأمن الأمريكية تقوي تحرياتها في اتجاه مسؤولية اليمين المتطرف المعروف بالتعصب وبالأيديولوجية المتطرفة اللازمة للقيام بمثل هذا الهجوم (الكاميكازي)، ولديهم أيضًا الإمكانيات الاستراتيجية الهائلة، مضيفًا أن الدقة غير العادية التي تم بها الهجوم تتجاوز قدرة المنظمات الإرهابية العادية، كما أنها تشير إلى استحالة إتمام هذه العمليات بدون مساعدة عديد من الأمريكيين الذين يشغلون مناصب حساسة في الأجهزة الأمنية بصورة كاملة، وليس فقط عن طريق الدعم اللوجيستي الهائل الذي يمكن من خطف عدة طائرات في وقت واحد، بل أيضًا الهروب من أجهزة الرادار، وهذا أمر غير ممكن بدون خبرة تكنولوجية عالية من داخل المؤسسات الأمريكية نفسها... مضيفًا أنه لا يمكن المرور هكذا وبسهولة فوق البنتاجون بدون أن يشعر بك أحد!!.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ويضيف جـرومكه: أن اليمين المـتطرف متغلغل بالجـيش بصورة كـبيـرة، ويحصلون عـلى تعاطف غـير مـحـدود؛ ممـا يمكنهم من الحصول على دعم لوجيستي كبير، كما يستبعد وجود تعاون بين هذه المنظمات ومنظمات شـرق أوسطية... ويضيف: أن إليكس تورتس مؤسس جماعة (المـراقب الوطني) كان قد عرض على الإنترنت أدلة تشيـر إلى قدرته على إنتـاج أسلحة بيولوجـية، بينما تـم القبض منذ عامـين على أحـد أعضـاء منظمة (أمـة آريان) وهو ينقل قـيروسـات (الجمرة الخبيثة) في سيارته.

والاحتمال نفسه رجحه جان فـرانسوا جوزان أحد أبرز المتخصصين في الإرهاب الدولي والخـبير في مـؤسسـة الأبحاث الاستـراتيجـية في باريس، وذلك في حديث مع صحيفة (ليبراسيون) الفرنسية.

ثالثًا: وليس اليمـين الأمريكي وحده الذي يملك إمكانات القـيام بمثل هذا العمل ويتغلغل أفراده في نسـيج المجتمع الأمريكي، فهناك أيضًا جهاز الموساد الإسرائيلي والـيهود الأمريكان؛ فمن المعروف أن الموسـاد متـغلغل في الأجهـزة الأمنية الأمـريكية، من خـلال وجود اليهود ـ باعـتبارهم مواطنين أمريكيـين ـ في أعلى المناصب والمراكز الأمريكية الحساسة، ويتيح لهم ذلك الوجود التحرك والتنسيق والعمل بهدوء ومن غير إثارة شبهات.

ويشار هـنا إلى أن بعـض المسـؤولين الأمريكيـين ـ ومنهم وزير الدفاع ـ ألمحوا إلى احتمال وجود دور لدولة ما في الاعتداءات؛ وإن كـانوا بالطبع لا يقـصدون إسـرائيل. وفي الاتجـاه ذاته أكد الخـبيـر

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العسكري (الإسرائيلي) الذي تم تعريفه باسم (ميراري) في حديث للإذاعة العبرية صباح يوم ٩/١٢ استحالة وقوف منظمة لوحدها وراء تلك الهجمات، مشيراً إلى أن هناك دولاً تقف وتدعم تلك المنظمات في تنفيذ عملياتها، ذاكراً العراق بالاسم، الذي أضاف إليه بعض المسؤولين الآخرين: إيران، وليبيا.

وتأكيد أن يكون لدولة ما دور في الأحداث يصاحبه تجاهل تام لاحتمال أن تكون هذه الدولة هي (إسرائيل) باعتبار أن ذلك غير وارد (بداهة) لعلاقة إسرائيل الخاصة والمعروفة بأمريكا، ولكن (سوابق) اليهود الإرهابية قبل قيام (إسرائيل) وأثنائه وبعده، والتي تم فيها تصفية أصدقاء ـ بل يهود ـ بأيدي أجهزة مخابراتهم لتحقيق مصالح محددة وأهداف بعيدة تجعلنا نقف أمام هذه (البداهة) موقف الريبة والشك.

وإذا كان للمذكورين في الاحتمالات السابقة دوافع للقيام بمثل هذه التفجيرات فإن لـ (إسرائيل) مصالح من ورائها، أهمها:

١ - تخفيف الضغط السياسي والإعلامي عن (إسرائيل)، وصرف الأنظار عن الممارسات الصهيونية في فلسطين، واستغلال الفرصة لتصفية الانتفاضة بلا رحمة، بل لتصفية القضية الفلسطينية برمتها.

٢ - وضع الحركات الجهادية في فلسطين في مأزق عدم القيام بعمليات سوف ينظر إليها العالم كله على أنها إرهاب مماثل لما تم في أمريكا، ومن ثم: يكون لدى الصهاينة مسوغ أخلاقي وسياسي ـ من وجهة نظر غربية ـ لتصفية الفلسطينيين الناشطين بلا هوادة.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٣ - تجييش العالم ـ وخاصة الغربي ـ ضد الحركات الإسلامية بزعم أنها منظمات إرهابية يجب محاربتها؛ وبذا: يخسر العالم الإسلامي المقاوم الحقيقي للخطر الصهيوني.

٤ - قطع الطريق على تحول الرأي العام الغربي نحو تفهم أفضل لمأساة الفلسطينيين، وخاصة بعد ممارسات شارون الأخيرة، وذلك عن طريق تشويه صورة العرب والمسلمين جميعًا.

٥ - تعضيد التيار الأصولي المسيحي في الإدارة الأمريكية الذي يرى ضرورة دعم إسرائيل لإقامة إسرائيل الكبرى وإعادة بناء الهيكل المزعوم للتعجيل بمجيء المسيح، وذلك بإشعال عدائه للإسلام والمسلمين أكثر مما هو مشتعل.

وهكذا انطلق القادة الصهاينة في يوم الحادث نفسه لاستغلال الحدث استغلالاً سافرًا، ولقطف ثمار هذه العمليات: ففي اليوم نفسه أعلن وزير دفاعهم أن (الإرهاب الإسلامي) هو المسؤول عن هذه العمليات، وكأنه يريد صرف الأنظار عمدًا عن احتمال تورط يهود في التفجيرات ويسابق لإلصاقها بالمسلمين لتحقيق الأهداف السابق ذكرها.. ثم رأينا اليهود ينطلقون عقب الحادث مباشرة على ثلاثة محاور لاستثمار الحادث:

الأول: محور عسكري سياسي لاقتناص (الفرصة الذهبية) «للقضاء على أوكار الإرهاب، عصابات ودولاً» على حد تعبير رئيس الوزراء الأسبق نتنياهو الذي عددها قائلاً: «السلطة الفلسطينية أولاً، ثم حزب الله وإيران والعراق وأفغانستان، وغيرها!»، وفي إطار هذا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

التحـرك علت أصوات سيـاسييـهم ـ وعلى رأسهم شـارون ـ بالدعوة «لإقامة تحـالف يضم كل الدول ذات الحضارة الديمقراطيـة لمكافحة الإرهاب»، وأضاف بعضـهم كلمة الإرهاب العربي، وبعـضهم الآخر كلمة الإرهاب الإسلامي.

الثاني: محـور إعلامي عالمي؛ حـيث يملك اليهود مـعظم وسائل الإعلام، نشطوا فيـه لتشويه صورة المسلمـين والعرب والطعن في دينهم وحضارتهم بكل وسيلة، وتسعير حملة كراهية وعداء للمسلمين والعرب.

الثالث: إظهار التعاطف مع الشـعب الأمريكي والألم لما حدث له بإرسال المسـاعدات الإغاثية، وعرض خدمـاتهم الإنقاذية والأمنية التي استفـادوها من مواجهة (الإرهاب الإسلامي والعربي)، والتـركيز على أنهم والأمريكـان ضحايا عـدو واحد ويقفـون في خندق واحد، ضد ذلك الإرهاب.

وفي هذا الإطار تطرح عدة تساؤلات تثير الشكوك حول عدم نفي احتمـال تورط (إسرائيل) وجهاز (المـوساد) في هذه الأحداث، ومن تلك التساؤلات:

١ - هل هناك علاقـة لهذه التـفجيـرات بتهديـد كان رئيس الوزراء الأسبق نتنيـاهو قد أطلقـه عام ١٩٩٨م بأنه سوف يشـعل النار في قلب واشنطن لبيل كلينتـون إذا لجأت الإدارة الأمريكية إلى ممارسـة الضغوط على إسرائيل للقبول بمبادرتها المتعلقة بالانسحاب من الضفة الغربية؟

فما هي الـنار التي كان يقصدها نتـيناهو؟ وهل يهدد رئيس وزراء دولة بما لا يمكن لهذه الدولة فعله؟! ولماذا يهدد حليف حليفه؟.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وجدير بالذكر أن بعض الأنباء الصحفية ذكرت أن مصادر في الإدارة الأمريكية كشفت عن أن وزير الخارجية الأمريكي كان سيعلن في خطابه أمام الدورة السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة مبادرة سلام أمريكية ترتكز على تأييد فكرة قيام دولة فلسطينية، لكن تفجيرات نيويورك وواشنطن حالت دون ذلك بعد أن ألغيت الجلسات برمتها (الشرق الأوسط، ٣/ ١٠/ ٢٠٠١م).

٢ - ومن هذه التساؤلات: ما ذكر عن علم أجهزة المخابرات الإسرائيلية السابق بهذه التفجيرات، وتورَد حول هذه النقطة معلومتان:

الأولى: ما ذكرته صحيفة (معاريف) الإسرائيلية يوم ٩/١٣ من أن مصدرًا أمنيًا إسرائيليًا نقل إلى جهات استخبارية أمريكية تحذيرات عن احتمال وقوع عمليات تفجيرية قوية في الولايات المتحدة ضد أهداف أمريكية، ونقلت (معاريف) عن صحيفة (إيل يوليو) الإيطالية الصادرة في اليوم السابق أن جهاز المخابرات الخارجية الإسرائيلي (الموساد) كان أول من حذر الأسبوع الماضي من احتمال انتقال ما وصفها بالأعمال الإرهابية من الشرق الأوسط إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة.

ومن الممكن جدًا أن يكون نقل هذه التحذيرات إلى أمريكا دون تحديد دقيق لها هو لمجرد (إيجاد يد) على أمريكا من غير تأثير على العمليات نفسها التي تم تعميتها تمامًا.

الثانية: ما نقلته صحيفة (الحياة) اللندنية يوم ١٥/ ٩ عن صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية من أن جهاز الأمن العام الإسرائيلي

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

(الشاباك) رفض قبل أسبوع طلب رئيس الحكومة إرييل شارون السفر إلى نيويورك للمشاركة في مهرجان تضامن مع إسرائيل أعدت له المنظمات اليهودية والوكالة اليهودية، وكان مفروضًا أن يبدأ في ٩/٢٣، ويضيف المعلق (الإسرائيلي) برنياع: أن منظمي المهرجان التضامني الذين سعوا إلى تجنيد الأموال لدعم الدولة العبرية من خلال حضور مئة ألف يهودي من أرجاء الولايات المتحدة كافة، اتفقوا رسميًا مع رئيس الحكومة أن يكون هو الخطيب في الافتتاح، وهو عبر عن غبطته ووقَّع شخصيًا بطاقة الدعوة.. ويضيف: أن قادة (الشاباك) فاجؤوا المنظمين بإبلاغهم رفضهم ظهور شارون في اجتماع حاشد «لأن مكان عقده يشكل خطرًا كبيرًا على سلامته»، ولم تفلح محاولات شارون ورئيس الوكالة اليهودية في عدول قادة الشاباك عن رأيهم؛ مما حدا بسكرتيرة شارون إلى إبلاغ المنظمين إلغاء مشاركة شارون قبل يوم واحد من وقوع التفجيرات.

٣ - ومن الحوادث التي تثير الاستغراب والتساؤل أيضًا: ما تناقلته الصحف عن القبض على (٥) سياح إسرائيليين بعد استدعاء السكان للشرطة عندما شاهدوهم وهم يصورون البرجين المهدومين وهم ينكتون ويتضاحكون ويسخرون من الأمريكيين المفزوعين، ثم راحوا يصيحون ويغنون ويرقصون وهم يتفوهون بكلمات ساخرة! والجدير بالذكر أن رئيس بلدية نيويورك (سامحهم) ولم يحاكمهم وأفرج عنهم ـ بعد أن كانت الشرطة تحقق معهم للاشتباه بانتمائهم للموساد ـ بعد تدخل القنصلية الإسرائيلية لديه ولدى حاكم الولاية وإقناعهما بأن هؤلاء مجرد شباب طائشين!.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٤ - ومن التساؤلات: ما ذكر عن حدوث تلاعب كبير وغير عادي في مضاربات الأسهم عبر عمليات بيع على المكشوف في أسواق البورصات العالمية خلال الأيام القليلة السابقة للتفجيرات؛ مما مكن هؤلاء المضاربين من جني أرباح طائلة تقدر بمليارات الدولارات، وقد تركزت المضاربات المشبوهة حول ثلاث شركات تأمين أوروبية، وشركتين للاستثمار في وول ستريت، وشركتي الطيران يونايتد إيرلاينز وأمريكان إيرلاينز دون غيرهما، وهما اللتان تم اختطاف طائرتين من كل منهما واستخدمتا في التفجيرات.

وقد حاول بعض المسؤولين تركيز الاشتباه في هذه المعاملات على ما أسموه بشبكة بن لادن، غير أنه من غير المعروف عن إسلاميين مشاركتهم في أنشطة اقتصادية من هذا النوع ابتداءً، ويبقى ذلك الاحتمال تجاههم مجرد تخمين غير مبني على دلائل أو قرائن، وخاصة أن خبراء ماليين يستبعدون تورط متعاملين ماليين يعملون لحساب بن لادن؛ لأن ذلك يعد (انتحارًا) بسبب مخاطر هذه العملية المالية وسهولة كشف مدبريها، ويبقى بعد ذلك الاحتمال الآخر، وهو: أن أطرافًا مخابراتية تقف وراءها، ومن المعروف أن الدوائر المالية اليهودية من أكبر المتعاملين في البورصات العالمية.

ويطرح مع هذا التساؤل تساؤل آخر حول إن كانت هناك علاقة أو دلالة لبيع هيئة الموانئ ـ وهي هيئة يسيطر عليها اليهود ـ لبرجي التجارة العالمية بمبلغ ٣٠٧ مليار دولار قبل سبعة أشهر من وقوع التفجيرات!

٥ - ومن التساؤلات أيضًا: مدى وجود علاقة بين أحداث التفجيرات الأخيرة ولغز الاختفاء الغامض للمتدربة اليهودية في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الكونجرس الأمـريكي شاندرا، حيث كـانت على علاقة سرية وغـير مشروعة مع عضو الكونجرس الأمريكي كونديت الذي هو في الوقت نفسـه عضـو لجنة الاستـخبـارات المسـؤولة عن ثلاث عشـرة وكالة مخابرات، ويقال إن شاندرا حصلت من كونديت على أسرار خطيرة، سواء منـه مباشـرة أو عن طريق قراءتهـا أو تصويرهـا لتقاريـر وكالة الاستخبـارات المركزية (CIA) ووكالة الأمن القومي (NSA) ، فهل تدخل هذه الأحـداث وهذا الاخـتـفـاء الغـامض في إطار الحـروب المخابراتية الخفية؟ . . يحتمل! .

أخيـرًا: نقول في هـذا الاحتمـال: إن صحـيفة (نيـوز امبـرجو) الكندية كـشفت عن أن مصـادر من الـ (CIA) أكدت لهـا أن لديها معلومات شبه أكيدة بتورط جهـاز الموساد في الهجمات الأخيرة على مبنيي مـركز التجارة العالـمي والبنتاجون، وقد أكـد المصدر. . . أن هذه الاحـتـمـالات واردة، وأن أجـهـزتهم كـشـفت وجـود تهـديد (إسرائيلي) بضرب منشآت في الـولايات المتحدة من أجل إثارة الرأي العام ضد العرب. . .

وقال المصدر: إن هذا الهجوم يتطلب دقة عسكرية عالية جدًا في التنفيـذ، وأن العمل تم تنفـيذه من قبل جـيش أو جهة اسـتخبـاراتية عالمـية لا من قـبل إرهابيين لا يملكون مـا تملكه الدول العظمى في هذا المجال.

رابعًا: وهناك عدة احتـمالات أخرى متسـاوية في القوة ـ أو في الضعف ـ نوردها في النقاط الآتية:

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أ - أن يكون هناك دور لـدول (شـرق أوسطيـة) أخـرى في هذه الأحداث، وعلى رأسها العراق وإيران، وقد سربت بعض الأخبار عن التقاء المشتبه في اتهامه محمد عطا بضابط مخابرات عراقي في أوروبا قبل أشهـر، وأن بغداد تقوم بتمويـل إسلاميين متـهمين بـ (الإرهاب) كالمصري أيمن الظواهري واللبناني عمار مـغنية، كما ألمحت مصادر أخرى إلى أن منشقًا إيرانيًا كان قـد أبلغ السلطات الألمانية قبل أسبوع من التفـجيرات عن معلومـات لديه عن حدوث عمليـات إرهابية في واشنطن ونيويورك، وحاول تحذير أجهزة الاستخبارات الأمريكية، إلا أن السلطات لم تأخـذ أقـواله بجـدية، ثم صرح بعض الـمسـؤولين الأمريكيين باستبعاد وجود دور لمثل هذه الدول في التفجيرات، وربما يكون هذا الاستبعاد وتلك التسريبات بقصد إبقاء هذه الدول تحت حد السلاح الأمريكي المسلط لضربها إذا استدعت الأحداث ذلك.

ب - أن يكون وراء هذه التفـجيرات مـافيا تهريب المـخدرات، حيث جاءت هذه التفجيرات بعـد أسبوع واحد من تسليم (فابيو أشوا) أحد كبـار مهربي المخـدرات الكولومبيين إلى السلطـات الأمريكية، وكان أنـصاره قـد هـددوا بـ «تحـويل أمريكا إلى جـحيم» في حـالة تسليمه، وبأنهم سيـجعلون الحكومة الأمريكية تندم على محـاكمته، وقد تزامنت هذه التفـجيرات مع زيارة كان وزير الخارجـية الأمريكي كولن باول في طريقه للقيام بها إلى كـولومبيا في خطوة تأييد لمساعي الحكومـة الكولومبيـة لمحـاربة عصـابات تهريب المـخدرات، ومن المعـروف أن شبكات هذه العـصابات داخل أمـريكا وخارجـها ذات انتشار واسع ونفـوذ قوي وإمكانات كبيرة تمكنها من القـيام بمثل هذا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العمل، وإن افتقرت إلى دافع عقائدي يدفع أفرادها للقيام بمثل هذه العمليات (الانتحارية).

ج - كما يشار إلى احتمال وجود علاقة بين التفجيرات وموقف أمريكا من مؤتمر مكافحة العنصرية في ديربان، وقد ثارت تكهنات صحفية بهذا الخصوص عقب الحوادث مباشرة؛ مما دعا الوزير في رئاسة جمهورية جنوب أفريقيا (إيسهوب بهاد) إلى رفض هذه التكهنات.

د - ومن هذه الاحتمالات: ما ذكره السياسي الروسي المعروف فلاديمير جيرينوفسكي في مؤتمر صحفي عقده في موسكو، حيث اتهم ما أسماه (النخبة المالية الدولية) بالتخطيط للهجمات ضد منشآت أمريكية وتنفيذها لإحداث صدام بين الغرب والعالم الإسلامي، وقال: إن هذه العمليات الإرهابية «جرى التحضير لها في أمريكا نفسها، ولا علاقة لأي دولة أخرى بها»، وأكد أن «العديد من المؤشرات» تدل على ذلك، واعتبر أن اتهام أسامة بن لادن بالوقوف خلف التفجيرات أمر لا دليل عليه حتى الآن.

العدالة الأمريكية المحترقة والإسلامفوبيا:

لا يفهم من كلامنا السابق أننا ننفي وجود احتمال بأن يكون إسلاميون وراء هذه التفجيرات، وقد كفتنا أجهزة الإعلام الأخرى والعديدة الخوض في الحديث عن هذا الاحتمال، ولكن الذي نريد إضافته هو أن الاحتمالات حول هوية من قام بهذه التفجيرات عديدة ومتقاربة القوة، ورغم ذلك فمن دون كل هذه الاحتمالات لم يرق للأجهزة الأمريكية إلا اتهام الإسلاميين وحدهم وأفغانستان (ضمنًا)،

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حيث ركـزت الجهـود، وسلطت الأضواء عـلى هذا الاحتـمال دون غيره، مع استبعاد جمـيع الاحتمالات الأخرى رغم وجود قرائن قوية تجعلنا لا نستبعدها.

ويمكننا القـول إنه ـ إذا كان هناك بقـية من حـرص وخوف على المصالح الأمريكية والأمن القومي الأمريكي ـ فإن التحقيقات الحقيقية ـ غيـر المعلنة ـ ربما لا يكون لهـا علاقة بكل ما هو مـعلن، وأن ما أعلن وما يعلن وما سوف يعلن يهدف إلى أهداف أخرى لا علاقة لها بمعرفة حقيقـة مدبر هذه الانفجارات، حتى وإن صادف ذلك الإعلان الحقيقة في النهاية، لأن المستهدف هو استخدام ما يعلن للتغطية على هذه الأهداف وترضية الرأي العام الأمريكي وإيجاد الذريعة أمام الرأي العام العالمي.

وقد أعلن الرئيس بوش يوم ٢٥/٩/٢٠٠١م رفـضه للكشف عن أدلة تورط بن لادن وتنظيـمه في التفـجيـرات، وفي الوقت نفسـه ما زالت أمريكـا تطالب العالم بمـشاركتـها في حـربها ضد مـا تسمـيه الإرهاب، وإلا فإن الممـتنع عن المشاركة في هذا التـحالف سيكون داعمًا للإرهاب.

والحقـيقة أن أمـريكا لا تشعـر بحـاجتهـا إلى وجـود أدلة؛ لأن حالة الخـوف المـرضي من الإسـلام (الإسلامفـوبيا) التي تعـيشـها، والتي عبـرت عنها بالإشارة إلى ضلوع الإسـلاميين في الحـادث قبل انتهاء عمل ٧ آلاف محـقق من البحث في ٢٥٠٠ خيط تحقيق ـ كما أعلن ـ؛ هذه الحالة تجعلها تسعى للقضاء على هذا الخطر سواء أكان وراء هذه الأحداث أو لم يكن.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

كما أنها لا تشعر بحاجتها إلى تقديم أدلة إلى من تطالبهم بالتحالف معها؛ لأن الغرور الأمريكي يفترض أن الآخرين يثقون بلا تحفظ في نزاهة العدالة الأمريكية، ويفترض أن خوف أمريكا من عدو يشاركها فيه الآخرون ـ أو هكذا ينبغي ـ وأن مصالح أمريكا هي نفسها مصالح العالم أجمع؛ وهكذا فهي تحسم خيارها وتريد من العالم اتباعها عليه وهو مغمض العينين.

إننا في النهاية إذا لم نقل إن الأجهزة الأمريكية نفسها لها ضلع في هذه الأحداث ـ وهذا غير وارد في ضوء المعطيات التي بين أيدينا ـ، وإذا لم نقل إن بعض الأطراف والقوى داخل النظام الأمريكي متورط في الأحداث بنفسه أو عن طريق أطراف أخرى ـ وهذا غير مستبعد ـ فإننا نستطيع القول باطمئنان: إن الإدارة الأمريكية استغلت الحدث ـ أيًا كان فاعله ـ لتحقيق أهداف وتنفيذ مخططات معدة سلفًا قبل الحوادث، وقد تكون هذه الحوادث عجلت بإخراج هذه المخططات التي قد يستغرق تنفيذها سنوات، ولكنها ليست هي التي أوجدتها.

ويمكننا في عجالة تلخيص هذه الأهداف والمخططات ـ كما ظهرت من الدوافع والتحركات الأمريكية ـ فيما يأتي:

١ - القضاء على قوة التيارات الإسلامية ـ وخاصة الدعوية ـ المتنامية في العالم الإسلامي باسم محاربة الإرهاب، بما يفسح المجال لتوغل أمريكي وغربي حضاري وسياسي واقتصادي وعسكري في هذا العالم؛ حيث إن هذه التيارات هي المعارض

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الحقيقي لهذا التوغل.

٢ - إحداث اضطرابات وقلاقل داخل دول العالم الإسلامي عن طريق إقحام حكوماتها في مواجهات عدائية شاملة وقاسية مع التيارات الإسلامية المعارضة، بما يضعف هذه الحكومات ويجعلها رهينة للحماية الأمريكية المستمرة، ويقضي على هذه التيارات في الوقت نفسه.

٣ - تهيئة الأجواء والتوطئة على أرض الواقع لإعادة رسم خارطة المنطقة، وتعديل موازين القوى للوصول في المستقبل القريب إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى وبناء هيكل سليمان، وهذا هدف ملح للتيار الأصولي في الإدارة الأمريكية.

٤ - القضاء على دولة أفغانستان الخارجة عن (الإجماع الدولي) وما تمثله من خطر وجود قواعد آمنة لتفريخ مسلمين (خطرين).

٥ - محاصرة إيران (القوة العسكرية المتنامية) من الشمال والشرق إلى جانب القوات الموجودة في الغرب والجنوب.

٦ - استهداف باكستان وبرنامجها النووي خشية وقوعه في أيدي إسلاميين (متطرفين)، حيث لا يؤمَن عدم وقوع ذلك في ظل نظام حكم هش متقلب.

٧ - إكمال تطويق العالم الإسلامي بحلف هندي روسي (أو من الجمهوريات السوفييتية السابقة) تركي إسرائيلي إثيوبي.

٨ - التواجد في منطقة آسيا الوسطى لمحاولة أن يكون لأمريكا نصيب في كعكة ثروات بحر قزوين، الذي أسفرت التنقيبات فيه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عن وجود احتياطات استراتيجية ضخمة من النفط والغاز وثروات أخرى فاقت كل التصورات، ويتنافس عليها ـ بحكم الموقع الجغرافي ـ خمس دول: روسيا، وإيران، وكازخستان، وأذربيجان، وتركمانستان.

٩ - تعزيز أداء الاقتصاد الأمريكي؛ حيث يرى الخبراء أن الإنفاق الحكومي في حرب ـ بشرط ألا تكون برية طويلة الأمد ـ سيعطي على الأرجح دفعة قوية لقطاعات من الاقتصاد، كما أن التركيز الجديد على الأمن ونشاطات الاستخبارات قد يحوِّل جزءًا من هذه الفوائد إلى تكنولوجيا المعلومات، بحيث لا تقتصر على العتاد التقليدي. ويقول أكاديميون: إن الحرب ساعدت في الماضي على انتشال أمريكا من براثن الكساد بفضل الانتعاش الاقتصادي الناتج عن الإنفاق الحكومي على الأسلحة والإمدادات.

هذه ـ بحسب ما أرى ـ هي أهم ملامح الأهداف والمخططات الأمريكية التي يراد تحقيقها حتى ولو أدى ذلك إلى إحراق العالم الإسلامي مع العدالة الأمريكية.

❋ ❋ ❋

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فليستقل چورچ الثالث عشر(غ)

عندما كانت رحى المعركة الانتخابية الأخيرة دائرة في أمريكا كانت تصاحبها معركة إعلامية بين أنصار المرشحَيْن: الجمهوري چورچ دبليو بوش، والديمقراطي آل جور. وكانت تدور على الألسن تهكمات عليهما أطلقها الإعلام الأمريكي نفسه، أهمها أن هذه المعركة إنما هي تنافس بين (غبي) و (كذاب) على رئاسة أقوى دولة في العالم، لم يكن كثير منا يأبه لهذه التهكمات أو (التجاوزات) باعتبار أننا متفرجون على هذه المشاهد وأن الأمر لا يعنينا؛ لأننا في جميع الأحوال علينا الرضا وطلب الرضا!.

ولكن الأحداث أثبتت ـ وما زالت تثبت ـ خطأ هذا السلوك، ولفتت أنظارنا إلى أهمية الاهتمام بمعرفة ـ وربما البحث عن ـ عدو عاقل الذي هو خير من صديق أحمق.

فالواقع أننا ـ شئنا أم أبينا ـ نعاني من انعكاسات قرارات هذا الرئيس أو ذاك ومجموعة مستشاريه ومعاونيه وخبرائه، التي يكون من عوامل التأثير فيها ـ أي تلك القرارات ـ قدرات هؤلاء الأشخاص وميولهم وقناعاتهم وأخلاقهم.

وهكذا شاهدنا حدوث (تحولات) ـ ضمن ثوابت معينة ـ صاحبت كل رئيس وإدارته، وكان من أبرز مظاهر هذه التحولات في

(غ) ٨/ ١٤٢٢هـ - ١١/ ٢٠٠١م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عهد الرئيس الأمريكي الحالي هو تبنيه خيارات اليمين الجمهوري (الذي هو يمين سياسي أصلاً) المتمثل في ثالوث: الرأسمالية في أقصى صورها تسلطًا، والقوة العسكرية في أشد صورها عجرفة، ومنظومة الأمن القومي..

وعلى إثر ذلك رأينا ظواهر لتلك التحولات، مثل: التسارع المحموم في تبني مشروع (الدرع الصاروخي) الذي استفيد فيه من مشروع الرئيس الجمهوري الأسبق ريجان والمسمى (بحرب النجوم) والذي أُنفق عليه سابقًا زهاء ثلاثين مليار دولار، ورأينا أيضًا محاولات الرئيس بوش وإدارته لإلغاء معاهدة الحد من الأسلحة الباليستية الموقعة مع الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٧٢م، التي تشكل عائقًا أمام المشروع السابق ذكره، وكذلك الجدل الثائر حول اتفاقية كيوتو للحد من الاحتباس الحراري الناتج عن الغازات الصناعية، والأقاويل التي ذكرت بخصوص إلغاء حكم تقسيم شركة مايكروسوفت العملاقة، كما رأينا موقف الإدارة الأمريكية من مؤتمر مكافحة العنصرية بديربان... إلى آخر الظواهر التي شكلت مظهر السياسة الأمريكية، وأفرزت معها ـ في زمن قياسي ـ عداوات (أو إزعاجات) متعددة بين قطاعات كثيرة من الناس في بقاع شتى من العالم.

ولكن ساعد على إشعال هذه العداوات أيضًا: شيوع الأخطاء الناتجة عن ضعف (دبلوماسية) الرئيس الأمريكي وانخفاض مستوى لباقته (أو لياقته)، ويأتي في هذا السياق ما تحدث به في حديقة البيت الأبيض عقب عودته من مناقشات عقدها مع مستشاريه المقربين في كامب ديفيد يوم ١٦/٩/٢٠٠١م؛ حيث دشن إعلان حرب أمريكا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

على الإرهاب متوعدًا «بشن ما سماه (حملة صليبية) طويلة الأمد لتخليص العالم ممن وصفهم بفاعلي الشر»[١].

(١) حذف موقع إذاعة (BBC) على الإنترنت فيما بعد كلمة (الصليبية) من الصفحة العربية التي أوردها فيها، موضحًا في رسائل خاصة إلى بعض القراء الذين استفسروا عن ذلك: أن الكلمة التي استخدمها بوش (Crusade) كان أصلها يعود بالفعل إلى الحروب الصليبية، إلا أن استخدامها تطور مع الوقت ليعني: حملة شعواء، أو حربًا بلا هوادة، وأنها تستخدم الآن في معرض الحديث عن أي حملة تشن، كحملة على الجهل، أو حملة على المخدرات.. ثم تبنى هذا التوضيح للكلمة بعض الكتاب العرب الذين يريدون دفن رؤوسهم في الرمال ونزع الصفة الدينية عن حملة بوش، ولنا في هذا التوضيح بعض الملحوظات:

أولاً: أن تطور معنى الكلمة لا يعني إلغاء معناها الأصلي، فـ (Crusade) ما زالت هي الكلمة التي تُعَبِّر في الإنجليزية عن (الحروب الصليبية) التي بدأت في القرن الحادي عشر الميلادي، وإضافة المعنى المتطور إلى هذا المعنى الأصلي لا يزيد عن كون الكلمة (محتملة) المعنى، ولعل ذلك ما حدا بمترجم الـ (BBC) إلى عدم وضع بديل لكلمة (صليبية) بعد الحذف مكتفيًا بكلمة (حملة)، مع ملاحظة وضعهم كلمة crusade بين علامتي تنصيص في عنوان الموضوع نفسه على الصفحة الإنجليزية.

ثانيًا: أن كلمة (Crusade) جاءت في سياق حديث بوش عن حملة (حربية) (عسكرية) وليس عن حملة نظافة أو حملة ضد التدخين..!، ولذا: فهي أقرب إلى خلفية معنى (الحروب الصليبية) منها إلى غيرها.

ثالثًا: فَهِمَ (Crusade) على أنها تعني (الحروب الصليبية) محللون ومعلقون =

حُمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فهو باستعماله هذا المصطلح أعطى انطباعًا عنه يتجاوز ما هو سائد عن سلوك راعي البقر الأمريكي الذي يكون زناد مسدسه أقرب إليه من طرف لسانه، ليلفت النظر إلى أن في القادة الأمريكان من يعيشون أجواء القرون الوسطى، على ما ينطوي في ذلك من إرث تعصبي ومضامين عنصرية تهدر وتتعارض مع جميع مواثيقهم الدولية لحقوق الإنسان، بل تصطدم مع القيم التي يعلن قيام المجتمع الأمريكي نفسه عليها.

إننا لا نرى أن هذا التصريح نشاز في خطاب السياسيين والإعلاميين الغربيين عندما يكون هذا الخطاب موجهًا للغرب؛ فهو متناغم مع ثقافتهم وخلفياتهم المشوهة عن الإسلام والمسلمين.

= سياسيون غربيون، حيث خطّأ أحد كبارهم استعمال الرئيس بوش لها، وذلك في برنامج (Nighline) الشهير على قناة (ABC) الأمريكية، معللاً ذلك بأن هذه الكلمة (Crusade) مرتبطة في أذهان الغربيين بصلاح الدين وبالهزيمة أمام المسلمين، كما أنها سوف تثير حساسية مع حلفاء أمريكا في العالم الإسلامي.. والمأخذ نفسه ذكرته صحيفتا (لامرسييز) و(لاكروا) الفرنسيتان.

رابعًا: لم تكن هذه الكلمة هي الإشارة الوحيدة إلى (الطابع الديني) لهذه الحرب، فمما يُذكر أن الاسم الذي أطلقوه على هذه الحملة (النسر النبيل) هو أحد التعابير الواردة في التوراة.

خامسًا: ليس بمستبعد على مثل بوش استعماله لمصطلح ذات دلالة دينية تاريخية في ظل خلفيته الأسرية المتدينة، وفي ظل هاجس الرد على الطرف الديني الآخر الذي يطلقون عليه: الإرهاب (الإسلامي).

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ولكن الجديد هو تسرب مثل ذلك إلى مسامعنا، وأيضًا الجرأة على إعلانه بهذه الصورة الفجة، وهو ما نبهه عليه مستشاروه، فعاد واعتذر ـ أو أسف! ـ.

فقد سبقه إلى هذه الاستفزازات يوم (٩/١٤) كاتب صهيوني يدعى (ريوفن كورت) في مجلة (Israel Insider) (إسرائيل من الداخل) عندما دعا إلى الرد على تفجيرات نيويورك وواشنطن التي طالت رموزًا للحضارة الغربية ـ حسب تعبيره ـ بتفجيرات مماثلة لرموز إسلامية قائلاً: «وبالمثل فإن الغرب يتعين عليه إيجاد وسائل أخرى لردع الجهاديين، ويجب أن نفعل ذلك من خلال فهمهم وإجابتهم بمعايير نظام القيم الذي يؤمنون به، لا الذي نؤمن نحن به، فما الذي يجدي قصف مطار كابول أو قواعد طالبان العسكرية ؟... ففي مكة يوجد برجان طويلان في شكل منارتين شامختين تحيطان بعلبة سوداء عريضة! يعبدها المؤمنون! ويتجهون إليها في حجهم المقدس، وإلى هذا الشيء الرمزي يتجه كل المسلمين في صلواتهم...».

ثم تبع تصريحات بوش السابق ذكرها تصريحات أخرى لرئيس الوزراء الإيطالي سيليفيو بيرلوسكوني عندما قارن يوم ٩/٢٦ بين (الإرهاب الإسلامي) والحركة المضادة للعولمة قائلاً: إن الأول حاول استفزاز العالم الغربي لدفعه لرد فعل عنيف، بينما سعى الآخر لدفع العالم الغربي للشعور بالذنب، معللاً ذلك بأنه راجع إلى سمو الحضارة الغربية على غيرها من الحضارات؛ لأن الغرب يضمن حقوق الإنسان وحرية الأديان؛ وهو ما لا وجود له في العالم الإسلامي!.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ورغم محاولته الـتراجع ـ كما حاول بوش ـ مدعيًـا أن تصريحاته أسيء تفسيـرها، إلا أنه لم يستطع إيقاف توابع تصريحـه التي تتابعت من مسؤولين (حكومـيين) آخرين، حيث صرح وزير الثقـافة جوليانو إرباني بقـوله: «إن الفرق كـبير بيـن أولئك الذين يقتـرفون المـجازر وأولئك الذين لا يقـتـرفونـها»، وقـالت نائبـة وزير الدولة للشـؤون الخارجية مارجيتـا يونيفر: «ليس هناك من شك بأن هذا التفوق يظهر بقوة في مجـال حقوق النساء..»، أما وزير الشـؤون الأوروبية روكو بوتيليوني فقد قال: «إن حضارتنا هي حضارة تصون ـ أكثر من غيرها ـ القيم الأساسية التي تجعل الحياة جديرة بأن تحياها».

وكان بيرلوسكوني قد تفوه بكلام مـماثل لم يثر زوبعة؛ لأنه صدر أثناء اجتماع (مـغلق) خلال انعقاد قمة استـثنائية للمجلس الأوروبي في عاصـمة بلجـيكا بروكسل يوم ٢١/٩، حتى إن صـحيـفة (لوفيـجارو) الفرنسية علقت ساخـرة على موقف رؤساء الدول والحكومات الأوروبية من تصريحـه (الحضاري) الأخيـر فتسـاءلت: «كيف أنهم استمـعوا لـ (خطبة) بيرولوسكوني ولم يتجرأ أن يرد عليـه أحد؛ لأن الاجتماع كان مغلقًا، وليقينهم أن كلام الإيطالي لن يسمعه أحد غيرهم!».

والحقـيقة أن تصـريحات مثل هؤلاء ـ ومـنهـم بوش ـ لا تخرج صريحة إلا في حالة عبر عنها وزير الشؤون الأوروبية الإيطالي بقوله: «إن بيرلوسكوني يطلق التـصريحات دون أن يزنها، أو بعـبارة أخرى: هو يتحدث أحـيانًا من القلب ولا يحكم عقله» ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

نعود إلى تصريح چورچ بوش؛ فنشير إلى أنه لم يكتف بهذا التصريح الفج، بل أطلق تصريحًا لا يقل خطورة عن سابقه، عندما أعلن أن من ليس مع أمريكا في هذه الحرب فهو ضدها، أو مع الإرهاب، وهي محاولة لإرغام جميع دول العالم على التورط في الحرب لا محالة، بل إنه تهديد صريح لدول مستقلة ذات سيادة، وفرض سافر على هذه الدول بتبني مفهوم أمريكا للإرهاب، وتبني تحديدها لأطرافه، وطريقتها لمعالجته، وتحمل عواقب ذلك كله صاغرة ومرغمة؛ فهي محاولة لإكراه الآخرين على الانخراط في (حملة) أمريكا العسكرية، بعد أن وضعت نفسها موضع الضحية، والمحقق، والمدعي، والقاضي، والجلاد في آن واحد، وهو منطق شريعة الغاب التي يعلو فيها صوت القوة على الحق.

ثم زاد بوش وأعلن أن أمريكا لن تعلن دليلاً على اتهاماتها، وكأنه يطالب الأمم (غير الإرهابية) بإغماض عينيها والسير خلفه منقادة بلا نقاش.

إن أمريكا ـ ومعها الغرب ـ في سعيها المحموم للبحث عن عدو ـ بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ـ تشحذ به إرادتها في التحدي الحضاري، وتنفذ من خلال مواجهته مخططاتها وتحقق من تحت ستار القضاء عليه مصالحها الحيوية ومفهومها (الواسع) للأمن القومي.. تضع العالم جميعه على شفا حرب عالمية مهلكة، ربما لم يسبق لها مثيل، بما في ذلك من مخاطر ليس على المسلمين فقط، بل على البشرية جمعاء، وإذا نظرنا إلى تصريحات رموز الإدارة الأمريكية من أن هذه الحرب سوف تشمل أكثر من ستين دولة، وأنها

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

قد تستمر أكثر من عشر سنوات، ومرصود لها ٤٠ مليار دولار (دفعة تحت الحساب)، وأن زمن (الحروب النظيفة) قد ولى . . . لأدركنا حجم الكارثة التي اشتعل فتيلها من غير تروٍّ ومدى خطورة منطق الأخذ بالشبهات.

وإذا كان الرئيس الأمريكي چورچ بوش يشاع عنه أنه لا تسعفه قدراته إلى حسن اختيار كلماته، ومن ذلك: زلة الصدق التي أطلقها مؤخرًا عن شن (الحروب الصليبية)؛ فكيف يحسن اختيار قرارات تتوقف عليها إزهاق أرواح آلاف ـ وربما ملايين ـ من البشر، وتدمير لأراض ومنشآت، وخراب لبلدان، وإعادة رسم لخريطة مناطق بأكملها، بل قد يتوقف عليها مستقبل البشرية ؟. . كيف يُؤمَن على كل ذلك من يفتقر إلى مثل ذلك؟.

إننا في ضوء كل ما سبق نرى أن من حقنا، بل من حق جميع الشعوب المعنية، لا أن نطالب الرئيس بوش بالشجاعة التي كان يتحلى بها بعض أسلافه من القادة الصليبيين، وهو الذي أعلن عقب التفجيرات في نيويورك وواشنطن عدم عودته إلى واشنطن، وذهب إلى لويزيانا ثم إلى نبراسكا ليختبئ في أحد الأقبية المحصنة ضد الهجمات النووية. . ولكن نطالبه بالتحلي بقدر من الشجاعة الأدبية تتيح له الجرأة على تقديم استقالته من قيادة العالم نحو الهاوية؛ لأنه ـ كما قيل عنه ـ ليس على مستوى الأزمة، وعندها سوف يدخل التاريخ السياسي على أنه (سان چورچ) بدل أن يدخله على أنه (چورچ الثالث عشر).

❁ ❁ ❁

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وماذا بعد العراق؟

١- خط الزمن في الأزمة العراقية.

٢- حرب الخليج الثالثة.. الدوافع والمآلات.

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

خط الزمن في الأزمة العراقية(*)

في غمرة الأحداث قد تغيب بعض الجزئيات الضرورية لفهم هذا الحدث أو ذاك، ومع اعتقادي أن الاستغراق في الجزئيات قد يكون سببًا من أسباب النظرة الخاطئة والتحليل غير الشامل، إلا أنني أعتقد أيضًا أن أي محلل لا يستغني عن استعراض جزئيات الأحداث بصورة كلية، وهو الأمر الذي يقوده إلى الإلمام بفكرة شاملة عن مسار هذا الحدث، وهو ما يعينه على التحليل الدقيق، ثم تبقى بعد ذلك (النظرة) التي يرى من خلالها هذه الجزئيات و(الأسس والنظريات والقواعد) التي يحلل هذه الأحداث في ضوئها.

ولاعتقادي أن كثيرًا من القراء يملك حسًا نقديًا ومقدرة تحليلية قد لا تقل عن كثير من الكتاب، ولكن ينقصهم الجرأة والصقل والتوجيه و... مصادر جيدة للمعلومات، برزت فكرة هذا المقال الذي يهدف إلى تنشيط ذاكرة القارئ لاستحضار بعض جزئيات الأحداث الماضية في الأزمة العراقية الراهنة مع الولايات المتحدة والأمم غير المتحدة.

ولكن قبل أن أخوض في سرد هذه الجزئيات تاركًا القارئ ليقارن، ويستكمل، ويربط، ويتابع، ويحلل.. أود أن ألفت النظر إلى عدة أمور تؤخذ على هذا السرد، قد لا تغيب على القارئ الفطن، وما أظن قارئنا إلا فطنًا:

(*) ١٢/ ١٤٢٣هـ - ٢/ ٢٠٠٣م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الأول: أنه يصعب تقديم سرد كامل لأحداث هذه الأزمة في مقال مثل هذا، وعليه: فإن هذا المقال لا يقدم صورة كاملة لخط الزمن في الأزمة، وإنما يقدم رسمًا لطرفي الخط في مرحلته المتأخرة: أول ٤٥ يومًا بعد أحداث سبتمبر وآخر ثلاثين يومًا قبل كتابة هذا المقال، وعلى القارئ أن يلحظ ببصره وبصيرته ما نقص من هذا الخط.

الثاني: أن الأخبار الواردة في هذا السرد هي أخبار مجردة خالية من الرؤى والتحليلات والتقارير لأي جهة، اللَّهم إلا احتمال التوجيه من خلال حشد وذكر الأخبار نفسها أو تهميش وإهمال أخبار أخرى، وهذا ما لم أتعمده أنا شخصيًّا.

الثالث: أن مصادر الأحداث المذكورة هنا اقتصرت على المصادر المتداولة والمألوفة التي يستطيع أي قارئ ـ حتى في أي بلد مصاب بأرتكاريا المعرفة ـ الوصول إليها والحصول عليها بسهولة، كجريدة البيان الإماراتية، والحياة والشرق الأوسط اللندنيتين، وموقع الجزيرة نت، وموقع الـ BBC العربي.. وغيرها مما في استطاعة أي قارئ قادر على فك الخط !!

الرابع: وهو بديهي، وهو أن هذه الأخبار وتلك التصريحات هي مما (يظهر) ومما يكتب بهدف إطْلاع (الجمهور) عليه، أما بواطن الأمور فهذا ما لا علم لنا به، وقد يجتهد بعض المجتهدين لقراءة ما بين السطور للوصول إلى هذه البواطن، فهذا وشأنه، وهو وحده يتحمل مسؤولية التفكير بعد إصابته بالأرتكاريا المعروفة؛ فالتفكير

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

مسؤولية كل مفكر، ووزارة الصحة والمالية والتعليم والإعلام و. . . تحذرك من أضرار التفكير!!.

الخامس: أن التواريخ المذكورة هي تواريخ النشر، وهي غالبًا متأخرة عن وقوع الحدث أو صدور التصريح الإعلامي بيوم واحد تقريبًا، يزيد أو ينقص.

هذا وقد قسمت تتبع هذا الخط إلى محاور موضوعية ليسهل على القارئ تشكيل صورة ذهنية قريبة عن كل نقطة بحث، وهو ما تجدونه في السرد الآتي:

* استهداف العراق أمريكيّاً:

١٥/٩/٢٠٠١م: حمل وزير الخارجية الأمريكي كولن باول على الرئيس العراقي صدام حسين معتبرًا أن رفضه إدانة الاعتداءات الإرهابية في نيويورك وواشنطن له دلالته.

١٨/٩/٢٠٠١م: شكك المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) في الدور المزعوم لأسامة بن لادن في هجمات الثلاثاء الماضي، ودفع بأن هذه الهجمات الإرهابية غير المسبوقة ليست سوى مؤامرة انتقامية مدروسة بعناية فائقة من تدبير الزعيم العراقي صدام حسين.

١٩/٩/٢٠٠١م: قال مصدر حكومي أمريكي أمس الثلاثاء إن محمد عطا المشتبه في أنه أحد الخاطفين الذين كانوا على متن الطائرة الأولى التي ضربت مركز التجارة العالمي. . اجتمع في وقت سابق من العام الحالي مع مسؤول بالمخابرات العراقية في أوروبا.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٢٠/٩/٢٠٠١م: صرح مسؤول بإحدى وكالات الإغاثة طلب عدم ذكر اسمه لفرانس برس أمس «تلقينا تعليمات سرية من مكاتبنا في نيويورك من أجل البدء باتخاذ تحضيرات في إطار خططنا الطارئة تحسبًا لمواجهة آثار ضربة أمريكية محتملة ضد العراق».

٢١/٩/٢٠٠١م: ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز) أمس أن بعض كبار مسؤولي الإدارة الأمريكية ـ وعلى رأسهم بول فولفوفيتس نائب وزير الدفاع ولويس ليبي رئيس موظفي نائب الرئيس ديك تشيني ـ يسعون إلى إدراج العراق في القائمة بهدف التخلص من الرئيس العراقي صدام حسين، وهي خطوة طالما دافع عنها المحافظون الذين يؤيدون الرئيس بوش منذ أمد بعيد.

وأشارت الصحيفة إلى أن عددا من المحافظين تداولوا رسالة جديدة تدعو الرئيس الأمريكي إلى بذل جهد أكيد للإطاحة بالرئيس العراقي حتى إذا لم يثبت وجود صلة بينه وبين الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة.

٢٤/٩/٢٠٠١م: قال السناتور الأمريكي جيسي هيلمز أمس الأول أن الجيش الأمريكي قد يستهدف العراق والرئيس صدام حسين عندما يشن ضربات انتقامية ردًا على هجمات ١١ سبتمبر الانتحارية على نيويورك وواشنطن.

٢٥/٩/٢٠٠١م: أعرب وزير الدفاع الأمريكي عن قلقه لاحتمال تعرض بلاده لهجوم كيماوي أو بيولوجي من قبل (جماعات إرهابية) مرتبطة على حد قوله بدول كالعراق وسوريا وكوريا الشمالية.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٢٥/٩/٢٠٠١م: قال كولن باول وزير الخارجية الأمريكي: ليست لدينا أي أوهام إزاء صدام حسين؛ لأنه لا يكنُّ لنا أو للمنطقة خيرًا، وهو حاول تطوير أسلحة الدمار الشامل، مضيفًا: لقد أبقيناه تحت السيطرة لمدة ١٠ سنوات وسنستمر بإبقائه تحت السيطرة، وكما تعرفون لدينا القدرة دائما على الضرب في حال استدعت الضرورة ذلك.

٩/ ١٠/ ٢٠٠١م: ذكرت مجلة (نيوزويك) الأمريكية أمس أن الرئيس الأمريكي استبعد حاليًا ضرب العراق، وعلى كل حال ليس قبل انتهاء (المرحلة الأولى) من حربه ضد الإرهاب والقضاء على القواعد الإرهابية في أفغانستان.

وقالت المجلة: إن نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني طلب من الرجل الثاني في وزارة الدفاع بول ولفويتز تخفيف لهجته ضد الرئيس العراقي صدام حسين.

١٣/ ١٠/ ٢٠٠١م: تحاشى الرئيس الأمريكي بوش الإجابة عن سؤال حول توسيع الحرب لتشمل دولاً مثل سوريا والعراق، لكنه قال: إن الولايات المتحدة تراقب العراق «باهتمام بالغ»، وحث الرئيس العراقي صدام حسين على السماح بعودة مفتشي الأسلحة الدوليين.

١٩/ ١٠/ ٢٠٠١م: حذر الجنرال جان بول رانين رئيس مجموعة الاتصال الفرنسية لدى القيادة المركزية للعمليات الأمريكية في أفغانستان من أن القيادات العسكرية الأمريكية تسعى لتوسيع الضربات لتشمل العراق وسوريا أيضًا.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٢٢/ ١٠/ ٢٠٠١م: رد رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية ريتشارد مايرز على سؤال لمحطة التلفزة (A.B.C) عما إذا كان بدأ الإعداد لضرب العراق، فقال: «هذه حرب عالمية على الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، أفغانستان مجرد جزء صغير.. ولذلك فنحن طبعًا نفكر بشكل أوسع.. يمكنني القول: إننا منذ الحرب العالمية الثانية لم نفكر بهذه الشمولية».

٢٥/ ١٠/ ٢٠٠١م: قال وزير الخارجية الأمريكي كولن باول «سنولي اهتمامنا في الوقت المناسب لمصادر أخرى للإرهاب تزعزع استقرار العالم، وسنراقب العراق عن كثب خلال هذه العملية».

٢٧/ ١٠/ ٢٠٠١م: اعترف رئيسا لجنتي المخابرات في مجلس الشيوخ والنواب (الكونجرس) الأمريكي بعدم وجود أدلة واضحة على اتهام العراق بالتورط في هجمات ١١ سبتمبر وحالات الإصابة بالجمرة الخبيثة، رغم كثرة التكهنات على وجود صلة لبغداد.

٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١م: قال وزير الدفاع الأمريكي إنه لا يستطيع استبعاد حدوث عمل حربي ضد العراق في إطار حملة الولايات المتحدة على الإرهاب الدولي، وجاءت تعليقات الوزير في أعقاب تصريحات أدلى بها نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز لصحيفة بريطانية أعرب فيها عن اعتقاده بأن واشنطن تخطط لضرب ٣٠٠ هدف عراقي بنحو ألف صاروخ.

١٢/ ١٠/ ٢٠٠٢م: كشفت مصادر استخبارية ونيابية أميركية النقاب عن الضغوط التي يمارسها عدد من كبار مسؤولي إدارة الرئيس

حملت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

جورج بوش على محللي المعلومات في وكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A) من أجل جعل تقييمهم للتهديد العراقي يدعم موقف الإدارة ضد العراق.

٢٤/ ١١/ ٢٠٠٢م: كشفت مجلة (يو إس نيوز آند وورلد ريبورت) الأمريكية عن خطة تعدها إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش لحكم العراق بعد الإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين.

وذكرت المجلة في عددها الذي صدر بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠٠٢م أن الخطة تتكون من ٣ مراحل أساسية، وأنها تلقى إجماعًا بين القيادة الأمريكية التي تواصل استعداداتها على قدم وساق لشن الحرب.

١/ ١/ ٢٠٠٣م: أعلن الرئيس الأميركي جورج بوش أنه لا يعلم إذا ما كان الرئيس العراقي صدام حسين يمتلك حاليًا أسلحة نووية أم لا، وذلك خلافًا لتأكيدات واشنطن ولندن السابقة بحيازة العراق لهذه الأسلحة، وقال في تصريحات للصحفيين قرب مزرعته بكروفورد في ولاية تكساس: إن العراق اقترب كثيرًا في الماضي من تطوير أسلحة نووية.

وأعرب بوش عن أمله في أن يتم التمكن من حل الوضع المتعلق بالعراق بشكل سلمي، مشيرًا إلى أن الرئيس العراقي يتحدى العالم والمجتمع الدولي، وشدد على ضرورة أن تتخلص بغداد من أسلحة الدمار الشامل.

٣/ ١/ ٢٠٠٣م: تفقد الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش قوات أمريكية يوم الجمعة مؤكدًا أمامها أن حربًا على العراق لن تكون

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بهدف (غزوه وإنما تحريره)، وقال بوش لآلاف الجنود في قاعدة فورت هود في كيلين بولاية تكساس إنه «إذا تطلب الأمر استخدام القوة لنزع أسلحة الدمار الشامل من العراق، ولتأمين بلادنا، وحفظ السلام، فستتصرف أميركا بتأن وعلى نحو حاسم، وستنتصر؛ لأننا لدينا أفضل جيش في العالم».

٩/١/٢٠٠٣م: أعلن وزير الخارجية الأميركي كولن باول في حديث نشر اليوم أن الولايات المتحدة بدأت تسليم الأمم المتحدة معلومات عن برامج تسلح عراقية لكنها تتحفظ على كشف بعض المعلومات التي حصلت عليها من مصادر سرية جداً.

وقال باول لصحيفة واشنطن بوست: إن معلومات مهمة تم تسليمها منذ أيام ليتاح للمفتشين الموجودين في العراق القيام بعملهم بطريقة أكثر جرأة وشمولية.

١١/١/٢٠٠٣م: قال ديك تشيني نائب الرئيس الأميركي إن الحرب التي تخوضها بلاده على الإرهاب لن تتكلل بالنصر إلا إذا تم تجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها، وفي كلمة له أمس الجمعة أمام غرفة التجارة الأميركية في واشنطن، قال تشيني إن إدارة الرئيس بوش تخشى من أن تقرر بغداد تزويد القاعدة ومنظمات إرهابية أخرى بأسلحة دمار شامل لاستخدامها ضد الولايات المتحدة.

١٨/١/٢٠٠٣م: يقول مسؤولون أميركيون إن إدارة الرئيس جورج بوش توشك على الانتهاء من خطة تحدد سبل إدارة العراق في مرحلة ما بعد الإطاحة بالرئيس صدام حسين، وتقضي بأن يقوم

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الجنرال ديفيد ماكيرنان، قائد القوات البرية الأميركية بتشكيل إدارة عسكرية (مؤقتة)، في حين سيتاح لقيادات المعارضة أن تلعب دوراً استشارياً يتزايد مع تزايد التقدم الذي يتحقق في إقامة مؤسسات سياسية مدنية، ولكنهم لن يتمكنوا من الفوز بسيطرة كاملة على بلادهم لعدة سنوات أو أكثر.

وقال ريتشارد بيرل مدير مجلس السياسات التابع لوزارة الدفاع الأمريكية إنه ليس أمام المفتشين أي فرصة بالعثور على أسلحة الدمار الشامل التي يخفيها العراق.

* الموقف العراقي الرسمي:

١٢/٩/٢٠٠١م: أعلن وزير النفط العراقي عامر محمد رشيد أن العراق يحتل المرتبة الأولى في العالم من حيث الاحتياطي النفطي عند إضافة الاحتياطي المحتمل إلى الاحتياطي المؤكد، وقال: «إن العراق هو الدولة الوحيدة في العالم التي تمتلك احتياطيًا نفطيًا محتملاً هو ضعف الاحتياطي المؤكد» مضيفًا أن الاحتياطي المؤكد في حدود ١١٣ مليار برميل والمحتمل ٢٢٠ مليار برميل.

١٢/٩/٢٠٠١م: انتقدت صحيفة (بابل) العراقية أمس رئيس مفتشي الأمم المتحدة لنزع أسلحة العراق هانس بليكس، مؤكدة من جديد رفضها أي مهمة جديدة لهؤلاء المفتشين الذين اتهمتهم بالقيام بـ (مهام تجسسية).

١٥/٩/٢٠٠١م: حذر الرئيس العراقي صدام حسين الدول العربية التي تستمر في دعم الولايات المتحدة من أنها قد تلاقي

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

المصير نفسه الذي لاقاه حلفاء الاتحاد السوفييتي السابق، بينما دعت صحيفة عراقية واشنطن إلى الاستفادة من درس الاعتداءات القاسي وتغيير سياستها الخارجية.

١٦/٩/٢٠٠١م: قال وزير التجارة العراقي مهدي صالح في ختام لقائه وزير الخارجية المصري أحمد ماهر في القاهرة أمس إنه لا علاقة لبلاده بالاعتداءات التي استهدفت الولايات المتحدة الثلاثاء الماضي.

١٩/٩/٢٠٠١م: عبر نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز في رسالة وجهها إلى منظمة (أصوات البرية) الأمريكية المناهضة للحظر المفروض على العراق عن (تعازيه الحارة) في ضحايا الاعتداءات التي استهدفت الولايات المتحدة.

٢١/٩/٢٠٠١م: نفى ناطق باسم وزارة الخارجية العراقية أمس الاتهامات الإسرائيلية بأن العراق يقف وراء الاعتداءات التي ضربت نيويورك وواشنطن في ١١سبتمبر في وقت حذرت بغداد من حرب عالمية جديدة.

٢٥/٩/٢٠٠١م: جددت الحكومة العراقية رفضها للسماح لمفتشي الأسلحة الدوليين بدخول أراضيها حتى لو ترتب على ذلك قيام أمريكا بمهاجمة العراق، وقال طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي في مقابلة مع راديو لندن أمس الأول إنه عندما يرغب الأمريكيون في مهاجمة العراق سيهاجمونه طبقًا لجدولهم الخاص، وليس لأن العراق فعل هذا أو لم يفعل ذلك.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٤/ ١٠/ ٢٠٠١م: اتهم نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز أمس الولايات المتحدة بالإعداد لشن هجوم على العراق تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، مؤكدًا أن بلاده ستبقى صامدة في وجه العدوان والحصار.

١٠/ ١٠/ ٢٠٠١م: رجح وزير الخارجية العراقي ناجي صبري استخدام الولايات المتحدة ذريعة مكافحة الإرهاب لضرب العراق وتصفية حساباتها مع بغداد، فيما تواصل الصحف العراقية تنديدها بالضربات العسكرية لأفغانستان بوصفها عملاً إجراميًا.

١٧/ ١٠/ ٢٠٠١م: قال وزير الخارجية العراقي ناجي صبري أمس إن بلاده قد رفضت رسالة أمريكية وجهت إليها عن طريق طرف ثالث، ولكنه لم يكشف النقاب عن مضمونها.

٢٣/ ١٠/ ٢٠٠١م: نقل تلفزيون (الشباب) العراقي عن وزير الخارجية العراقي ناجي صبري قوله في اتصال هاتفي أمس الأول: «في الحقيقة هناك في الولايات المتحدة توجه يتولاه الصهاينة في الإدارة الأمريكية وعناصر أخرى في هذه الإدارة تدفع الإدارة الأمريكية باتجاه توجيه العدوان على دول عربية أخرى، ومنها العراق»، وأضاف أن «الإنجليز أيضًا يلعبون دورًا في توسيع نطاق العدوان لكي يشمل دولاً عربية وإسلامية أخرى من خلال تحريض صحفهم».

٢٩/ ١٠/ ٢٠٠١م: أعلن نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز أمس أن الولايات المتحدة وبريطانيا قررتا إطلاق ألف صاروخ على ٣٠٠ هدف في العراق من أجل الإطاحة بالرئيس العراقي صدام

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حسين تحت ستار محاربة الإرهاب، ووصف اتهام بغداد بأنها وراء موجة رسائل الجمرة الخبيثة بأنه (سخيف) ولا أساس له.

١٣/ ١٢/ ٢٠٠٢م: قالت شركة النفط الروسية لوكويل العملاقة إنها تلقت رسالة من وزارة النفط العراقية يلغي فيها العراق اتفاقًا مع الشركة لتحديث منشآته النفطية بقيمة ٣,٧ مليار دولار، وكان يعتقد على نطاق واسع أن المصالح الروسية في العراق هي السبب الرئيسي وراء مقاومة روسيا للخطط الأمريكية الرامية إلى ضرب العراق، وكان العراق يعتمد على حماية موسكو له.

١٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م: قال مسؤول بارز في حزب البعث الحاكم في بغداد رفض الكشف عن اسمه إن المسؤولين الأميركيين حريصون باستمرار على التلويح بالحرب على العراق لشن حرب نفسية عليه، لكنه أضاف أن العراقيين لن يستسلموا، وسيقاومون الضغوط عليهم، فهم «يعيشون في دولة تكبدت عناء الحرب لأكثر من ٢٠ عاما».

٩/ ١/ ٢٠٠٣م: أعلن الفريق عامر السعدي المستشار في ديوان الرئاسة العراقية أن العراق سيبلِّغ كبير المفتشين الدوليين هانز بليكس في زيارته المقبلة إلى بغداد عما سماه تصرفات غير مسوَّغة يقوم بها خبراء الأمم المتحدة.

وقال مراسل الجزيرة في بغداد إن المسؤولين العراقيين عبروا عن ارتياحهم عند بدء عمليات التفتيش بالمهنية التي كان يتسم بها عمل المفتشين، غير أنهم بدؤوا في وقت لاحق يشكون مما سموه تدخل المفتشين في قضايا لا علاقة لها بأسلحة الدمار الشامل. وأضاف أن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بعض المسؤولين العراقيين وصفوا هذا التدخل بالعمل الاستخباري، كما أن مدير أحد المواقع العراقية ذهب إلى تشبيه هذا العمل باللصوصية.

٢٠٠٣/١/١٠م: وجه العراق مناشدة مباشرة إلى أفريقيا لتقديم المزيد من العون للحيلولة دون وقوع حرب مع الولايات المتحدة.

وجاءت الدعوة خلال مؤتمر برلماني أفرو ـ عربي يعقد حاليًا في أديس أبابا، أثيوبيا، وقال رئيس المجلس الوطني العراقي، سعدون حمادي إن بلاده تعتقد بأن الدول الأفريقية قادرة على عمل أكثر مما قامت به لحد الآن لممارسة ضغط على الولايات المتحدة.

٢٠٠٣/١/١٧م: قالت مجلة دير شبيجل الألمانية إن الحكومة العراقية تسعى للحصول على ضمانات تسمح للرئيس العراقي صدام حسين والقيادات العراقية الأخرى بالخروج إلى المنفى كحل لإنهاء الأزمة الراهنة.

لكن خافيير سولانا مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي أعلن يوم الجمعة أن لا علم له بأي مبادرة من هذا النوع.

* موقف حلفاء أمريكا:

حلف الأطلسي:

٢٠٠١/٩/٢٨م: كشف نائب قائد قوات حلف الناتو في أوروبا الجنرال الأمريكي كارلتون فولفورد عن احتمالات وجود صلة للعراق مع أسامة بن لادن ومع الأحداث التي تعرضت لها الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر الحالي..

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٢/ ١٠/ ٢٠٠١م: أعلن جورج روبرتسون أمين عام حلف الأطلسي الذي التقى بوش عن استعداد الحلف لدعم الولايات المتحدة في استهداف العراق حال ثبوت تورطه بهجمات ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة.

١٥/ ١/ ٢٠٠٣م: قال مسؤول في حلف الأطلسي إن الولايات المتحدة طلبت رسميًا من حلفائها في حلف الأطلسي يوم الأربعاء المساعدة والدعم في حالة نشوب حرب ضد العراق.

بريطانيا:

١/ ١٠/ ٢٠٠١م: ذكر تقرير صحفي بريطاني أمس أن الرئيس العراقي صدام حسين أصدر توجيهات لكبار علمائه بقصر جهودهم على العمل في توسيع ترسانة أسلحته الكيماوية والبيولوجية.. وقال التقرير الذي نشرته صحيفة صنداي تليجراف إن واحدًا من علماء النظام العراقي البارزين السابقين أبلغ الصحيفة بأن صدام أمر بتجميد برنامج الأسلحة النووية لكونه باهظ التكاليف.

٤/ ١٠/ ٢٠٠١م: لمح وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية بين برادشو أن المرحلة التالية من الحملة الدولية لمحاربة الإرهاب ستسلط الضوء على النظام العراقي بسبب سوء سجله بحق شعبه إلى جانب الدول التي تدعم الإرهاب.

١١/ ١٠/ ٢٠٠١م: قال مسؤول بالحكومة البريطانية يرافق رئيس الوزراء توني بلير في زيارته لسلطنة عمان إن أي بلد آخر لن يتعرض للهجوم دون «دليل دامغ» على رعايته للإرهاب ودون أوسع تأييد

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

دولي للعمل العسكري، وقال المسؤول للصحفيين: «ليس لدينا دليل يربط النظام العراقي بأحداث ١١ سبتمبر».

١٥/ ١٠/ ٢٠٠١م: صرح رئيس الوزراء البريطاني بأنه لا توجد أي نية لشن حرب موسعة ضد العراق قائلاً: إن الحاجة تستدعي التعامل مع معاناة الشعب العراقي دون تمكين الرئيس العراقي صدام حسين من الحصول على أموال لشراء الأسلحة.

١٨/ ١٠/ ٢٠٠١م: حول احتمالات توجيه ضربة ضد العراق أو أي دولة عربية أخرى في إطار الحملة ضد ما يسمى بالإرهاب قال براد شو وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية البريطانية: إن التحالف الدولي واضح في هذا الشان وهو التركيز على المسئولين عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر والقبض عليهم وتقديمهم إلى المحاكمة مشيراً إلى أن هناك قرارات للأمم المتحدة باتخاذ إجراءات محددة لمحاربة الإرهاب.

وأوضح أنه لا توجد أي أدلة على ضلوع العراق أو أي دولة عربية أخرى في هجمات ١١ سبتمبر معتبراً انه سيكون من الخطر التكهن بأي شيء في هذا الموضوع.

١٩/ ١٠/ ٢٠٠١م: قال وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في تصريح له في أنقرة أمس انه لا يوجد حتى الآن ما يشير لصلة العراق مع تنظيم القاعدة، ويمكن بحث المسألة من جديد إذا تبين عكس ذلك.. واستطرد قائلاً إنه في ضوء الوضع الحالي فليس مطروحًا على الأجندة القيام بعمليات عسكرية ضد العراق.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٣١/ ١٠/ ٢٠٠١م: سعى وزير الدفاع البـريطاني جيف هون إلى التقليل من شـأن تكهنات بأن للعراق صلة بالهجـمات على الولايات المتـحدة. ومضى قائلاً: «ليس هناك دليل يربط العـراق بأحداث ١١ سبتمبر، ليس هناك دليل كذلك حتى الآن يربط بين العراق وهجمات الجمرة الخبـيثة في الولايات المتحدة، أعتـقد أن من المهم أن نؤكد على هذه الأمور».

١٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م: أعلن وزير الخارجية البريطاني جاك سترو أن القوات البريطانيـة لن تشارك في حرب على العراق مـا لم يصدر قرار ثان من الأمم المتحدة بهذا الخصـوص، ويرى مراقبون أن تصريحات سترو تمثل تراجعًا في الموقف البريطاني السابق.

١٤/ ١/ ٢٠٠٣م: أيد جوردون براون، وزيـر المالية البـريطاني، الذي يعتـبر الشخـص الثاني في الحكومة البـريطانية، التـهديد الذي أطلقـه رئيس الوزراء توني بلير من أن الحـرب على العراق قـد تُعلن حتى وإن لم تفوض الأمم المتحدة ذلك.

دول أخرى:

١٧/ ١٠/ ٢٠٠١م: أكد رئيس الوزراء الروسي السابق والبرلماني الروسي البارز يفجـيني بريماكوف أنه لا يمكن لروسيا أن تقـدم دعمًا ولا أن توافق أصلاً على ضـرب العراق كجـزء من الحملة الأمـريكية الحاليـة في أفغانسـتان، مشـيرًا إلى أن موسكو قـد حذرت واشنطن رسميًا بهذا الخصوص.

١٧/ ١٠/ ٢٠٠١م: نفى رئيس وزراء كندا جان كـريتيان أن تكون

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

هناك خطط عسكرية لمهاجمة العراق، مؤكداً أن مشاركة بلاده في التحالف تقتصر على أفغانستان.

٢٨/ ١١/ ٢٠٠٢م: اعتبرت وزيرة التعاون الألمانية هايد ماري فيتسوريك زويل أمس الأربعاء موقف الولايات المتحدة حيال حلفائها فيما يتعلق بالموقف من العراق وقحًا.

وأضافت الوزيرة أن المباحثات حول مخططات الحرب في العراق تنفرها، لا سيما كلفة النزاع المحتمل التي تصل ـ على حد قولها ـ إلى أربعة أضعاف النفقات العالمية للمساعدات من أجل التنمية.

٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٢م: من دون ذكر العراق بالاسم، خاطب يوحنا بولس الثاني، بابا الڤاتيكان، الجموع التي حجت إلى ميدان القديس بطرس في الڤاتيكان، قائلاً: إنه إذا تضافرت جهود الجميع فإنه بالإمكان إخماد «النيران المتقدة لأحد النزاعات الوشيكة».

٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٢م: أعلنت الصين وألمانيا أنهما ستعملان معًا على إيجاد حل سياسي للأزمة العراقية.

٣١/ ١٢/ ٢٠٠٢م: خفف المستشار الألماني جيرهارد شرويدر في رسالته بمناسبة العام الجديد من معارضته للقيام بعمليات عسكرية ضد العراق قائلاً: إن القوة تصبح ضرورية في بعض الأحيان.

٥/ ١/ ٢٠٠٣م: انتقد كبير الأساقفة في جنوب إفريقيا دزموند توتو موقف رئيس الوزراء البريطاني توني بلير الداعم للحرب المحتمل أن تقودها الولايات المتحدة ضد العراق.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٦/ ١/ ٢٠٠٣م: صرح ألكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية الروسي لدىٰ وصوله إلىٰ العراق بأن بلاده تهدف إلىٰ الوصول إلىٰ حل سياسي دبلوماسي للأزمة ومنع أي صراع عسكري.

ويرافق سلطانوف في زيارته نائب وزير الطاقة الروسي إيفان ملتاشوف ورئيس شركة النفط الروسية العملاقة لوكويل.

١٨/ ١/ ٢٠٠٣م: وقعت بغداد وموسكو أمس علىٰ عدد من الاتفاقيات النفطية لتطوير واستكشاف حقول نفطية عراقية، حسب ما أفاد مسؤولون من كلا البلدين. من جهتها أعلنت شركة «لوك أويل» النفطية الروسية أنها استعادت حقوقها في حقل القرنة الغربي ـ ٢ الذي ألغت بغداد الشهر الماضي عقداً معها لتطويره.

الأمم المتحدة:

٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٢م: أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً يوسع فيه قائمة السلع المدنية التي لا يستطيع العراق إستيرادها دون موافقة مسبقة.

وكانت الولايات المتحدة قد دعت إلىٰ القرار الذي يضيف سلعًا جديدة إلىٰ قائمة السلع التي يمكن أن يكون لها استعمال عسكري.

١٢/ ١/ ٢٠٠٣م: يقول متحدث باسم الوكالة الدولية للطاقة الذرية إن الوكالة تحتاج إلىٰ عام واحد علىٰ الأقل للتحقق مما إذا كان العراق قد فكك برنامجه النووي.

وقال لـ (B.B.C): إن هذا هو رأي محمد البرادعي المدير العام للوكالة وهانز بليكس رئيس فرق التفتيش الدولية عن الأسلحة العراقية.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٧/١/٢٠٠٣م: كشفت تقارير أمريكية عن أن إدارة الرئيس بوش أطلعت هانز بليكس ومحمد البرادعي المسؤولين عن عمليات التفتيش الدولي في العراق على معلومات استخباراتية تفيد أن المسؤولين العراقيين حفروا مئات الكيلو مترات من الأنفاق تحت الأرض في مناطق مختلفة وأنهم يستخدمون هذه الأنفاق لإخفاء أسلحة دمار شامل كيميائية وجرثومية ومواد ومعدات ومكونات لها علاقة بإنتاج أسلحة الدمار المحظورة بما في ذلك احتمال إنتاج السلاح النووي وصواريخ أرض ـ أرض متوسطة وبعيدة المدى قادرة على نقل هذه الأسلحة.

١٥/١/٢٠٠٣م: شدد الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان على أهمية أن يتخذ مجلس الأمن قراراً ثانيًا ليحدد ماهية العواقب الوخيمة التي سيواجهها العراق في حالة انتهاكه قرار مجلس الأمن ١٤٤١.

١٦/١/٢٠٠٣م: أعلن هانز بليكس، كبير مفتشي الأسلحة بالأمم المتحدة، الخميس أن العراق انتهك الحظر الدولي باستيراد مواد عسكرية، مشيراً إلى أن الموقف «خطير جدًا».

* موقف إسرائيل وإيران وتركيا:

إسرائيل:

٢١/٩/٢٠٠١م: ذكر موقع «جاينز سكيوريتي» المتخصص في شؤون الدفاع على شبكة إنترنت أن جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي (امان) يشتبه في أن العراق يقف وراء الاعتداءات التي

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ضربت نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر.

٢٤/٩/٢٠٠١م: قال رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية الميجر جنرال أموس مالكا إنه ليست هناك إشارات على تورط العراق في الهجمات.

١٠/١٠/٢٠٠١م: أعلن وزير الحربية الإسرائيلي بنيامين بن إليعازر أمس أن إسرائيل مستعدة للمواجهة في حال توسعت الضربات الأمريكية لتشمل العراق.

١١/١٠/٢٠٠١م: أعلنت نائبة وزير الحربية الإسرائيلي داليا رابين ـ فيلوزوف أمس أن الولايات المتحدة ستبلغ إسرائيل مسبقًا باحتمال شن هجوم على العراق الذي اعتبر بين الأهداف المحتملة للأمريكيين، وأضافت: «ليس هناك من شك بأن العراق هو بين أهداف الولايات المتحدة عاجلاً أم آجلاً».

٢٦/١٠/٢٠٠١م: نقلت صحيفة (بيلد) الألمانية عن مصادر للمخابرات الإسرائيلية لم تذكر اسمها قولها إن عطا المشتبه بقيادته طائرة صدمت مبنى مركز التجارة العالمي حصل على بكتيريا الجمرة الخبيثة من عملاء عراقيين خلال زيارتين لجمهورية التشيك.

٣١/١٠/٢٠٠١م: أعرب وزير الخارجية الإسرائيلي بيريز في حوار أجرته معه مجلة (نيوزويك) الأمريكية تنشره بعددها الصادر في ٥ نوفمبر المقبل عن اعتقاده بأن العراق مدرج على قائمة الأهداف التي ستطالها الضربات.. لكنه أوضح أن قرار القتال على جبهتين من عدمه قرار عسكري بحت.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ونصح الإدارة الأمريكية بالتخلص من طالبان أولاً.. مشيرًا إلى أن العراق وسوريا على القائمة لكن الأفضل التركيز على جبهة واحدة، فالعراق في رأيه بلد مرعب وسيأتي دوره على حد قوله.

إيران:

١١/ ١٠/ ٢٠٠٢م: أكدت مصادر إيرانية مطلعة أن وزير الخارجية البريطاني جاك سترو طمأن المسؤولين الإيرانيين الذين التقاهم في طهران إلى أن الحرب ضد العراق، إذا نشبت، «فلن تتجاوز حدود العراق»، وان التغيير في نظام الحكم في العراق «لن يكون موجهًا ضد إيران أو أي بلد آخر» مجاور للعراق.

وقالت المصادر التي كانت تتحدث إلى (الشرق الأوسط) أمس إن سترو أكد للرئيس محمد خاتمي ووزير خارجيته كمال خرازي وسكرتير مجلس الأمن القومي الإيراني حسن روحاني أن (محور الشر) بالمفهوم البريطاني والأميركي «يبدأ في العراق وينتهي في العراق» ولم تعد إيران وكوريا الشمالية ضلعين له.

١٦/ ١١/ ٢٠٠٢م: نقلت صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) الأمريكية عن دبلوماسي غربي في طهران قوله: إن هناك افتراضًا أساسيًا مفاده أن الإيرانيين راغبون بالتعاون مع الولايات المتحدة، ليس لأنهم يكرهون صدام حسين ولكنهم لا يريدون أن يُتركوا على الهامش، وأضاف الدبلوماسي الغربي قائلاً: لديهم تأثير قوي على شيعة العراق، ولماذا لا يكون هذا التأثير إيجابيًا بدلاً من أن يكون سلبيًا؟

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٥/ ١/ ٢٠٠٣م: أعرب مسؤولون إيرانيون بارزون عن اعتقادهم بأن الولايات المتحدة لن تهاجم العراق في فترة ما قبل موسم الحج، وأكدوا في الوقت نفسه على حياد بلادهم في أي حرب قد تشنها واشنطن على بغداد.

تركيا:

١١/ ١٠/ ٢٠٠١م: حذرت تركيا أمس من دوامة الدم والنار التي ستهب في حال وسَّعت الولايات المتحدة نزاعها ضد الإرهاب إلى دول أخرى في المنطقة في إشارة إلى العراق جارتها في الجنوب.

١٦/ ١٠/ ٢٠٠١م: أعلن نائب رئيس الوزراء التركي مسعود يلماظ أمس أن تركيا لا تستبعد أن تتسع العملية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، لتمتد إلى العراق، وهو احتمال ستحاول تفاديه.

١٧/ ١٠/ ٢٠٠١م: اعتبر رئيس الوزراء التركي بولنت أجاويد أنه ليس من الصحيح أن يمتد نطاق العملية العسكرية الأمريكية الحالية في أفغانستان ليشمل العراق، مؤكدًا أن تركيا لن تقبل ذلك وأنها أوضحت منذ اللحظة الأولى رغبتها في أن تقتصر العملية على نطاق أفغانستان وألا تستغرق فترة زمنية طويلة.

١٨/ ١٠/ ٢٠٠١م: بعد الحملة الإعلامية والسياسية التي شنتها أوساط تركية على رأسها رئيس الوزراء بولند أجاويد ضد مساعي أكراد العراق للحصول على فيديرالية كردية في شمال العراق، بدأت أنقرة تعيش تحولاً تدريجيًا ومهمًا باتجاه قبول الحل الفيديرالي في العراق مستقبلاً، بدأت إشاراته الأولى تظهر في أهم الصحف التركية

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وعلى ألسنة مسؤولي وزارة الخارجية.

٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٢م: قال رجب طيب أردوغان زعيم الحزب الحاكم في تركيا إن بلاده لن تحسم موقفها إزاء أي هجوم على العراق حتى يتخذ مجلس الأمن الدولي موقفًا واضحًا في هذا الشأن.

٣/ ١/ ٢٠٠٣م: فيما تواصل الولايات المتحدة حشد قواتها في منطقة الخليج، قال وزير الخارجية التركي إن حكومة بلاده أيدت الضغوط الأمريكية على العراق لكن الشعب التركي يعارض تمركز القوات الأمريكية في بلاده.

٦/ ١/ ٢٠٠٣م: أشار رئيس الوزراء التركي عبد الله غل إلى أن تركيا قد تسمح للولايات المتحدة باستخدام قواعدها العسكرية في حال شن حرب على العراق، وأكد في تصريح من القاهرة لشبكة التلفزة الأميركية (C.N.N) أن القرار يعود إلى البرلمان التركي، كما أعلن عبد الله غل أمس رفض بلاده لأي محاولة لتقسيم العراق، وقال عقب محادثاته مع الرئيس المصري حسني مبارك في شرم الشيخ إن تركيا تعمل بكل جدية لتجنب شن حرب على العراق، مشيرًا إلى أن قيام الحرب سيلحق ضررًا كبيرًا بكل دول المنطقة.

١٣/ ١/ ٢٠٠٣م: كشف غل الذي التقى السبت مسؤولين سعوديين، أن إيران وتركيا والسعودية قد تقترح مسعى مشتركًا لتفادي الحرب، وقال إنه كلف الوزير التركي المكلف شؤون التجارة الخارجية تسليم رسالة إلى الرئيس العراقي صدام حسين سيكشف مضمونها في الأيام المقبلة.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٨/ ١/ ٢٠٠٣م: قالت وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) إن الجنرال ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان المشتركة سيجري محادثات مع مسؤولين عسكريين وحكوميين في تركيا ابتداء من بعد غد، وأضافت الوزارة في بيان أن مايرز سيصل إلى تركيا بعد أن يتوقف في بلجيكا وإيطاليا. كما يصل إلى أنقرة الأسبوع المقبل وفد من الكونغرس الأميركي برئاسة السيناتور جون وورنر، ليؤكد للجانب التركي نية الكونغرس في المصادقة على تشريع ربما يساعد تركيا في امتصاص أية صدمات اقتصادية بتقديم ائتمانات تصل إلى حوالي ١٤ مليار دولار. ومع مواصلة الولايات المتحدة حشد قواتها لحرب محتملة على العراق فإن تركيا لم تمنح واشنطن حتى الآن إذنًا لشن هجوم على العراق من أراضيها مخافة أن تمتد الحرب إلى حدودها وتثير اضطرابات اقتصادية واجتماعية.

* الموقف العربي الرسمي:

١/ ١٠/ ٢٠٠١م: أكد العاهل الأردني عبد الله الثاني أن الرئيس الأميركي جورج بوش تعهد أثناء محادثاته معه الجمعة الماضية بأنه لن يكون هناك ضربة للعراق ولا لأي دولة عربية في إطار حملة واشنطن ضد ما تسميه الإرهاب، وجاءت تصريحات العاهل الأردني أثناء زيارته لإحدى كتائب الجيش الأردني.

٥/ ١٠/ ٢٠٠١م: قال أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس المصري: موقف مصر واضح من موضوع مكافحة الإرهاب، مشيراً إلى أن بلاده مطمئنة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

تدين بلدًا عربيًا بتنفيذ الاعتداءات الإرهابية الأخيرة، ومؤكدًا أن العراق لم يقم بأي شيء؛ فكيف يُضرب إذن؟

١٥/ ١٠/ ٢٠٠١م: ذكرت أمس صحيفة «ميلليت» التركية أن العاهل الأردني الملك عبد الله حذر من أنه إذا ما استهدفت واشنطن العراق فسيفتح ذلك الطريق لحدوث هزة في العالم العربي، مشيرة إلى أن الرئيس التركي سيزر وعبد الله اتفقا على ضرورة أن يتعاون العراق وبخاصة في هذه الفترة الحرجة مع الأمم المتحدة والتصرف بأكبر قدر من المسؤولية في هذا الخصوص وأنهما سيوصيان العراق للسير في هذا الاتجاه.

٢٤/ ١٠/ ٢٠٠١م: صرح وزير الخارجية المصري أحمد ماهر أن « بعض الشخصيات الأمريكية تطالب بضرب العراق (بعد أفغانستان)، في حال حصل هذا الأمر فسوف ترون ليس فقط شعوبًا في حالة غضب ولكن حكومات في حالة غضب».

٣١/ ١٠/ ٢٠٠١م: أعلن الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى أن الإدارة الأمريكية أكدت له خلال زيارته الأخيرة لواشنطن بأن العراق ليس مستهدفًا في إطار الحرب على الإرهاب.

١٣/ ١٠/ ٢٠٠٢م: أعلن وزير الخارجية البريطاني جاك سترو أمس أن مصر والأردن وإيران والكويت يمكن أن تعتبر العمل العسكري ضد العراق «مشروعًا» بشرط أن يكون «مسموحًا به أمام القانون الدولي» وأن لا يتم إلا «كخيار أخير».

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م: نفى وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الأنباء التي ذكرت الأحد أن السعودية سمحت للقوات الأمريكية باستخدام قواعدها الجوية ومنشآتها العسكرية في حال قررت واشنطن شن هجوم على العراق.

٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م: حذرت هيئة قناة السويس المصرية اليوم الأحد من أن شن حرب أمريكية على العراق سيؤدي إلى انخفاض نسبته ١٠٪ في عائدات القناة التي تعتبر ثاني أكبر مصدر للدخل القومي في مصر بعد السياحة.

٤/ ١/ ٢٠٠٣م: قال السيناتور الأميركي أرلين سبكتر عقب لقائه اليوم في القاهرة الرئيس المصري حسني مبارك إن بلاده قد تزيد حجم المساعدات المخصصة لمصر في حال حصول حرب على العراق، وأوضح سبكتر للصحفيين أن الولايات المتحدة تعتبر مصر «صديقًا جيدًا جدًا وحليفًا جيدًا جدًا»، وأن موضوع زيادة هذه المساعدات سيكون موضع اعتبار إذا فرضت الأوضاع ذلك.

٧/ ١/ ٢٠٠٣م: أكد سمو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي أنه لا يجوز أن تدخل الولايات المتحدة في صراع ضد العراق بدون تفاهم دولي واسع، وقال في حديث لمجلة (نيوزويك) الأمريكية: «نأمل أن يكون أي قرار حول الحرب موضع تفاهم». وأشاد بمواقف الرئيس الأمريكي جورج بوش وإدارته حول العراق، وخاصة ما أعلن أخيراً «أن الحرب ستكون الخيار الأخير من أجل تسوية المسألة العراقية».

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٣/١/٢٠٠٣م: أعرب ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز عن اعتقاده بأن العراق لن يتعرض لهجوم عسكري رغم الحشود الأمريكية والبريطانية التي ترجح احتمال شن حرب على بغداد بقرار من مجلس الأمن الدولي أو بدونه.

١٣/١/٢٠٠٣م: حذر العاهل الأردني الملك عبد الله من أن نشوب حرب في العراق سيعمل على ازدياد الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين سوءًا وقد يتسبب في المعاناة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وكرر الملك عبد الله تأكيد موقف الأردن من أنه لن يقدم أي تسهيلات للقوات الأمريكية في أي حرب مع العراق.

* التحركات العسكرية:

٢١/٩/٢٠٠١م: أعلن متحدث عسكري عراقي أن القوة الصاروخية والمقاومات الأرضية أصابت أمس طائرتين (معاديتين) كانتا تقومان بشن غارات على منشآت مدنية فوق جنوب البلاد.

١٢/١٠/٢٠٠١م: أكد القائد العسكري العراقي اللواء منذر عبد الرحمن إبراهيم أن بلاده تحولت من مسؤولية التصدي للطائرات الأمريكية والبريطانية التي تنتهك أجواءها إلى مهمة إسقاطها على حد تعبيره، مشيرًا إلى أن العراق مستمر في تطوير قدرات دفاعه الجوي وتعزيز فعاليته القتالية.

٢٤/١١/٢٠٠٢م: أكدت صحيفة (الإندبندنت) البريطانية الأحد ٢٤/١١/٢٠٠٢م أن الحرب ضد العراق قد بدأت بالفعل، وأنه في الوقت الذي تُجرى فيه الاستعدادات العلنية للغزو تواصل المقاتلات

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

البريطانيــة والأمريكية تدميــر الدفاعات الجــوية العراقية، بينمــا تقوم وحدات خــاصة مــتمركــزة بالفعل داخل الأراضي العــراقيــة بتدريب الأكراد وتكديس المعدات الحربية استعدادًا لساعة الصفر.

١٨/ ١٢/ ٢٠٠٢م: صعّدت الولايات المتحدة مــن حربها النفسية ضد الرئيس صدام حسين بتوجيــه رسائل إذاعية إلى الجيش والمدنيين في العراق.

وتوجه هذه الرسائل طائرات أمريكــية تحلق فوق العراق، وتحث الرسائل العراقيين على رفض الرئيس صدام حــسين، متهمة إياه بشراء أسلحة بدل الطعام بالأموال التي يحصل عليها من مبيعات النفط.

وأسقــطت الطائرات الأمريكيــة والبريطانيــة أكثــر من ٥٠٠ ألف منشور لتحذير القوات العراقية من إصلاح منشآت الاتصالات.

٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٢م: أعلنت القيادة المركــزية الأميركية أن طائرات تابعة للولايات المتحدة وحلفــائها ألقت منشورات فوق جنوب العراق أمس السبت لتعلن عن الترددات الإذاعــية التي تحمل نداءات للجنود العراقيين للتخلي عن الرئيس صدام حسين.

وهذه ثامن عــملية من نوعــها لإلقــاء منشورات عن طريق الــجو خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٢م: كشف مســؤولون إسرائيليون عن أن الولايات المتحدة وإسرائيل ستجريان مناورات عسكرية مشتركة لدمج أنظمتهما الصاروخية وذلك كجزء من استعدادات إسرائيل لأي هجوم عراقي في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حال شنت الولايات المتحدة حربًا على العراق.

٢٠٠٢/١٢/٢٨م: كشفت تقارير عبرية أمس عن تقييمات استخبارية إسرائيلية تناقض السيناريوهات والتصورات الأميركية للحرب على العراق، وتعتبرها في منتهى السذاجة وترجح غرق القوات الأميركية في مستنقع فوضى في العراق والمنطقة ككل قد يستمر لسنوات طويلة وينتهي بإخفاق المخططات الأميركية ومراميها وراء هذه الحرب.

٢٠٠٣/١/٤م: قال مسؤولون في البحرية الأميركية إن ثلاث سفن حربية إضافية ستبحر من مقرها في سان دييغو بالولايات المتحدة الأسبوع القادم في مهمة إلى منطقة الخليج.

وقال اللفتنانت تشارلي براون إن المهمة ستستغرق ستة أشهر وتشمل مجموعة تاراوا البرمائية المكونة من ثلاث سفن ووحدة مشاة البحرية الخامسة عشرة في الجيش الأميركي.

وكانت وزارة الدفاع الأميركية (البنتاجون) قد أصدرت في وقت سابق أمس أوامر مماثلة لقوات متمركزة في ألمانيا وأخرى في كاليفورنيا إضافة إلى وحدات دفاع جوية صاروخية في تكساس للتحرك إلى منطقة الخليج.

وفي لندن قالت صحيفة (ديلي تلجراف) اليوم السبت إن بريطانيا سترسل قوات قوامها أكثر من ٢٠ ألف فرد إلى منطقة الخليج وستحشد نحو سبعة آلاف من الاحتياط الأسبوع القادم في إطار الاستعدادات لحرب محتملة ضد العراق، وتعليقًا على تقرير الصحيفة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

قال متحدث باسم وزارة الدفاع: «نعد العدة ليكون أمامنا خيارات متاحة إذا لزم الأمر وسنفعل المزيد على الأرجح».

١١/١/٢٠٠٣م: قالت مصادر بالبنتاجون إن وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أمر خمسة وثلاثين ألف جندي إضافي بالتوجه إلى الخليج، في إطار الاستعداد لشن حرب على العراق.

وتضم الدفعة الجديدة وحدات من مختلف القوات التي ينتظر أن يصل تعدادها في منطقة الخليج خلال الأسابيع القادمة إلى مئة وعشرين ألف جندي، ضمن ما وصف بأضخم حشد عسكري أميركي لمواجهة العراق.

١٢/١/٢٠٠٣م: أبحرت حاملة الطائرات البريطانية آرك رويال في اتجاه الخليج تحسبًا لاحتمال اندلاع حرب ضد العراق، لتكون على رأس أكبر قوة بحرية بريطانية يجري نشرها منذ حرب فوكلاند عام ١٩٨٢م، وجرى ترتيب سطح الحاملة بإزالة المقاتلات لكي يتسع لطائرات الهليكوبتر القادرة على حمل القوات، حتى تقوم بنقل مشاة البحرية.

وتنقل آرك رويال خمسة آلاف بحار وثلاثة آلاف من مشاة البحرية أولاً إلى البحر المتوسط ثم إلى قناة السويس، ومن المقرر أن يقوموا بزيارة الموانئ في الخليج في أبريل/ نيسان المقبل، إلا أنه يمكن نشرهم هناك قبل ذلك إذا لزم الأمر.

١٢/١/٢٠٠٣م: في إطار الحرب النفسية التي تشنها إدارة العمليات الخاصة الأميركية، قالت مصادر عسكرية إن الجيش الأميركي بدأ حملة توجيه رسائل بالبريد الإلكتروني يدعو فيها أفراد

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

القيادة المدنية والعسكرية بالعراق للابتعاد عن الرئيس صدام حسين.

١٣/١/٢٠٠٣م: قالت مصادر عسكرية في فلوريدا إن الطائرات الأمريكية والبريطانية قصفت منصات انطلاق صواريخ مضادة للسفن بالقرب من مدينة البصرة في جنوب العراق.

وقال المصدر إن القصف يندرج في إطار عمليات الدفاع عن النفس في منطقة حظر الطيران لأن تلك الأهداف خطر على القوات الغربية في الخليج.

*ردود الفعل الشعبية:

١/١٢/٢٠٠٢م: تجمع نحو خمسة آلاف متظاهر في إسطنبول مطالبين الحكومة التركية بعدم المشاركة في أي عمل عسكري بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق.

وحث المتظاهرون، الذين كانوا يحملون لافتات تحمل شعارات تنادي بالسلام، الحكومة على عدم استخدام واشنطن للقواعد العسكرية التركية في أي عملية يتم القيام بها في المستقبل.

١١/١٢/٢٠٠٢م: احتشد المئات من معارضي الحرب في واشنطن الثلاثاء في بداية يوم من الاحتجاجات المنسقة في شتى أنحاء الولايات المتحدة احتجاجًا على الحرب المحتملة ضد العراق، وقال منظمون: إن المسيرات والتجمعات ستنظم في نحو ١٠٠ بلدة ومدينة لتتزامن مع اليوم العالمي لحقوق الإنسان.

وسار المتظاهرون وسط برد قارس، رافعين لافتات مناهضة لإدارة الرئيس الأميركي جورج بوش تقول إحداها: «لا لهذه الحرب النفطية».

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٣/ ١٢/ ٢٠٠٢م: أعلن منظمو تظاهرة للتضامن مع العراق كان يفترض أن تجري اليوم في العاصمة التونسية أن السلطات هناك منعت المسيرة لأسباب وصفت بأنها أمنية، وكان من المقرر أن تنطلق المسيرة ظهر اليوم في وسط تونس العاصمة.

واحتج المنظمون في بيان على هذا القرار وأعربوا عن «إدانتهم لموقف السلطات».

١٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م: نظم نحو ٢٠٠٠ شخص يمثلون مختلف التيارات السياسية في القاهرة مؤتمرًا شعبيًا حاشدًا لإعلان رفضهم لأي عمل عسكري أميركي محتمل ضد العراق.

وقد أعلن المشاركون في المؤتمر الذي شاركت فيه شخصيات عربية ودولية بارزة، عن بدء حملة شعبية لرفض ما وصفوه العدوان الأميركي على العراق، ووجهوا انتقادات حادة للسياسة الأميركية تجاه العالم العربي، كما طالت انتقاداتهم المواقف الرسمية العربية تجاه ما يجرى ووصفوها بالسلبية.

٢/ ١/ ٢٠٠٣م: نظم ائتلاف مؤيد للعراق يضم مجموعات سياسية ونقابية مغربية اليوم الخميس مظاهرة أمام مقر السفارة القطرية بالمغرب، شارك فيها نحو خمسين شخصًا لإدانة ما أسموه تحالف دولة قطر مع الولايات المتحدة وبريطانيا بهدف (شن عدوان) على العراق.

وقال المتحدث باسم منظمي المظاهرة المحامي خالد سفياني إن الدوحة «أصبحت أشبه بحاملة طائرات أميركية».

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٤/١/٢٠٠٣م: ندد آلاف الباكستانيين بالولايات المتحدة وأحرقوا دمى تمثل الرئيس الأميركي جورج بوش، وهددوا أثناء المظاهرات التي عمت مدن باكستان الكبرى بمهاجمة الأميركيين الموجودين في باكستان في حال شن حرب على العراق.

وقال زعيم ائتلاف (مجلس العمل المتحد) الإسلامي المولوي سميع الحق في مظاهرة ضمت المئات من أنصاره في إسلام آباد إنه إذا هاجمت الولايات المتحدة العراق فإن ذلك سيفتح الطريق أمام حرب في باكستان، وقال «لن يكون أي أميركي آمنا هنا»، وأضاف أن «الأميركيين تجاوزوا كل الحدود في باكستان، إنهم يتدخلون في شؤوننا ويهاجمون بيوتنا ويوقفون المسلمين الأبرياء بما في ذلك القادة الدينيين، ويقصفون أراضينا دون أن يشعروا بالخجل»، واصفًا هذه الأفعال بأنها غير مقبولة.

٤/١/٢٠٠٣م: أكد مثقفون وسياسيون مصريون أن الولايات المتحدة تستهدف اقتلاع الشعوب والثقافة العربية وتحويل المنطقة إلى دويلات طائفية وعرقية، بحيث تكون إسرائيل هي القوة الأعظم بين هذه الدويلات، وقال مجدي حسين ـ أمين عام حزب العمل المجمد ومقرر لجنة الحريات بنقابة الصحفيين ـ إن العالم الإسلامي يواجه حاليًا حملة استعمارية تقليدية لاحتلال الأرض وفرض السلطان والاستيلاء الكامل على الثروات والأسواق.

وشن في ندوة نظمتها لجنة الحريات بنقابة الصحفيين مساء أمس الأول هجومًا شديدًا على الإعلام الرسمي المصري.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٢/١/٢٠٠٣م: تظاهر قرابة خمسة آلاف شخص في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا احتجاجًا على شن حرب باسم الأميركيين على العراق، ومن المقرر أن تنطلق تظاهرة أخرى في مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا نهاية الأسبوع.

وفي لندن تجمع مئات من مناهضي الحرب في قاعة بلندن للإعراب عن معارضتهم لأي إجراء عسكري في الخليج وللتخطيط لتنظيم احتجاجات في المستقبل، وفي سيدني تظاهر مئات الأطباء الأستراليين خارج منزل رئيس الوزراء جون هوارد تعبيرًا عن رفضهم للتدخل العسكري في العراق.

وسلم وفد يمثل ٧٠٠ عضو في المنظمة الطبية للوقاية من الحرب مذكرة لرئيس الحكومة تتضمن وصفة للسلام لحث هوارد على عدم إرسال أي قوات أسترالية للمشاركة في الحرب على العراق، وحث الوفد الحكومة على التعاون مع الأمم المتحدة لحل المسألة سلميًا في العراق كما تفعل أستراليا في موضوع كوريا الشمالية.

١٢/١/٢٠٠٣م: تظاهر أمس الأحد نحو خمسة آلاف شخص في العاصمة المغربية الرباط ضد الحرب المحتملة على العراق، وأدان المتظاهرون مواقف الدول العربية في مواجهة سياسات الولايات المتحدة، وطالب المنظمون بإلغاء اتفاق وقع عام ١٩٨٢م يسمح للولايات المتحدة باستعمال قواعد عسكرية في المغرب، وأكدوا أن هذه المظاهرة ستعقبها حركات احتجاج أخرى في كل أنحاء المغرب ثم تتوج بمظاهرة وطنية كبرى.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

١٧/ ١/ ٢٠٠٣م: تظاهر نحو ألف شخص في البحرين يوم الجمعة وهم يهتفون (تسقط أمريكا) و (لا للحرب من أجل النفط) ضد حرب محتملة تشنها الولايات المتحدة ضد العراق.

وقال شهود عيان إن رؤساء الجمعيات الرئيسية في البحرين كانوا في مقدمة المسيرة التي انطلقت إلى مكاتب الأمم المتحدة في العاصمة البحرينية المنامة قرب القاعدة الأمريكية.

١٨/ ١/ ٢٠٠٣م: (غضب عربي وعالمي ضد الحرب الأميركية على العراق): شهد العديد من مدن العالم مظاهرات عارمة للتنديد بالحرب التي تعد الولايات المتحدة لشنها على العراق في مقدمتها العاصمة الأميركية، فقد بدأت في واشنطن مظاهرات حاشدة بمبادرة من دعاة السلام في الولايات المتحدة:

ففي أمريكا نفسها: حيث بدأت في واشنطن مظاهرات حاشدة بمبادرة من دعاة السلام في الولايات المتحدة يشارك فيها حوالي ٢٠٠ ألف شخص من مختلف المدن الأميركية ويمثلون جهات عديدة.. وقد طالب المتظاهرون بعدم شن حرب على العراق مطالبين البيت الأبيض بالتراجع عن أي خطط والسماح لمفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة بمواصلة أعمالهم.

وفي أوروبا: تجمع آلاف المتظاهرين في لندن للتنديد بالحرب المحتملة، في حين شارك المئات في تظاهرة سلمية قرب مطار شانون في أيرلندا احتجاجًا على استخدامه لتزويد الطائرات العسكرية الأميركية بالوقود.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وفي فرنسا: تظاهر آلاف الأشخاص في باريس رفضًا للحرب الأميركية على العراق بناء على دعوة من نحو ٤٠ منظمة تضم حركات سلمية وأحزابًا سياسية يسارية ونقابات طلابية وجمعيات محاربين قدامى وحركات نسائية، ويفترض أن تشهد نحو ٤٠ مدينة وبلدة فرنسية تجمعات مماثلة.

ونظمت تظاهرات في ألمانيا شارك فيها آلاف الأشخاص احتجاجًا على حرب محتملة على العراق، وتظاهر في شوارع مدينة روستوك شمالي شرقي البلاد نحو خمسة آلاف شخص في حين شارك نحو ألف شخص في مسيرة بمدينة توبينغن جنوبي غربي ألمانيا، ومن المتوقع أن تسير في برلين تظاهرة ضخمة في منتصف الشهر المقبل احتجاجًا على الحرب في العراق.

وفي السويد: تظاهر نحو ستة آلاف شخص في غوتبرغ جنوبي غربي البلاد للتنديد بالحرب الأميركية المقبلة على العراق.

وقد اجتاح عدداً من العواصم العربية اليوم غضب شعبي عارم مناهض للحرب على العراق: وشهدت العاصمة السورية دمشق كبرى تلك التظاهرات حيث شارك فيها أكثر من ١٥ ألف شخص وشارك فيها فلسطينيون. وفي بيروت تظاهر نحو ثمانية آلاف لبناني وفلسطيني للتنديد بالحرب المقبلة على العراق في أكبر تظاهرة تنظم في العاصمة اللبنانية منذ بدء الأزمة العراقية. وفي مصر انطلقت مسيرة من ميدان السيدة زينب وسط القاهرة، تضامنًا مع الشعبين العراقي والفلسطيني في مواجهة التهديدات الأميركية والتصعيد الإسرائيلي، وشارك في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

المظاهرة ـ التي جرت وسط إجراءات أمنية مشددة، لمنعها من الخروج إلى الشوارع الفرعية ـ أكثر من ألف شخص يمثلون مختلف القوى السياسية المصرية.

وفي الأردن: شارك مئات الأشخاص في مظاهرات نظمها التيار الإسلامي في عمان للتنديد بالحرب المحتملة على العراق أحرق خلالها المتظاهرون العلمين الأميركي والإسرائيلي، ورددوا هتافات معادية لواشنطن ومتضامنة مع العراق.

وسلم متظاهرون في المغرب رسالة إلى السفارة الأميركية في الرباط موجهة إلى الرئيس جورج بوش طالبوه فيها بوقف تنفيذ ما أسموها مخططات إرهابية سرية وعلنية للعدوان على العراق.

وفي آسيا: شهدت عدد من المدن الآسيوية مظاهرات مناوئة للحرب على العراق: ففي طوكيو تظاهر خمسة آلاف شخص في وسط المدينة احتجاجًا على الحرب.

وفي باكستان: عبر آلاف الأشخاص اليوم عن معارضتهم للحرب المحتملة على العراق في تظاهرات شهدتها المدن الكبرى، رفع خلالها المتظاهرون لافتات تندد بالولايات المتحدة وتطالب بالسلام. وقد منعت قوات الأمن المتظاهرين من التوجه إلى قنصلية الولايات المتحدة لتسليم مذكرة ضد شن عملية مسلحة على العراق.

انتهى شريط الأنباء، ولكن لم تنته الأحداث!.

❁ ❁ ❁

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

❑ حرب الخليج الثالثة.. الدوافع والمآلات(غ) ❑

أضف إلى معلوماتك:

* دخول جيوش ـ وصفت مهمتها بأنها حملة صليبية ـ إلى كابل يعني: تحرير أفغانستان.

* اقتحام قوات أجنبية لأرض العراق وتوغلها فيه ورفع العلم الأمريكي في سمائه، يعني: تحرير الشعب العراقي.

ليست هذه هي المعلومات الوحيدة التي أضافتها لنا حملات الفرنجة المعاصرة على عالمنا الإسلامي؛ فقد اكتشفنا في غمرة الأحداث أن أمريكا التي كنا نظنها أكبر دولة أقيمت على البراجماتية النفعية وأكبر قوة إمبريالية في التاريخ المعاصر، تلك الدولة التي علمتنا دومًا أن العلاقات بين الدول ينبغي أن تقوم على المصالح لا المبادئ، اكتشفنا أن هذه (الأمريكا) تنطوي على طاقة هائلة من الشهامة والنبل والرقة، حتى إنها بدافع هذه المُثُل ودفع هذه الطاقة تضطر إلى إرسال نحو ربع مليون جندي من أبنائها إلى أرض تبعد عن وطنهم أكثر من عشرة آلاف كيلومتر، وتعريضهم لمخاطر الحروب وويلاتها، وإنفاق ثمانين مليار دولار دفعة أولى لتكاليف الحرب.. كل ذلك بدافع (الجنتلة) والشهامة لتحرير الشعب العراقي ـ العزيز على قلب كل أمريكي ـ من طغيان نظام صدام الشمولي المتسلط وقهره، ولحفظ

(غ) ٤/ ١٤٢٢هـ - ٦/ ٢٠٠٣م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بترول العراق لصالح رخاء ورفاهية هذا الشعب الحبيب..

يا لقهري!!

رجل الشارع ـ بل رجل الحارة ـ يعلم أن نظام صدام لم يكن وحده النظام الشمولي القمعي في العالم ولا في المنطقة:

- فعلى مرمى حجر من شواطئ أمريكا الجنوبية يقع في كوبا نظام كاسترو الذي لا ينافسه على كأس الشمولية والتسلط عالميًا إلا نظام الرئيس المحبوب ـ رغم أنف كل كوري شمالي ـ كيم جونغ إيل، ولم تحرك أمريكا ساكنًا تجاه هذا النظام أو ذاك رغم الاستفزازات العلنية لأمريكا التي مارسها نظام (بيونج يانج) في الفترة المؤخرة.

- نظام صدام حسين وصل إلى الحكم بطريقة (غير ديمقراطية)، ولكنه ليس وحده المنعوت بهذه الصفة في المنطقة، فمعظم أنظمة المنطقة وصلت إلى الحكم إما بانقلابات (عسكرية أو أسرية) وإما بانتخابات لا يضاهيها في هشاشتها والتشكك في نتائجها إلا الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة، ومعظم هذه الأنظمة مستمرة ومستقرة في الحكم بمعادلات الحديد والنار ونظريات العصا والجزرة... ولو ضلت بعض البوارج الحربية طريقها إلى رأس خليج البترول ورست عشوائيًا على أحد موانئ ساحل الشمال الأفريقي المارة عليها لما كان هناك كبير فرق بين وجهتها وما رست عليه.

- أضف إلى ذلك: أن صدام حسين لم يُعْطَ الفرصة المناسبة حتى يحقق لشعبه الديمقراطية التي تطلبها أمريكا الآن من أنظمة المنطقة، فهو لم يمكث في السلطة إلا ما يزيد بقليل عن نقطتين

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

زمنيتين (باعتبار أن الوحدة الزمنية التي ارتضتها أمريكا لمكوث زعماء هذه المنطقة تحتسب بالعقد وليس بالسنة) وهي مدة غير كافية لتهيئة مثل هذه الشعوب لتقبل مثل هذه المخترعات الحديثة.

- وإذا كان نظام صدام البعثي الطائفي المتسلط.. سبق له أن قمع بعض شعبه الثائر ـ أو المتمرد ـ عليه بالكيماوي (الأمريكي)، فإن بجواره نظامًا بعثيًا طائفيًا متسلطًا آخر دك بعض شعبه بالطائرات المقاتلة والمدفعية الثقيلة في حماة سنة ١٩٨٢م، فقتل منهم ـ ما شاء الله لا قوة إلا بالله! ـ من عشرين ألف إلى أربعين ألف مسلم، ناهيك عن مذبحة تل الزعتر ـ بالتعاون مع المليشيات الصليبية اللبنانية ـ عام ١٩٧٦م التي ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثين ألف مسلم فلسطيني ولبناني، ومذبحة حلب ١٩٨١م؛ ومذبحة طرابلس ١٩٨٣م.. ومع ذلك فإن الرقة والشهامة الأمريكية في سبات عميق لأنها لم تكن تريد سورية وقتها، ولعلها تستيقظ (وتتذكر) هذه المآسي عندما يحين وقت تأجج المشاعر الأمريكية الفياضة تجاه الشعب السوري الذي سوف يكون وقتها عزيزًا على قلب كل أمريكي!.

- العراق لم يعتد على أي من طرفي التحالف، كما أنه لم يَكُن يمثل أي تهديد مباشر لأراضيهما، فمن المعلوم أن العراق بعد هزيمته في (أم المعارك) حُظِر عليه امتلاك أي صواريخ يتعدى مداها ١٥٠ كيلومتر، وهذا يعني أن العراق إذا أراد أن يطلق أقوى صواريخه على أمريكا مثلاً فإن هذا الصاروخ بحاجة إلى التوقف (ترانزيت) في أكثر من ثلاثين محطة ليسقط في مياه الشواطئ الشرقية للمحيط الأطلنطي (بعيدًا عن الجزيرة البريطانية)، وعند حدوث ذلك يمكن لأمريكا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الصراخ بأن صـدام عكَّر عليها المـياه التي سوف تصل إلى سـواحلها بعد مسيرة ٤٥٠٠ كيلومتر.

- وحتى إذا أخذنا في الاعتبار حرص أمريكا على ربيبتها المدللة (إسرائيل) فإن أقرب نقطة بين الحدود العراقية الغربية وحدود فلسطين الشرقيـة تعادل ضعف مدى أبعد صـاروخ مسموح للعراق بامـتلاكه، كمـا أنه من الثابت تاريخيًـا أن بوصلة هذا النظام كانت دائمًا مـصابة بانحراف حـاد، جعلت طريقه إلى القدس يمـر بطهران أو الكويت أو أي اتجاه آخر خلاف جهة الغرب!.

- أما مـا قيل عن أسلحـة دمار شـامل، فإن هذه الأقاويـل تبقى مزاعم نفتها تقارير لجنة التفـتيش الدولية برئاسة هانز بليكس ومحمد البرادعي مقابل إثباتها لتلفيق تقارير أمريكية مزورة تدعي سعي العراق لامتـلاك أسلحة دمار شـامل.. وحتى كتابة هـذه السطور لم يستطع الحليفان تدبير أدلة أكثر حبكة ـ وغير مـستبعد ولا مستصعب أن تلجأ إلى التدبيـر إذا لم تجد شـيئًا ـ لإثبـات هذه المزاعم وإضـفاء بعض المصداقية على مزاعمها ومسوغاتها لشن الحرب.

ومن جهة أخـرى فإن أمريكا إذا كان يـؤرق ضميرها ومشـاعرها وجود أسلحة دمار في المنطقة فإنه مـعلوم للجميع أن (إسرائيل) تعد مـباءة لأسلحـة الدمار الـشامل بجـميع أنواعـهـا الذرية والكيمـاوية والبيولوجية، وهي كيان عدواني من فصيلة (أصحاب السوابق)، حيث اعتدى بالاحتلال أو الإغـارة على خمس دول على الأقل، كما أنه ما يزال يحتل أراضي غيره باعتراف الأمم المتـحدة، فضلاً عن ممارساته

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العدوانية اليومية الهمجية ضد شعب محتل أعزل..

* * *

فلماذا إذن لم تستثر نوازع الشهامة والنبل والرقة إلا تجاه الشعب العراقي لتخليصه وحده دون سائر الشعوب المقهورة من طغيان نظام صدام حسين الجائر؟!

يبدو أن وزير الحرب الأمريكي دونالد رامسفيلد أحس بوجاهة هذا السؤال الذي دار في أذهان كثيرين عن مدى أخلاقية الحرب على العراق، فأعلن على الملأ صبيحة يوم ١٢ مارس / آذار أهداف حرب الحليفين (أمريكا وبريطانيا) وحواشيهما على العراق، وحدد هذه الأهداف في النقاط التالية:

١- إسقاط نظام صدام حسين.

٢- تحديد وعزل ـ وأخيراً إزالة ـ أسلحة الدمار الشامل.

٣- البحث وإلقاء القبض وطرد الإرهابيين الذين وجدوا ملاذًا في العراق.

٤- جمع المعلومات حول الشبكات الإرهابية في العراق وخارج العراق.

٥- جمع المعلومات حول الشبكات الإرهابية لتجارة أسلحة الدمار الشامل.

٦- إنهاء العقوبات المفروضة على العراق وتسليم مساعدات إنسانية ـ على الفور! ـ من الأغذية والأدوية إلى النازحين وإلى العراقيين المحتاجين.

٧- ضمان أمن حقول النفط والموارد الخاصة بالشعب العراقي.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

٨- مساعدة الشعب العراقي في إيجاد الشروط من أجل تأمين انتقال سريع نحو تشكيل حكومة تمثله لا تشكل تهديداً لجيرانه وتكون مصممة على ضمان وحدة أراضي هذا البلد.

ولأننا ما زلنا نتذكر أن البنتاجون الذي على رأسه الوزير رامسفيلد كان صاحب فكرة (مكتب التضليل الإعلامي) التي فُضِحَتْ في بداية الحرب على أفغانستان، فإن عقولنا تجد حرجًا بالغًا في تصديق هذه الأهداف المذكورة والتسليم بعلاتها.. ومن ثم: يمكننا الاجتهاد بفك شفرة هذه الأهداف وإيضاحها في النقاط التالية:

أولاً: الضغط على الأنظمة في المنطقة للاستجابة الكاملة والصريحة للمطالب والمصالح الأمريكية في المنطقة، مع التهديد بتغيير الأنظمة التي لا تستجيب لذلك، وتنفيذ ذلك إنْ استدعى الأمر، والتلويح للأنظمة القائمة بمصير نظام صدام باعتباره عبرة لمن لا يذعن، مع ترك جميع الاحتمالات مفتوحة لتغيير الخريطة السياسية والجغرافية وإنشاء محاور تحالفية تتناسب مع هذه المصالح.

ثانيًا: تقديم المنظومة الأمريكية (النسخة المعدلة لدول المنطقة) في السياسة والاقتصاد والاجتماع نموذجًا ينبغي تبنيه ـ بالضغط والقهر الأمريكي ـ من الحكومات والشعوب، ويتمثل هذا النموذج في: ديمقراطية (زائفة) تصل بعملاء أمريكا الصريحين إلى سُدَّة الحكم والتوجيه، واقتصاد (حر) أكثر ارتباطًا بالفلك الاقتصادي الأمريكي، وقيم اجتماعية (متحررة) من قيود القيم (المحلية).

ثالثًا: إنعاش الاقتصاد الأمريكي بمعظم قطاعاته، والسيطرة على

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الثروة النفطية، سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة؛ مما يجعل المبادرة بيد أمريكا عالمياً.

رابعًا: خلع أنياب النظم غير المنطوية في (النادي الأمريكي) التي ربما تفكر في تهديد أمن (إسرائيل)، بما يضمن تأمين المجال الحيوي لإسرائيل ويضمن استمرار تفوقها وهيمنتها على دول المنطقة، ويقطع الطريق على احتمالية انتقال هذه الأنياب إلى قوى أخرى يصعب التفاهم معها وترويضها كالحركات الإسلامية.

خامسًا: دخول أمريكا طرفًا مباشرًا في مواجهة الحركات الإسلامية الجهادية والسياسية في المنطقة، وقطع الطريق على هذه الحركات إذا نشطت وأرادت تكوين قواعد وأجيال جديدة تتبنى مفاهيمها وتعمل حركياً تحت عباءتها، مع إعطاء قدر من المرونة للحركات التي تبدي نوعًا من الليونة، بما يمنع انفجارًا داخلياً ويعطي أمريكا وأدواتها بريقًا إعلامياً في عدم استهدافها الإسلام لذاته.

وهناك هدفان آخران ليس من الكياسة تصريح المسؤولين الأمريكيين بهما، ولكن في الوقت نفسه لا يستطيع أي متابع تجاهلهما، ويتمثلان في:

سادسًا: استعادة الهيبة الأمريكية المفقودة منذ أحداث سبتمبر، باعتبار أن أمريكا القوة العظمى الأولى في العالم التي تستطيع فعل ما تريد بدون حاجة إلى أطراف أخرى، خاصة وأن حرب أفغانستان لم تنجح في إعطاء هذه الصورة لشعوب العالم.

سابعًا: وهو أمر أصبح حديث القاصي والداني والصديق والعدو؛

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حتى أنه يكاد لا يخفى على أي مراقب لاتجاهات وميول الإدارة الأمريكية الحالية، ألا وهو: تحقيق النبوءات التوراتية التي يؤمن بها التيار الأصولي المسيحي وتلتقي مع أهداف الصهاينة المتطرفين، والتي تتمثل في إقامة إسرائيل الكبرى التي يتجمع فيها يهود العالم، وبناء الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى، وخوض معركة هرمجدون مع (قوى الشر)؛ توطئة لنزول المسيح ﷺ وإيمان اليهود به ربّاً حسب عقيدتهم.

هذه الأهداف بهذه الصورة وهذه المباشرة لم يملها سوء ظننا بأمريكا النابع من تجاربها المريرة معنا ولا من عدائنا لها، ولكن ذلك ما نطقت به ألسنتهم ـ أو بعضهم على الأقل ـ وما سطرته وثائقهم وما أوضحته شواهد أفعالهم، وإذا كان ضيق المقام لا يسمح لنا باستعراض ذلك كله للتدليل على جميع الأهداف المذكورة فسأكتفي هنا بالاهتمام بنقطة واحدة وإيضاحها، ألا وهي:

الاقتصاد والهيمنة على سوق النفط:

اقتصاد متداعي:

«أسوأ تباطؤ عالمي خلال ربع قرن».. «تباطؤ حاد لم نشهده منذ الثمانينيات»، «الكساد الكبير السابع في السنوات الـ ١٢٠ الأخيرة».. هذه كانت عناوين بعض التعليقات على أزمة الاقتصاد العالمي التي ظهرت في جريدة (الفاينانشيال تايمز) البريطانية خلال الفترة الماضية، وهي تعد نموذجًا لافتتاحيات الصحف والمجلات الاقتصادية الكبرى في العالم خلال الشهور الماضية التي شغلها التحدث عن أزمة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الاقتصاد العالمي، وفي القلب منه الاقتصاد الأمريكي.

لا ينكر عاقل قوة الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية والاقتصادية والتقنية، والمتأمل يرى أن بين هذه العناصر علاقة تعضيدية واضحة، كما أنها جميعًا ترتكز على عنصر المال وسلامة الاقتصاد، فالاقتصاد يدعم البحوث التكنولوجية والقوات العسكرية، وإذا حدث أن اهتز الاقتصاد الأمريكي أو انهار فمن الممكن أن تنهار الولايات المتحدة وتتفكك وتضمحل كما حدث للاتحاد السوفييتي.

كما لا ينكر أحد قوة الهزة التي أحدثتها أحداث ١١ سبتمبر لهذا الاقتصاد، وما كشفته موجة الانهيارات المالية للشركات الأمريكية التي قادت الازدهار في العقد الماضي، وبدأت بفضائح شركة إنرون للطاقة وتبعتها شركات أخرى مثل وورلد كوم للاتصالات، وزيروكس، ثم شركة جلوبال كروسيتنج للاتصالات والإنترنت، ثم إعلان إفلاس شركتي الطيران العملاقتين يونايتد إيرلاينز و يو إس إيرويز، إضافة إلى انهيار عدد آخر من الشركات الأصغر.. وقد بلغت الخسائر المقدرة لخمس شركات كبرى فقط من الشركات التي أعلنت إفلاسها ٤٦٠ مليار دولار.. وهذا ما حطم صورة (الشفافية) في الاقتصاد الرأسمالي، وهز الثقة في (الأمن الاستثماري) الذي كانت تتغنى به المنظومة الرأسمالية الغربية.

فهناك أزمة في الاقتصاد الأمريكي لها أسباب عديدة ويشهد عليها أكثر من شاهد، منها: الانهيارات المذكورة سابقًا، ومنها: التردي المستمر في مؤشرات البورصة الأمريكية؛ والركود المتواصل بسبب

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عدم وجود رأسمال استثماري؛ وارتفاع نسبة البطالة، وعلى صعيد المنافسة العالمية: تزايد الدين الخارجي الأمريكي بصورة هائلة، وارتفع عجز الميزان التجاري، أما العجز المالي فقد تجاوز ١٠٦ مليار دولار، كما أن أمريكا تعاني من تراجع متواصل وتاريخي في حصتها من إجمالي الناتج العالمي..

فلا يخفى على أحد أن الاقتصاد الأمريكي في حالته الراهنة مضطرب ويشكو من التباطؤ والانكماش، وكما يقول الخبير الاقتصادي أحمد السيد النجار: «..قد بلغ معدل النمو الحقيقي للناتج المحلي الإجمالي الأمريكي في الربع الأخير من عام ٢٠٠٢م نحو ٠,٧٪ فقط، وبلغ معدل البطالة نحو ٥,٧٪ في يناير الماضي، في حين بلغ العجز في ميزان الحساب الجاري الأمريكي نحو ٤٦٢,٢ مليار دولار في العام المالي الأمريكي المنتهي في أكتوبر الماضي، وعاد العجز في الموازنة العامة للدولة بقوة، بحيث بلغ نحو ٣,١٪ من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي عام ٢٠٠٢م بعد أن كانت إدارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون قد نجحت في إنهاء ذلك العجز وحققت فائضًا قياسيًا تجاوز ١٧١ مليار دولار عام ٢٠٠٠م، أما أسعار الأسهم الأمريكية المدرجة في مؤشرات داو جونز وستاندارد أند بورز وناسداك على التوالي فإنها تقل في الوقت الراهن بنسبة ٢٣٪ ، ٢٩٪ ، ٣٤٪ عن مستوياتها في نهاية عام ٢٠٠١م بسبب الخسائر التي منيت بها الشركات بعد أحداث ١١ سبتمبر ومجمل التداعيات اللاحقة لها، وأيضًا بسبب انفجار فضائح الفساد في الشركات الأمريكية الكبرى التي هزت الثقة في واحدة من

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أهم آليات عمل النظام الرأسمالي في صيغته الراهنة القائمة على قيام المديرين التنفيذيين بإدارة الشركات لحساب حَمَلَة الأسهم تحت رقابة شركات المحاسبة التي تراقبهم لمصلحة حملة الأسهم، حيث فسد المديرون التنفيذيون وتواطأت معهم بعض شركات المحاسبة العملاقة . . . كما تدهورت أسعار الأسهم على نحو درامي وانخفضت بنسبة ٢٧,٦ ٪ عن أعلى نقطة بلغتها عام ٢٠٠٢م، وهو تدهور يفوق ما حدث للأسهم الأمريكية من انخفاض بعد أحداث ١١ سبتمبر عندما بلغت نسبة انخفاض أسعار الأسهم الأمريكية في أدنى مستوى لها خلال عام ٢٠٠١م بعد تلك الأحداث عن مستوى الأسعار قبلها نحو ١٧,٩٪ فقط، وتشير بيانات مؤسسة الاستثمار الأمريكية إلى أن ٨٠ مليون أمريكي تضرروا من فضائح فساد بعض الشركات وانهيار أسهمها كما قدرت (مورجان ستانلي) الخسائر التي لحقت بصغار المستثمرين من التحايل الذي قامت به خمس شركات أمريكية عملاقة بنحو ٤٦٠ مليار دولار هذا غير الخسائر التي لحقت بهم وبغيرهم من جراء الاضطراب الذي أصاب البورصة الأمريكية إجمالاً بسبب فضائح الفساد».

ولا يقلل من هذه الصورة ما شهدته أمريكا من الانتعاش الاقتصادي الاستثنائي أثناء فترة ولاية الرئيس السابق كلينتون، يقول مجدي صبحي الخبير الاقتصادي المصري: «إن موجة الانتعاش الطويلة التي مر بها الاقتصاد الأمريكي خلال التسعينيات وحتى عام ٢٠٠٠م قد أدت باستمرار إلى تعزيز الاتجاهات التفاؤلية، وهو ما عزز من الصعود شبه المستمر لقيمة الأسهم، وكان البعض قد أشار إلى أن ما تشهده البورصة هو نوع من اقتصاد الفقاعة، حيث تزيد

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

قيمة الأسهم كثيراً عما هو ممكن وفقًا لمستوىٰ الأرباح، لكن في ظل حالة الرواج غالبًـا ما لا يلتفت إلىٰ مثل هذه التحذيرات، حـتىٰ يتجه الاقتـصاد نـحو الركـود أو الانكماش، عندها تنكشف الـممـارسات الخاطئة التي تمت خلال فترة الازدهار».

وفي رأي الجمهوريين فإن هذا الانتعاش كان نتيجة لسعي كلينتون للمقـامرة وراء موارد جـديدة، وأنه لم يَخُضْ مواجهـات استراتيجـية مدروسـة بقدر خوضه فـي ميادين تفتح له مـوارد اقتصـادية جديدة، وهـذه الموارد ـ وإن كـانت تصب في مصلحـة الاقتصـاد الأمريكي ـ لكنها غير مدروسة و جالبة لأزمات مستقبلية شديدة الخطورة، وهـذا الموقف يؤكد عدم موافقة الجمهوريين علىٰ سياسة كلينتون و رغبتهم بالانقلاب عليها، وهو ما حدث بالفعل بعد وصولهم إلىٰ السلطة.

وهناك توقعات بأداء سيئ للاقتصاد الأمريكي في الأعوام المقبلة، فالـنمو الأمـريكي أصبح علىٰ حـافة الهـاوية، إذ توقع تقرير لمـجلة (الإيكونومست) البريطانيـة في شهر يوليو ٢٠٠٢م انخفـاض إجمالي الناتج المحلي الإجـمالي إلىٰ ٢,٥٪ فقط فـي الفترة من يولـيو إلىٰ ديسمبـر ٢٠٠٢م بدلا من نسبة ٣,٥٪ المتوقـعة سابقًا، كـما يتوقع مراقـبون اقتـصاديون انخفـاض الاستثـمارات الأجنبـية المبـاشرة في الولايات المتحـدة الأمريكية، وذكرت صحيفـة نيويورك تايمز أن هذه التوقعات تأتي استنادًا للانخفاض الحاد للاستثمارات الأجنبية المباشرة في عام ٢٠٠١م لتصل إلىٰ ١٢٤ مليـار دولار بعد أن كانت قد بلغت ٣٠١ مليار دولار في عام ٢٠٠٠م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

إذن: ما الحل في رأي هؤلاء الجمهوريين؟، يشير محمد أحمد النابلسي في مقاله (الاقتصاد الأمريكي يضع العالم على حافة الهاوية) المنشور في الكفاح العربي بتاريخ ٢٨/٣/٢٠٠١م إلى ذلك بقوله: فإذا ما حاولنا قراءة موقف الإدارة الأمريكية الجديدة على ضوء معطيات وانتقادات المضارب العالمي چورچ شوروش في كتابه (أزمة الرأسمالية العالمية) فإن هذه المحاولة تقتضي الاستنارة بمواقف بوش الأب (الذي لا يزال مؤثرًا هو وفريقه بقوة) وبالمواقف الجمهورية عمومًا، وهنا نقع على تناقضات عميقة في فهم كل من جمهوريي أمريكا وديموقراطيها للنظام العالمي الجديد؛ فالجمهوريون يسعون لإرساء توازن واستقرار اقتصادي عبر تدعيم القدرات الأمريكية، إذ يقلصون النفقات بدلاً من البحث عن موارد جديدة للإنفاق، ويسعون لتأمين مصالح أمريكا بتحالفات مدروسة بدلاً من المغامرات المحدودة، ويعملون على تدعيم قوة التأثير الأمريكي على مختلف الصعد بدلاً من إجبار الأصدقاء على تقديم الخدمات، وبذلك فهم يسعون للحصول على حاجاتهم بالقوة وليس بالطلب.

على هذا الأساس نستطيع قراءة ملاحظات شوروش وترجمتها في سياسة الإدارة الأمريكية المقبلة على النحو الآتي:

ـ تطوير القدرات التكنولوجية العسكرية الأمريكية لتكريس زعامة الولايات المتحدة للنظام العالمي الجديد، بعيدًا عن أي مخاوف من أي مصدر أتت.

ـ يبقى النفط السلعة السياسية ـ الاستراتيجية الأهم في المستقبل المنظور، وعلى الإدارة الجديدة تثبيت هيمنتها وسيطرتها على هذه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

السلعة وعلى أسعارها؛ لأن هذه السيطرة تشكل صمام الأمان الأكيد للاقتصاد الأمريكي؛ لذا: فهي تستحق الجهود وتغيير بعض أساسيات السياسة الأمريكية بعيدًا عن الأيديولوجيا والأصولية.

حرب الإنقاذ:

أثناء التحضير لحرب الخليج الثانية في ١٩٩١م كتب توماس فريدمان، الصحفي المقرب من وزارة الخارجية الأمريكية، قائلاً: اليد الخفية للسوق لا تستطيع العمل بدون القبضة الخفية.. فماكدونالدز ـ على سبيل المثال ـ لا يستطيع الازدهار بدون مكدونيل دوجلاس (شركة أسلحة أمريكية عملاقة).

فالجيش الأمريكي هو القبضة الحديدية التي تؤمن العالم للشركات الأمريكية الكبرى، ومن ثم: نستطيع القول إن حربًا ما كان لا بد منها لإنقاذ الاقتصاد الأمريكي الآخذ في التدهور كما أسلفنا.. ولكن هل الحرب على العراق هي أفضل ما يساعد في إنقاذ حالة الاقتصاد من التردي؟.

يرى منظرو الحرب على العراق بأن الحروب من الناحية التاريخية ـ خاصة القصيرة ومحسوبة النتائج ـ كانت تحفيزية، كما أنها أدت إلى التوسّعات الاقتصادية، إضافة إلى أن التأثيرات الاقتصادية للحروب ليست غامضة، وهناك كثير من الإشارات التاريخية التي يمكن الاستفادة منها في معرفة هذه المؤشرات؛ ففي الحرب العالمية الثانية جاءت الانعكاسات الاقتصادية مختلفة كثيراً بين البلاد التي خرجت منتصرة وتلك التي خرجت منهزمة لصالح الأولى، حيث

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ساعدت هذه الحرب على إنهاء حالة الانكفاء التي كانت سائدة وسمحت للولايات المتّحدة بالخروج من الحرب كمحرّك اقتصادي عالمي، وبعد تجاوز بعض المشكلات كانت النتيجة التوسّع الهائل في الخمسينيات.

ورغم أن الدخول في الحرب ضد العراق يستلزم نشر قوة لحفظ (السلام) والأمن في الأراضي العراقية يتراوح قوامها بين ٧٥ ـ ٢٠٠ ألف جندي، وهذا من شأنه أن يكلف ما بين ١٥ ـ ٤٠ مليار دولار سنويًا، وإذا أخذنا في الحسبان أن تقريرًا نشره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بالولايات المتحدة يشير إلى أن تكلفة إعادة إعمار العراق بعد الحرب قد تصل إلى ٤ أضعاف تكلفة العمليات العسكرية بحيث تصل إلى ٢٠٠ مليار دولار، في حين أن احتلالاً لمدة ٥ أعوام قد يكلف الولايات المتحدة حوالي ١٢٥ مليار دولار... فقد تبدو تكلفة هذه المغامرة لأول وهلة كبيرة؛ حيث من الممكن أن تؤدي على المدى البعيد إلى إضافة مئات المليارات من الدولارات إلى العجز المالي الفيدرالي الذي يمكن القول إنه خرج عن السيطرة، إلا أن كل ذلك لا يقاس بالنسبة للمكاسب المنتظرة من الحرب وما بعدها.

كما أن تكاليف هذه الحرب على العراق ـ رغم تحمل أمريكا معظم نفقاتها بخلاف حرب ١٩٩٢م ـ يمكن تعويضها من عائدات العراق النفطية، فقد كشفت صحيفة (نيوز داي) الأمريكية يوم الجمعة ١٠ـ١ـ٢٠٠٣م أن مسؤولين أميركيين قدموا اقتراحات للإدارة الأمريكية

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

تدعو لاستخدام عائدات النفط العراقي في تغطية تكاليف الحرب الأمريكية الوشيكة ضد العراق، ونقلت الصحيفة عن مايك أنتون المتحدث الرسمي باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي قوله: إن البيت الأبيض وافق على أن تلعب عائدات البترول العراقي دورًا مهمًا خلال فترة الوجود العسكري الأمريكي في العراق «ولكن فقط من أجل مصلحة العراقيين» ـ على حد قوله ـ وأوضح أن «عائدات البترول العراقية سيتم استخدامها في حالة الحرب والتواجد العسكري الأمريكي في العراق، ولكن لن يتم استخدام العائدات كلها في هذا الشأن!».

وليس من المستبعد أن تلجأ أمريكا وبريطانيا إلى المبالغة في تقدير تكاليف غزوهما من أجل تحميل العراق تكاليف وهمية لنهب المزيد من ثرواته؛ فمن يلجأ للعدوان على شعب لا يستبعد أن يفعل أي شيء .

وعليه: لا تبدو مسألة تمويل الحرب مشكلة، كما أن التكاليف المقدرة للحرب تتراوح بين ١ ـ ٢ بالمئة من إجمالي الاقتصاد القومي الأمريكي البالغ قيمته ١٠ تريليونات دولار، ومثل هذه النسبة لا تمثل مشكلة لدى الإدارة الأمريكية الحالية بعد أن بلغت تكلفة الحرب الأمريكية في ڤيتنام ١٢ بالمئة من الاقتصاد الأمريكي وفي الحرب العالمية الثانية ١٥ بالمئة، وإذا قيست تكلفة الحرب بالموازنة الاتحادية الحالية البالغة قرابة تريليوني دولار فإن نسبة تكلفتها تتراوح بين ٥ ـ ١٠ في المئة.. أي إنها مغامرة (أو مقامرة) محسوبة، فإذا أضفنا إلى ذلك المكاسب التي يمكن أن يجنيها الاقتصاد الأمريكي

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بعد الحرب فإن العوائد المنتظرة ـ في مجالات عديدة ـ يسيل لها لعاب أي قرصان دولي!.

* * *

فإذا أخذنا مثلاً قطاع صناعات السلاح فإن حربًا كهذه تعني: تشغيل مصانع السلاح الأمريكية لسنين عديدة، يتم فيها تعويض الجيش الأمريكي عما استهلكه في الحرب للمحافظة على مخزونه الاستراتيجي من الأسلحة والذخائر، كما يتم فيها تأسيس الجيش العراقي من جديد وفق عقيدة قتالية جديدة تختلف عن العقيدة السابقة التي اعتمدت على التسليح الروسي في معظمه، وذلك بالطبع بعد دخول العراق في النادي الأمريكي وتشكيل حكومة تدين له بالولاء الصريح والامتنان التام، وأيضًا لا يستبعد طلب بعض الدول تحديث ترسانتها التسليحية بعد العرض الاستعراضي الذي أداه الجيش الأمريكي في العراق.

وقد ذكرت الأنباء بالفعل أن شركتين من كبريات شركات الأسلحة والأنظمة الدفاعية الأمريكية، وهما (لوكهيد مارتين) و(رايثيون)، أقرتا أن الوضع الأمني في العالم في الوقت الراهن أدى إلى انتعاش مبيعاتهما في الربع الأول من هذا العام، حيث حققت شركة (لوكهيد مارتين) قفزة في مبيعاتها ـ خاصة مبيعات الطائرات ـ بنسبة ٥٧٪، وتمكنت الشركة ـ التي تقوم بتصنيع طائرات إف-١٦ وإف-٣٥ ـ من أن تحقق ربحًا في الربع الأول من هذا العام بلغ ٢٥٠ مليون دولار، وبلغ إجمالي قيمة العقود الجديدة التي وقعتها في الربع الأول من هذا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

العام فقط مبلغ ١١,٣مليار دولار، الأمـر الذي يرفع إجمالي العقود مع الشركة إلىٰ ٧٤,٦ مليار دولار، أما شركة (رايثيون) التي تتركز أنشطتها علىٰ تكنولوجيا الصـواريخ، فقد ارتفعت مبيعـاتها بنسبة ١٢٪، وكانت الشركـة قد عانت في العـام السابق من بعض الصعـاب. (موقع BBC ٢٣/٤/٢٠٠٣ م).

وفي مجـال آخر نتحـدث ببعض تفصـيل عن نشاط سـوف ينتعش الاقتصاد الأمريكي فيه بسبب الحرب علىٰ العراق، ألا وهو مجال إعادة الإعمار، فقد أوضحت تقارير وردت من العراق ـ ولا أظن أن الأمر في حاجـة إلىٰ تقارير!ـ أن الحرب التي شنتـها الولايات المتحـدة وبريطانيا علىٰ العراق أدت إلىٰ تدمير البنية الأساسـية، ومن ثم: فستطال عمليات إعادة الإعمار مرافـق مختلف المؤسسات النفطية والخدمـية الحكومية: كـالصحـية، والتـعليـمية، والطرق، والكهـرباء، والماء، وقطاعـات الاتصالات.. وغيرها.

وإعـادة بناء العـراق لن يكون لمـا قـبل هذه الحـرب فـقط، بل سـيكون لاستـدراك ما فـاته وإصـلاح ما لحق به من خـراب كلي أو جزئي بعد ٢٢ سنة من الحروب والعقـوبات، فضلاً عن الخسائر التي وقعت في الحـرب الضروس الحـالية، وهي مهـمّة (هائلة) تسـتحق المغامرة؛ حيث تقدر تكلفة إعادة البنية التحتية المطلوبة بما يزيد علىٰ ١٠٠ بليون دولار، منهـا ما هو مطلوب بصـورة عاجلة لتفـادي أزمة إنسانيـة كبـرىٰ، كإصـلاح الضروري من شبكـات الطاقة الكهـربائية وأنظمة الميـاه، وفيما بعد هناك: آلاف الكيـلومترات من الطرق التي سـوف يعـاد إنشاؤها أو إصـلاحـهـا، وعشـرات الجسـور ومئـات

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الكيلومترات من قنوات الري التي يجب إعادة بنائها أو يتم إصلاحها، وذلك فضلاً عن آلاف المدارس والمستشفيات والعمارات السكنية والأبراج الإدارية والمؤسسات العامة، وكذلك: شبكات الاتصالات، ومحطات الكهرباء، وموارد المياه، والمطارات، والسدود، وهذا فضلاً عن: إعادة تأهيل القطاع الصناعي، وإصلاح النظام المصرفي والمالي، وتوريدات الأدوية والأجهزة الكهربائية والسلع الغذائية ومستلزمات القطاع الزراعي ومنتجاته.

ويذكر في هذا الإطار أن قادة رابطة مطاحن أمريكا الشمالية كانوا قد اجتمعوا مع مسؤولين من الإدارة الأمريكية لوضع الخطط اللازمة للفوز بعقود ضخمة لتوريد المواد الغذائية لنحو ٢٢ مليون عراقي في الأسابيع والشهور القليلة التي تعقب الحرب، حيث كان العراق يعتبر أكبر مستورد للأرز الأمريكي قبل صيف ١٩٩٠م، فضلاً عن أنه كان ينفق ملايين الدولارات سنويًا لشراء المنتجات الزراعية الأمريكية، كما أعلن مكتب الزراعة الفيدرالي بكاليفورنيا أن مزارعي أمريكا يتطلعون للدخول في سوق كان يقدر حجمه في السابق بـ٨٠٠ مليون دولار سنويًا..

وستحتاج هذه الموارد لمجهودات ومصروفات كبيرة، فقد كانت التقديرات المحسوبة لإعادة الإعمار تصل ما بين ٢٥ ملياراً إلى ١٠٠ مليار دولار في حال كون الحرب قصيرة محدودة، رغم أن بعض الخبراء يقترح رقمًا أكبر، وعلى الأقل: يقدر خبراء آخرون تكاليف إعادة شبكات الكهرباء لحالتها عام ١٩٩١بـ ٢٠ مليار دولار، ويحتاج

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الإصلاح السريع لصناعة البترول إلى ٥ مليارات دولار.

ومهمة إعادة بناء العراق ستستغرق وقتًا طويلاً، وستكون بالنسبة لبعض الشركات الأمريكية (مغامرة) مربحة جدًا، حيث ستكون البلاد بقيادة حكومة تحت سيطرة أمريكية كما أشرنا، الأمر الذي سيعزز (حظوظ) الشركات الأمريكية في الظفر بعقود أفضل في أحد أكثر البلدان الغنيّة بالموارد في المنطقة، وهذا ما تواردت به الأنباء لاحقًا؛ فقد قالت صحيفة (وول ستريت جورنال) إن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش طلبت من خمس شركات هندسية أميركية على الأقل ـ من بينها وحدة تابعة لشركة هاليبورتن ـ التقدم بعطاءات لتنفيذ عقود لإعادة إعمار العراق بعد الحرب، وهي تعاقدات قد تصل قيمتها إلى ٩٠٠ مليون دولار، وكان ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي يعمل مديرًا تنفيذيًا لهاليبورتن في الفترة بين عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٠م، وذكرت الصحيفة أنه سيُطْلَب من المقاولين أيضًا إصلاح ١٥٪ من شبكات الكهرباء، وتجديد آلاف المدارس، وتوفير ٥٥٠ مولدًا كهربائيًا بشكل طارئ في غضون شهرين.

وكان من أول الغيث أيضًا: ما أعلنته الإدارة الأمريكية يوم الخميس ١٧/ ٤/ ٢٠٠٣م من أنها منحت مجموعة بكتل الأمريكية للبناء والأشغال العامة عقدًا تناهز قيمته ٦٨٠ مليون دولار للمساعدة على إعادة إعمار العراق.

* * *

ولا شك أن القطاع النفطي يظل هو الركن الأساسي في الاقتصاد العراقي، لذا: يجب أن تفحص بدقة المكاسب التي يمكن جَنْيُها من

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ورائه، ويلاحظ قبل التطرق لذلك أن القوى الدولية المسيطرة اقتصادياً رفضت لأسباب عديدة، سياسية واقتصادية واستراتيجية وعنصرية، تطبيق شروط منظمة التجارة العالمية على النفط باعتباره سلعة تجارية، وهذا ما يتيح لها استمرار سيطرتها وتحكمها في هذه السلعة الاستراتيجية التي تفتقر معظم هذه الدول إلى مادتها الخام.

وتبرز هنا معطيات أخرى توضح أهمية الحرب على العراق لتحقيق مكاسب اقتصادية نفطية، منها: أن حجم الاستثمارات الأمريكية النفطية في منطقة القوقاز كان قد وصل إلى حدود الـ ٢٠٠ مليار دولار إبان حرب كوسوفا، إلا أن مفاجأة تعيسة كانت تنتظر هذه الاستثمارات؛ إذ كانت التقديرات الأولية تقول إن احتياطي القوقاز النفطي يتراوح ما بين ٦٠٠و٨٠٠ مليار برميل (يرى بعض المحللين أن هذه المبالغة كانت مقصودة من أمريكا؛ لإسالة لعاب الدول المطلة على مناطق بترول بحر قزوين وفتح المجال أمام الوجود الأمريكي في المنطقة)، ثم تبين فيما بعد أن هذا الاحتياطي لا يتجاوز الـ ٥٠ مليار برميل فقط؛ وهذا ما جعل الولايات المتحدة تسعى لتعويض خسائر هذه الاستثمارات في مناطق أخرى.

ومنها: أن حقول نفط كثيرة خارج دول منظمة أوبك نضبت أو سوف تنضب في مدى زمني قريب، بل إن هناك مؤشرات بأن بعض الدول الأعضاء في منظمة الأوبك ستنضب آبارها النفطية في المدى المنظور،إضافة إلى أن الاكتشافات النفطية في المناطق الجديدة إما أنه يعيبها ارتفاع كلفة الاستخراج، أو انخفاض جودة الخام.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وهنا تأتي أهمية منطقة الشرق الأوسط، حيث تؤكد الدراسات الاقتصادية بأن ٧٠٪ من احتياطي النفط العالمي موجود في أراضي هذه المنطقة، وعلى رأس ذلك تأتي مكانة العراق، الذي يعبر الخبير الاستراتيجي ورئيس تحرير التقرير الاقتصادي العربي أحمد السيد النجار في حوار مع جريدة البيان الإماراتية (١٤ ـ ٢ ـ ٢٠٠٣م) عما يمثله نفطه بالنسبة لأمريكا وما يمكن أن تجنيه من مكاسب من وراء حربها ضد العراق، بقوله: يكفي أن نشير هنا إلى ما قاله لورانس ليندساي قبل عدة أسابيع ـ وهذا الرجل هو مستشار الرئيس بوش للشؤون الاقتصادية ـ لقد قال بأن النفط هو الهدف الرئيسي لمساعي الولايات المتحدة لشن الحرب ضد العراق.

فالولايات المتحدة عبرت وأكثر من مرة عن أن السعر المناسب لبرميل النفط هو ما يتراوح بين ١٥، ١٨ دولاراً للبرميل، وغزوها للعراق واحتلاله أو تنصيب حكومة عميلة هناك سيعني على الفور أنها ستتمكن من تحقيق ذلك، بل وربما يغريها الوضع إلى تخفيض السعر إلى ما هو أدنى من ذلك.

وإذا حدث ذلك وانخفض سعر برميل النفط بمقدار ١٠ دولارات ليتراوح حول مستوى ١٨ دولاراً للبرميل فإن ذلك يعني أن الولايات المتحدة ستكسب من وراء ذلك نحو ٤٠ مليار دولار في العام، أما إذا انخفض سعر البرميل لمستوى ١٥ دولاراً للبرميل فإن الولايات المتحدة ستكسب نحو ٥٢ مليار دولار في العام، وهذا المكسب يفوق في عامين كل تكاليف الحرب الأمريكية المقدرة ضد العراق والتي تشير بعض التقديرات الجزافية قبل نشوبها إلى أنها ستبلغ نحو ١٠٠ مليار

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

دولار، وهذا الربح غالبا سيتوزع بين الشركات الأمريكية المستهلكة للنفط على رأسها المجمع الصناعي العسكري وشركات النقل والطيران، وبين الجيش الأمريكي، والمستهلكين الأمريكيين أنفسهم.

وهكذا رأينا أنه بعد انتهاء الحرب وفور سقوط بغداد وظهور ما بدا أنه استقرار الأمر لأمريكا في العراق أبدت الإدارة الأمريكية رغبتها العاجلة في رفع العقوبات عن العراق ـ حيث تمثل تلك العقوبات عائقًا قانونيّاً في التصرف الكامل في ثروات العراق ـ دون انتظار صدور قرار من الأمم المتحدة، ويعني ذلك: إتاحة الفرصة لأمريكا ببيع نفط العراق بحرية وبالكميات التي ترغب فيها، وقد فاجأت الولايات المتحدة برغبتها تلك الجانب الأوروبي في مجلس الأمن متمثلا في فرنسا وألمانيا وكذلك حليفتها بريطانيا بجانب روسيا، بما يعني أنها تسعى لتستغل المرحلة الأولى ـ التي ستنفرد فيها بكل شؤون العراق ـ في تحقيق أكبر مكاسب ممكنة من بيع النفط العراقي وترسية العقود النفطية للجهات التي تريدها، وهذا يعني تلقائيّاً أن أمريكا ستتحكم بمفردها في مئات المليارات من الدولارات عبر السيطرة على مصادر النفط العراقية ومصادر المواد الخام.

ماذا يعني النفط بالنسبة لأمريكا وقادتها؟:

عندما نتحدث عن أهمية النفط في مثل هذه الظروف فإن العلمي يختلط بالاقتصادي، والقومي يختلط بالشخصي، تختلط الأبعاد وتتشابك المصالح، وعمومًا يمكن القول: إن النفط هو الدم الذي يجري في عروق المدنية المعاصرة، وهو الذهب الذي يسيل لبريقه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

لعاب أصحاب النفوذ وجامعي المال.

النفط، ذلك السائل الأسود الذي يستخرج منه العالم الصناعي المتقدم نحو ٣٦٢ مُنتجًا ضروريًا للحياة المعاصرة، لا يستطيع أن يعيش الغرب المعاصر بدونه، ولك أن تتخيل كيف لو انقطعت الكهرباء ـ التي تولد معظمها محطات تعمل بالطاقة النفطية ـ عن المصانع والمؤسسات والشركات والبيوت والشوارع، وأن تتخيل ماذا لو توقفت السيارات والقطارات والطائرات والسفن العملاقة عن الحركة، لك أن تتأمل ماذا يعني شتاء أوروبا وأمريكا القارس وماذا تعني الآلة بالنسبة للإنسان الذي يعيش هناك.

إن رفع أسعار النفط بصورة طفيفة يمكن أن يلقي بملايين العمال إلى الشارع في أوروبا وشرقي آسيا، ويمكن أن يرفع أسعار مئات، بل آلاف السلع التي يتعامل فيها الإنسان الذي يعيش نمط هذه المدنية، باختصار: إنه بقدر ما يتوفر النفط ويتاح بسهولة بقدر ما تستمر (حياة) هذا الإنسان وتتسهل.

وكما يقول أستاذ الدراسات الاستراتيجية اللواء/ دكتور زكريا حسين: فإن العقوبات الاقتصادية التي يمكن أن تفرضها الدول العربية المنتجة للنفط على الولايات المتحدة قد يلحق الفوضى بالأوضاع الداخلية الأمريكية، كما يمكن أن تؤدي عمليات الحظر النفطي الجدية إلى تمزيق أوروبا الغربية واليابان التي يُعَدّ اعتمادها على البترول في ذلك الوقت أكبر بكثير من اعتماد الولايات المتحدة عليه. وبهذا النحو، فإن قيام الدول المنتجة للنفط بفرض عقوبات حادة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ستصيب المصالح الحيوية بهذه البلدان في مرحلة مبكرة جداً، كما ستخنق اليابان ودول حلف شمال الأطلسي؛ وبالتالي ستعاني المصالح السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية كثيراً من جراء ذلك بالتبعية.

ذلك ما انتهت إليه جلسات الاستماع للجنة الفرعية للسياسة الاقتصادية الخارجية التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي حول تبعات السياسة الخارجية على أزمات الطاقة، والذي صدر عن مكتب الطباعة الحكومية الأمريكية في إبريل عام ١٩٧٤م.

وإذا استعرضنا طرفًا مما ذكره بعض الخبراء والمحللين، كإبراهيم الصحاري (في كتابه: العراق.. حرب من أجل الهيمنة والنفط)، والباحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام أحمد السيد النجار (حوار مع البيان الإماراتية ١٤/ ٢/ ٢٠٠٣م)، وعلي عبود مدير تحرير (الاقتصادية) السورية (البيان الإماراتية ١٤/ ٢/ ٢٠٠٣م) لأدركنا أكثر: مدى أهمية النفط وحتمية السعي والتنافس إلى الهيمنة عليه من قبل القوى الغربية ـ وخاصة أمريكا ـ.

فقد رسمت علوم الكيمياء والچيولوجيا والفيزياء خريطة بالغة الدقة لكرتنا الأرضية، وهذه الخريطة تؤكد أن احتياطي النفط العالمي بحدود ٨٥٠ بليون برميل، وان الصناعة النفطية عثرت على ٩٠٪ من هذا الاحتياطي، وبالتالي: فما دامت الاكتشافات النفطية الجديدة محدودة جداً، فهذا يعني أن العالم يستهلك من الاحتياطي دون أي تعويض يذكر، وتثبت الوثائق أن إنتاج النفط العالمي سوف ينخفض

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

خلال السنوات الخمس المقبلة بما يعادل مليوني برميل يوميًا.

ويذهب الخبراء النفطيون في الولايات المتحدة إلى أن حجم الاستهلاك العالمي في حال النمو الاقتصادي سيكون في الفترة من العام ٢٠٠٠ وحتى العام ٢٠٢٥م أعلى من كل المراحل السابقة في التاريخ، وهو ما يجعل النفط السلعة الأهم في العالم، وفي هذا السياق توقع (لورد براون) كبير المديرين التنفيذيين في شركة (بريتيش بترولـيوم) (BP) أن يستمر النفط والغاز كمصدر أول للطاقة في السنوات الـ٣٥ المقبلة على الأقل، مع الأخذ في الاعتبار إخفاق محاولات الاستعاضة عن النفط ببدائل من مصادر الطاقة الأخرى في المدى المنظور.

أما بالنسبة لأمريكا خاصة، فقد بات واضحًا في الفترة الأخيرة أن ظنون كبريات معامل التحاليل الجيولوجية الخاصة بتقديرات الثروة النفطية الأمريكية خانتها الدقة، واصطدمت شركات البترول العالمية الأمريكية والأوروبية بحقائق محبطة لها، حيث أكدت أن توقعات أمريكا بوجود احتياطي بترولي في باطن أراضيها يكفي لمدة ٣٠٠ سنة لم تكن في محلها، وبات واضحًا أن احتياطيات النفط الأمريكي نفسها ـ وهي لا تتجاوز ٢١ مليار برميل في الوقت الراهن (أي ٢٪ فقط من الاحتياطيات العالمية المؤكدة) ـ آخذة في النفاذ بسرعة، وذلك في حين يبلغ الاستهلاك الأمريكي الصافي نحو ١٧ مليون برميل يوميًا، مما يعني أن كل الاحتياطيات الأمريكية من النفط يمكن أن تنفد خلال ما يقل عن ثلاثة أعوام ونصف العام فقط لو اعتمدت الولايات المتحدة على نفطها كليًا، لكنها تعتمد بالأساس على استيراد

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

النفط حتى لا تنفد تلك الاحتياطيات.

وقد بلغت الواردات النفطية الصافية للولايات المتحدة نحو ١٠,٨ ملايين برميل يوميًا في المتوسط في عام ٢٠٠١م في حين يدور حجم الإنتاج الأمريكي من النفط حول مستوى ٦ ملايين برميل يوميًا، وإذا استمر هذا المستوى من الإنتاج فإن الاحتياطيات الأمريكية سوف تنتهي بعد ما يقل عن عشرة أعوام لتصبح بذلك معتمدة على استيراد النفط بشكل كامل، وجدير بالذكر أن مشروع بوش للتنقيب في ألاسكا لا يواجه فقط معارضة أنصار البيئة، بل يلقى أيضًا معارضة من الحزب الجمهوري نفسه.

ولهذا كانت أمريكا أكبر مستورد للنفط في العالم؛ وبحسب بيانات (مركز الدراسات السياسية والدولية) في واشنطن، فإن الولايات المتحدة كانت تستورد في عام ١٩٧٣م حوالي ٣٦٪ فقط من احتياجاتها من الطاقة، وفي عام ٢٠٠٠م استوردت حوالي ٥٧٪ من حاجاتها من الطاقة، أي إنها اعتمدت على احتياطاتها في تغطية ٤٣٪ فقط من استهلاكها، ومؤخرًا شكلت وارداتها حسب البيانات الأمريكية عن النصف الأول من عام ٢٠٠١م نحو ٦٣,٢٪ من إجمالي الواردات الدولية من النفط.

ويلاحظ أن واشنطن اعتمدت على منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) في تغطية ٤٦٪ من وارداتها، منها ٣ ملايين برميل من الدول العربية، واعتمدت على دول منطقة الخليج في تغطية ما يقارب ٢٢٪ من وارداتها النفطية، وهو ما يشير إلى الأهمية المتعاظمة لهذه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

المنطقة ـ مضافة إلى بحر قزوين الغني بالنفط ـ في استراتيجية الهيمنة الأمريكية في القرن الجاري.

ويقدر بعض الخبراء أن حربًا اقتصادية ـ التي يُعَدّ الحظر النفطي أبرز صورها ـ يمكن أن تهدد معظم المجتمعات المدنية بنفس الدرجة التي تهددها بها (الأسلحة النووية)، وأنه إذا حدث نقص خطير من الطاقة ـ نتيجة لعقوبات اقتصادية تفرضها دول غير صديقة ـ فإن على الولايات المتحدة استغلال ثلاثة بدائل أخرى: **أولها**: استخدام المخزون الاستراتيجي الأمريكي لتعويض النفط، وهو لا يكفي إلا أسابيع معدودة إذا توقفت جميع الواردات، **والبديل الثاني**: يتمثل في زيادة الإنتاج الأمريكي من النفط، وهذا البديل لا يحقق سوى زيادة مباشرة ضئيلة لا تكفي كل المتطلبات من الطاقة، **أما البديل الثالث**: فهو خفض معدلات الاستهلاك، الأمر الذي يمكن أن يعرض نمط الحياة الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية للخطر.

وعمومًا، ففي الأحوال (العادية) في حال استمر الطلب العالمي على النفط في الارتفاع وعجزت أمريكا عن اكتشاف احتياطيات محلية أخرى للنفط أو تدبير مصادر أخرى للطاقة، فمن المتوقع أن يؤدي النقص في العرض إلى خفض وضعية الولايات المتحدة إلى مستوى بلد نامٍ من حيث معدل النمو الاقتصادي السنوي، ولهذا كان من الأهمية بمكان بالنسبة لأمريكا ضمان الحصول على النفط وبأسعار رخيصة، وهذا ما يرصده أحمد السيد النجار، الباحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، بقوله: «.. وفي الوقت

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الراهن فـإن زيادة سعـر البرمـيل من النفط بدولار واحـد يعني زيادة المدفوعات الأمريكية على الواردات النفطية الصافية بمقدار ٤ مليارات دولار سنويًا، أما إذا نفـد الاحتيـاطي الأمريكي، فإنه وبفـرض ثبات حجم الاستهلاك الأمريكي من النفط، فإن ارتفاع سعر البرميل بمقدار دولار واحد سيعني زيادة المدفـوعات الأمريكية على الواردات النفطية بأكـثر من سـتـة مليارات دولار في العـام، وإذا أضـفنا إلى ذلك أن بريطانيا على سـبيل المثال ستـتحول إلى دولة مسـتوردة للنفط بشكل كامل قبل نهـاية العقد الأول من القرن الحالـي لأدركنا لماذا الموقف البريطاني المؤيد للولايات المتحدة على هذا النحو».

وقد استدعت هذه الأزمة المحدقة إعادة النظر في الدور الذي تلعبه الطاقة في صنـع السياسـة الخارجيـة الأمريكية، حـيث يتركـز الهدف الأمريكي الراهن علـى الجمع بين وفرة المـعروض ورخصـه، وهو ما يؤكده إعـلان الرئيس بوش القـائل «إن طريقة الحـياة الأمريكيـة (التي تعتـمد على وفرة الطاقـة ورخصها) ليـست موضع مفـاوضات»، وفي تقرير السياسـة القومية للطاقة الصادر عن البـيت الأبيض في شهر مايو عام ٢٠٠١م، والذي وصف بـ (تقـرير تشيني) نسـبة إلى نائب الرئيس الأمريكي الذي تـولى الإشراف على صيـاغتـه بعد تكليفـه من الرئيس بمهـمة رئاسة لجنة عـمل من اجل الطاقة، تم تأكيـد مخاطر استـمرار اعتماد الـولايات المتحدة على استيـراد النفط، والأبرز في هذا التقرير تركيزه على ضرورة ضمان أمن استيراد دائم للنفط من الشرق الأوسط.

فـإذا كانت التـقاريـر تشيـر إلى أن النفط سـينضب في الولايات المتحـدة خلال ١٠ سنوات، ومن معظم الدول المنتجـة للنفط خلال

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

نصف قرن، وأن آخر نقطة منه في العالم ستكون في العراق، فإن أهمية النفط العراقي تكون في البؤرة، مما جعله يحتل أهمية قصوىٰ في استراتيجية الإدارة الأمريكية، ولهذا ليس أمام الولايات المتحدة ـ بمنطق الهيمنة والتسلط ـ إلا أن تضع يدها مباشرة علىٰ ما تبقىٰ من الاحتياطي النفطي العالمي لاستثماره لمصلحة اقتصادها بالدرجة الأولىٰ، وأن يكون لها تواجد في هذه المنطقة الحساسة من العالم.

* * *

هذا علىٰ المستوىٰ القومي الأمريكي، أما علىٰ المستوىٰ الشخصي لأركان الإدارة الأمريكية الحالية، فإنه لم تشهد إدارة أمريكية من قبل تجمع مثل هذا العدد من أصحاب المصالح النفطية وذوي العلاقات السابقة والحالية مع كبريات شركات النفط، مثلما شهدته هذه الإدارة:

فالرئيس بوش نفسه ينحدر من إحدىٰ العائلات الكبيرة في ولاية تكساس المشتغلة في استثمارات النفط وتجارته، ووالده چورچ بوش (الأب) يعمل الآن في شركة نفط عالمية لها استثماراتها النفطية الضخمة في العالم أجمع (مجموعة كارلايل Carlysle Group) ومندوبها الحالي في القارة الأوروپية هو جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا السابق.

أما الرئيس الحالي چورچ بوش (الابن) فقد سبق له أن ترأس شركة تعنىٰ بشؤون النفط، كما عمل موظفًا كبيرًا في شركة (بترول أرويوستوبوش إكسبلوريشن) من سنة ١٩٧٨م إلىٰ سنة ١٩٨٤م، وكان

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

مديراً في شركة بترول (هاركين إينرجي كوربوريشن) للنفط بولاية تكساس منذ سنة ١٩٨٦ إلى سنة ١٩٩٠م وخرج منها بعد أن باع أسهمه فيها قبيل أسابيع من إعلان خسائر الشركة وتدهور أسعار أسهمها بشكل كبير، الأمر الذي استدعى قيام لجنة البورصة الأمريكية بالتحقيق فيما إذا كان قد استفاد من معلومات سرية حصل عليها بسبب موقع والده كرئيس للبلاد ، وقد عانى چورچ بوش (الابن) شخصيًا من أزمة نفط نهاية الثمانينات، حيث كان أحد أثرياء النفط المهددين بالإفلاس جراء تلك الأزمة، ولجأ في حينه إلى إدمان الكحول في محاولة لتخطي حالة الإحباط التي كان يعيشها، وهنالك أنباء عن تعاطيه المخدرات في تلك الفترة.

وغني عن الذكر أيضًا أن حملة الرئيس الحالي بوش للرئاسة تلقت دعمًا واسعًا من شركات النفط والشركات التابعة لها، وصلت تبرعاتها إلى حوالي مليوني دولار، ومن أبرز المساهمات ما تلقته من شركة إنرون ENRON التي شهدت أكبر الفضائح المالية في تاريخ أمريكا، وارتبط كبار المسؤولين فيها بعلاقات شخصية وودية مع الرئيس بوش.. والشاهد: أن الرئيس چورچ بوش لديه قائمته النفطية الخاصة التي يسعى لتحقيقها.

أما نائب الرئيس ديك تشيني (صاحب تقرير تشيني) فقد كان يترأس مجلس إدارة إحدى أكبر الشركات العملاقة المعنية بشؤون الطاقة (هاليبورتن Haliburton) من سنة ١٩٩٥ إلى سنة ٢٠٠٠م ـ أي: حتى قبيل تسلمه منصبه الحالي في الإدارة الأمريكية ـ، كما أن هناك شبهات بتورطه في فضيحة فساد وتلاعب في حسابات هذه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الشركة أثناء رئاسته لها، وحتى المجموعة الرئاسية التي كانت مكلفة بتقصي جرائم فساد ومخالفات الشركات أصبحت محل شبهة، ولشدة امتنان هذه الشركة لتشيني فقد أهدته أربعة وثلاثين مليون دولار بعد أن ضمن لها عقداً مع الحكومة العراقية لاستصلاح المنشآت النفطية العراقية بعد توقيع العراق اتفاقه مع الأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء) في منتصف التسعينيات؟، والمعروف عنه أنه له مصالحه النفطية في العالم العربي، وسبق أن نُقِل عنه قوله عن الرئيس العراقي صدام حسين: إنه يجلس على ١٠ في المئة من احتياطي البترول في العالم، ولديه ثروة هائلة وتُرِك يعمل على هواه، ونعتقد أنه سيحصل على القنبلة النووية في المستقبل.

إضافة إلى أن المستشارة الحالية للأمن القومي كوندوليزا رايس كانت عضواً في مجلس إدارة شركة (شيفرون Chevron) النفطية الأمريكية الشهيرة من سنة ١٩٩١م إلى سنة ٢٠٠٠م ـ أيضًا حتى قبيل تسلمها منصبها الحالي في الإدارة الأمريكية ـ، ولشدة امتنان هذه الشركة للسيدة رايس فقد أسمت إحدى ناقلاتها العملاقة للنفط باسمها Condoleeza.

كما أن وزير التجارة دون إيفنز الصديق والمقرب من الرئيس بوش ترأس شركة (توم براون إنك) المتخصصة بالنفط والغاز ومركزها في ولاية كولورادو بالإضافة إلى عضويته في شركة SHARP/TMBR للتنقيب على النفط.

أما وزيرة الداخلية چيل نورثون التي عارض مجيئَها للوزارة منظماتُ حماية البيئة بسبب مواقفها وارتباطاتها السابقة بشركات

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

النفط فقد وجهت لها الاتهامات على علاقاتها بشركة دلتا بتروليوم وشركة (PAMOCO).

فضلاً عن هذا: فإنه، ووفقًا لبيانات (مركز السلامة العامة) الأمريكي في عام ٢٠٠٢م، فإن هناك نحو ١٠٠ من المسؤولين في الإدارة الحالية للبيت الأبيض يضعون استثماراتهم والتي تبلغ ١٤٤,٦ مليون دولار في قطاع الطاقة، وهو ما يدفعهم للضغط من أجل أن تفوز شركات الطاقة الأمريكية بنصيب الأسد من النفط العراقي لضمان الحفاظ على استثماراتهم، وليس أدل على ذلك من تشديد المسؤولين الأمريكيين على ضرورة أن تحافظ المعارضة العراقية على مصالح الشركات الأمريكية في مرحلة ما بعد صدام.

العراق.. بقرة النفط الحلوب:

بعد احتلال بغداد وتركها مباحة للصوص (لحاجة في نفس أمريكا) كان من الملفت أن الوزارة الوحيدة التي نجت من النهب والحرق على يد المجرمين واللصوص هي وزارة النفط العراقية؛ حيث رابطت أمامها خمسون دبابة أمريكية، وعشرات العربات المصفحة، إضافة إلى انتشار مكثف للجنود الأمريكان على سطحها ونوافذها مع اتخاذهم أوضاعًا قتالية ومنعهم لأي شخص (مشبوه) من الاقتراب منها (طبعًا للحفاظ على هذه الثروة ـ دون غيرها ـ أمانة للشعب العراقي)، فما سر هذا الحرص الأمريكي الفريد؟ وماذا يمثل نفط العراق لهؤلاء الغزاة؟.

تشير التقارير إلى أن احتياطيات العراق النفطية المؤكدة تبلغ ١١٥

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

مليار برميل، أي نحو ١١٪ من الاحتياطيات العالمية، وهذه التقديرات ليست وليدة الساعة، بل إن أمريكا تعرفها منذ سنوات؛ ففي حديث ـ نشرته صحيفة الرياض يوم ١١/٣/٢٠٠٣ م ـ مع مؤسس ومدير مركز (بيبلوس) للدراسات والأبحاث، الباحث في الفكر الجيوستراتيجي الدكتور نبيل خليفة، قال: « ثمة مؤتمر عقد في نيويورك منذ زهاء عشرة أعوام أكدت فيه الأبحاث أن مخزون النفط في العراق [المؤكد وغير المؤكد] يوازي المخزون في المملكة العربية السعودية، وليس كما هو رائج من أن العراق يمثل ثاني رصيد بترولي بعد المملكة التي يبلغ الاحتياطي فيها ٢٦١مليار ونصف برميل. . . هذه الإمكانيات البترولية التي كشفتها بعض الدراسات تؤكد أن احتياطي العراق يصل إلى ٢٦٠ مليار برميل، وبالتالي ثمة ثروات بترولية تريد أن تهيمن عليها الولايات المتحدة الأمريكية».

ويضيف الدكتور جواد بشارة (صحيفة الزمان اللندنية في ٢/ ١٠ /٢٠٠٢م) بعداً آخر، وهو أن في العراق مصادر نفطية غير مستغلة بسبب سنوات الحرب الطويلة التي عاشها العراق منذ عام ١٩٨٠م، ويقول: «. . إن جميع أصحاب الشركات النفطية العالمية يعرفون أهمية الذهب الأسود العراقي منذ زمن بعيد، ولا يغير من الأمر شيئًا اكتشاف آبار وحقول نفط جديدة في آسيا الوسطي وفي بحر قزوين، وذلك لسبب بسيط وهو أن كلفة استخراج وإنتاج برميل النفط من بحر قزوين، تكلف ٧ دولارات أو ٨ دولارات بينما كلفة برميل النفط العراقي الأجود منه لا تتجاوز ٧٠ سنتًا، كما يقول خبير نفطي عالمي [مقارنة بنحو ٣-٥ دولار للبرميل في كل من السعودية والكويت

حُمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وإيران، وحوالي ٥- ٨ دولار للبرميل في الإمارات، وما بين ٨-١٠ دولار للبرميل في المكسيك وفنزويلا]».

وبالإضافة إلى تلك الميزات المطلقة للنفط العراقي، هناك الربحية الهائلة في الاستثمار في هذا القطاع، خاصة وأن حقول النفط العراقية تعتبر من أغزر الحقول في العالم وأكثرها قربًا من سطح الأرض، مما يوفر نفقات ضخمة في عمليات التنقيب والاستخراج، وتفيد الدراسات الدولية أن معدل إنتاج البئر في العراق يتراوح ما بين ١٠ إلى ١١ ألف برميل يوميًا، بنما متوسط إنتاج آبار النفط في دول أوبك الأخرى لا يزيد عن ٤-٨ ألف برميل يوميًا...

كما أن كل الأجزاء الشرقية من العراق، لا زالت بِكْرًا وغير مستعملة ولا مستغلة، وحسب المعهد الفرنسي للبترول فإن باطن هذه الأجزاء قد يحتوي على ٢٠٠ مليار برميل من الخام.

ووحدها الشركات البترولية الأجنبية قادرة على تجنيد وتجميع البلايين من الدولارات لبعث الإنتاج، للاستيلاء على نفط العراق، الذي تعد تكلفة استخراجه وإنتاجه من أقل المعدلات عالميًا، لذلك لن تفتر همة الشركات النفطية وأطماعها في النفط العراقي».

فقبل الحظر كانت كل الشركات العملاقة تتفاوض مع النظام العراقي، وسبق لشركة النفط الفرنسية (توتال) أن حجزت لنفسها حق استغلال وتطوير حقول نفط مجنون القريبة من البصرة، وهي الأهم، وتصل تقديرات ما تحتويه من احتياط بين ١٠ إلى ٣٠ مليار برميل، بينما حجزت شركة فينا ألف الفرنسية حق استغلال حقول بن عمر.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ولم تكن الشركات الأمريكية ترضى بالخروج من هذه (الغنيمة) خالية الوفاض، فقد أكدت جريدة الـ (وول ستريت جورنال) في مقال نشرته بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠٠٣م ـ كما يذكر إبراهيم الصحاري في كتابه ـ، أن لجانًا قانونية من البنتاجون والخارجية الأمريكية تعكف على دراسة الجوانب القانونية المتعلقة بكيفية تعامل قوة الاحتلال العسكري مع الثروة النفطية للبلد المحتل، ويتم مراجعة السوابق التاريخية في تجارب ووثائق القانون الدولي ومن ضمنها معاهدة عام ١٩٠٧م لمؤتمر هيغ الذي تناول الضوابط لكيفية وإدارة قوة الاحتلال للثروات الطبيعية في البلد المحتل مثل الغابات والمناجم وآبار النفط، وتؤكد بنود المعاهدة على ضرورة بقاء الثروات الطبيعية لشعب الدولة التي يتم احتلالها وعدم إلحاق أضرار مستديمة فيها.

ولكن في نفس الوقت تترك البنود المجال لاجتهادات وتفسيرات قانونية مطاطة حول ما إذا كان يمكن لسلطة الاحتلال أن تتصرف بعائدات هذه الثروات للإنفاق على تكلفة احتلالها بالإضافة إلى إفادة الشعب الخاضع للاحتلال.

وهذا يوضح سر استعجال أمريكا لإعادة العمل ببرنامج النفط مقابل الغذاء ـ الذي وضعه مجلس الأمن بالقرار رقم ٩٨٦ـ في ظل احتلالها القائم، فهي تريد استخدامه غطاءً قانونيّاً للعمليات الاقتصادية التي سوف تجريها أثناء الاحتلال، وأيضا يوضح سر سعيها الحثيث لرفع العقوبات التي كانت مفروضة على العراق التي تراها الآن مُكَبِّلة لها قانونيًا، وذلك لتتمكن في ظل هذه الأوضاع المتشابكة والتي لها اليد العليا فيها أن تحسم مسار استغلال ثروات العراق لصالحها.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ويذكر هنا أيضًا أنه مع النهم الأمريكي لحلب بـقرة النفط العراقية تبدو خطورة نشوء احتـمالية دخول السوق البترولية في متلازمة زيادة الإنتاج ـ لسد تكاليـف الحرب وإعادة الإعمار بعـد الحرب ـ وخفض الأسعار ـ بسبب الزيادة المطردة في الإنتـاج ـ، ويتوقع الخبراء أنه إذا نجح العـراق في زيادة إنتاجه خـلال فتـرة قصيـرة فإن مـؤشر وست تكساس للبترول الخام سينخفض إلى متوسط عشرين دولارًا، وهو ما يعني أن سعر برميل البتـرول العراقي الخام قد يصل إلى ١٨ دولارًا: أي مـا يبلغ مـا بين ١٤ و١٦ مليـار دولار سنويًا فـقط ، وبمـوجب برنامج النفط مقـابل الغذاء، فإنه حـتى لو خصصت جمـيع العائدات لبرنـامج النفط مقـابل الغذاء، ولو توقف تصـدير البتـرول من خارج الأمم المتحدة، ولو تم تدبيـر عائدات أخرى من أجل إعادة البناء. . فإن العراق سيحتاج لزيادة إنتاجه بصورة كبيرة.

نقطة أخرى بـخصوص الرغـبة الأمريـكية في الاستـفراد بغنيـمة البـترول العـراقـية: وهي إلحـاح أمـريكا على الدول الدائنة للعـراق بإسـقاط هذه الديون، والسـر في ذلك: هو الرغـبة الأمـريكية أيضًـا بالاستفراد بالغنيمة العـراقية، فحسب موقع CNN فإن: تقارير دولية أعدها مـركز الدراسـات الاستـراتيجيـة الدولية قـدرت قيـمة الديون والتعـويضات المُسْتَـحَقَّة على الحكومـة العراقية بحـوالي ٣٨٣ مليار دولار أمريكـي، منها تعـويضات لأضرار ناجـمة عن حـرب الخليج قيمتها ١٩٩ مليار دولار.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

كما يشار إلى أن هناك ١٧٢ مليار دولار، هي عبارة عن مبالغ مستحقة لحكومات وشركات ومؤسسات وأفراد، و١٢٧ مليار، هي عبارة عن دين خارجي، منه ٤٧ مليار دولار مستحقة كفوائد، بالإضافة إلى ٥٧ مليار دولار هي قيمة عقود جارية في مجال الطاقة والاتصالات وغالبيتها مستحقة إلى روسيا.

كما تقدر هذه التقارير قيمة الديون المستحقة على العراق بدون فوائد بنحو ٨٠ مليار دولار منها ٣٠ مليار دولار مستحقة لدول الخليج و١٧ مليار دولار مستحقة للكويت وحدها، بالإضافة إلى ١٢ مليار دولار مستحقة لروسيا.

فأمريكا تريد أن تحلب بقرة النفط العراقية حتى الهزال، ولا ترغب أن يكون لها شريك في ذلك، ومن أجل ذلك أشعلت حربًا ـ أو حروبًا ـ ودمرت البلاد وقتلت العباد . . وليس ذلك وليد الساعة كما سنرى بعد قليل. .

* مخطط قديم:

إن أي متابع لتحركات أمريكا وأهدافها في المنطقة يدرك بوضوح أن التفكير في غزو أمريكي عسكري والتمركز في هذه المنطقة لم يكن وليد اللحظة التي نعيشها، وأنه لا علاقة له بتسلط صدام حسين ونظامه ولا حتى بوصول بوش الابن إلى سدة الرئاسة الأمريكية، صحيح أن وجودهما ساعدا على إخراج هذا السيناريو بهذه الصورة وفي هذا الظرف، ولكنهما لم يكونا السببين الحقيقيين في الرغبة الأمريكية في التواجد في المنطقة بهذا الشكل المباشر؛ فهناك مصالح

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أمريكية استراتيجية واتجاه توسعي إمبريالي أنبت هذا المخطط في أركان البيت الأبيض بغض النظر عمن يجلس فيه وعن الصورة التي كان سينفذ بها هذا المخطط.

وإذا تحدثنا عن هذا المخطط من منظور الدوافع الاقتصادية ـ وخاصة النفطية ـ ، مع عدم تقليلنا من أهمية الدوافع الأخرى لهذا الاستهداف، فإنه يتضح أن هناك ثلاث محطات رئيسية في هذا المخطط قبل أن يصل إلى هذا المشهد الذي نعيشه:

المحطة الأولى، إبان حرب ١٩٧٣م: وذلك حين اجتمع وزراء البترول العرب في دولة الكويت في ١٧ أكتوبر ١٩٧٣م بعد بداية الحرب مع (إسرائيل)، وتم الاتفاق بينهم على تخفيض الإنتاج الكلي للبترول العربي بنسبة ٥٪ فوراً، مع زيادة التخفيض بنسبة ٥٪ شهرياً حتى تنسحب (إسرائيل) إلى خطوط ما قبل ٤ يونيو ١٩٦٧م !.

هذا إضافة إلى قرار ست دول بترولية برفع سعرها بنسبة ٧٠٪، كما قررت بعض الدول العربية حظر تصدير البترول كلية إلى الدول التي يثبت تأييدها لإسرائيل بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

فقد كان هذا القرار بمثابة الإنذار الأول بأن في استطاعة العرب والمسلمين (خنق) أمريكا وأوروبا وهدم اقتصادها ونمط الحياة فيها متى أرادوا ذلك.. وعلى الفور انتبهت أمريكا إلى ذلك، ويذكر اللواء/ دكتور زكريا حسين أستاذ الدراسات الاستراتيجية المدير السابق لأكاديمية ناصر العسكرية العليا، أن دراسات ووثائق أعدتها مكتبة الكونجرس الأمريكي، إضافة إلى تقارير أعدتها وزارة الدفاع

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الأمريكيـة عن المحـاولات الأمريكية السـابقة لغزو الخـليج العربي، نشرها الدكتور (أنتوني كوردسـمان) كاملة في كتابه (الخليج والغرب) الذي صدر في لندن مع مطلع الألفية الجـديدة. . كان منها دراسة قام بها (تومـاس مورجان) ـ الذي عُـيِّن على رأس لجنة فرعيـة ـ لدراسة احتمال القـيام بعمل عسكري ضد دول منتجة للنفط في حـالة فرضها حظرًا نفطيّاً، وتقييم الخيارات المتاحة أمام السياسة الأمريكية في حال نشـوب مثل هذه الأزمـة، وقد قُـدِّمت الدراسـة إلى لجنة العلاقـات الدولية في مجلس النواب الأمريكي في ٥ أغسطس ١٩٧٥م.

ومن أهم مـا يثير الدهـشة عند استـقراء وثائق الكـونجرس، أن رؤساء الولايات المـتحدة الأمـريكية قد سـاهموا بحمـاس شديد في وضع هذه الاستـراتيجيـة موضع التنفيـذ، فقد قـام الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر) بوضع نواة وهيكل بناء قوة الانتـشار السريع الأمريكية اللازمة لـوضع هذه الاستـراتيجيـة موضع التنفـيذ، وسـاهم الرئيس الأمـريكي (رونالد ريجـان) بالـجزء الأكـبـر من بـنائهـا والتـخطيط لاسـتخـدامـها، ثم قـام الرئيس جـورج بوش (الأب) بالاسـتخـدام الاستراتيجي المخطط لها في عمليات الحشد العسكري في الخليج.

ولعل نشر التقرير السنوي لوزارة الدفاع الأمريكية عن السنة المالية ١٩٧٦م ـ والذي قدمه (جـيمس شليزنجر) وزير الدفـاع الأمريكي في ذلك الوقت ـ يُعَدُّ من أخطر الوثائق التي توضح تفصيـلاً الاستراتيجية العسكرية الأمريكية لتأمين منابع النفط الخليجية.

وفى دراسة نشرتها مجلة (فـورتشون) الأمريكية في مايو ١٩٧٩م

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بعنوان (التدخل العسكري في منابع النفط) جاء فيها: «لقد أوضح كل من براون (وزير الدفاع) وبريجنسكي (مساعد الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي) مؤخراً أن الولايات المتحدة ستتخذ خطوات بينها استخدام القوات العسكرية الأمريكية لحماية مصالحنا في (الخليج)».

وذكرت مجلة (شؤون فلسطينية) العدد ١١٢ مارس ١٩٨١م عن الدراسة نفسها أنه جاء فيها أنه من بداية السبعينيات وبخاصة بعد حرب رمضان «بدأت المصادر العسكرية الأمريكية تتحدث بوضوح عن أنه إذا تعاظم اعتمادنا على النفط الخارجي أو تدهورت سيطرتنا في السياسة الخارجية والنفوذ الدولي فإن البديل قد يكون إرسال حملة عسكرية إلى الشرق الأوسط تجعل ڤيتنام تبدو بالمقارنة كنزهة»، ويقول الرئيس نيكسون في مذكراته التي كتبها سنة ١٩٨٣م: «أصبحت الآن مسألة مَنْ يسيطر على ما في الخليج العربي والشرق الأوسط تشكل مفتاحًا للسيطرة على ما في العالم»، ويقول في موضع آخر: «.. وينبغي علينا أن نكون على استعداد وراغبين في اتخاذ أي إجراءات ـ بما في ذلك الوجود العسكري ـ من شأنها أن تحمي مصالحنا».

وفي هذا السياق يُذْكر أيضًا: أنه عقب الثورة الإيرانية التي أطاحت بالشاه زادت المخاوف الأمريكية من التهديد الإيراني (للخليج)، الأمر الذي دفع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للإعلان في ٢٣ يناير ١٩٨٠م ـ في خطاب له أمام الكونجرس الأمريكي ـ عن نظرية أمن صريحة بالنسبة لمنطقة الخليج تضع كافة الدراسات والوثائق والمناقشات التي تمت ـ سواء في لجنة العلاقات الدولية بمجلس النواب الأمريكي،

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أو في جلسات الاستماع لـلجنة الفرعية للسياسة الاقتـصادية الخارجية التابعة للجنة الشؤون الخارجية بالـمجلس نفسه ـ موضع التنفيذ؛ وهو ما عرف بمبدأ كارتر، الذي ينطوي على شقين. . .

أحدهما: شق سياسي، أعلنه الرئيس كارتر رسـمياً؛ فقال: «إن أي محاولة من جانب أي قوى للحصـول على مركز مسيطر في منطقة الخليج سوف تعتبر في نظر الولايات المتـحدة هجومًا على المصالح الحيـوية بالنسبـة لها، وسـوف يتم رده بكل الوسائل بمـا فيـه القوة المسلحة».

أما الشق الثاني: فهو تكملة عسكرية للإعلان السياسي، وقد تمثل في إنشاء ما يسـمى (قوة الانتشار السريع) من خلال تقـرير قدمته وزارة الدفاع عام ١٩٨٨م إلى لجنة القوات المـسلحة في الكونجرس، أعدت على أساسه مـيزانية هذه القوات لتلك السنة؛ وقـد وقف الجنرال كولن باول ـ رئيس هيئة أركان الحرب المشتـركة للقوات المسلحة الأمريكية ـ (وزير الخارجيـة الحالي) يدافع عنها أمام لجنة العلاقات الخـارجية في أول مـارس ١٩٩٠م، حـيث قـال: «يجب أن ننظـر إلى التـاريخ وإلى الحوادث الجارية وعـيوننا على المستـقبل، ومهمـا كانت الظروف فإن هدفنا لا يمكن أن يصـبح حلّ أو تفكيك القوة الأمريكـية، إنني تولّيت منصبي كرئيس لهيئة الأركان في الحرب آملاً أن أساعد في تشكيل القوة الأمريكية لمـواجهة تحديات المسـتقبل، وليس لأقوم بتـسريح الجيش الأمريكي، وأُضعف موقف الولايات المتحدة في العالم».

وقد كان قرار إنشاء قوة (التدخل السريع)،يقضي بأن تتمركز هذه القوة في الولايات المـتحدة الأمريكـية نفسهـا، على أن تكون جاهزة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

لكي تحمل جواً وبحراً إلى منطقة الخليج عند أي طارئ، وبذلك تكون الولايات المتحدة مستعدة، وتكون قواتها مخصصة لحماية الخليج على أراضيها، وقد أطلق على قيادة هذه القوات قيادة المنطقة المركزية، وشكلت من ٢٩١,٦٠٠ فرد.

وفي منحى استهداف العراق تحديداً يذكر الخبير الاستراتيجي أحمد السيد النجار أن وزير الطاقة الأمريكي الأسبق (جون هارنجتون) كان قد أعلن في عام ١٩٨٧م أن العراق يعوم على بحيرة من النفط وأن احتياطياته ربما تفوق الاحتياطيات السعودية الضخمة التي تبلغ نحو ربع الاحتياطيات العالمية المؤكدة من النفط، ويواصل الخبير قوله: وفي هذه الحالة إذا استطاعت الولايات المتحدة السيطرة على العراق ونفطه من خلال الغزو ووضع حكومة عميلة هناك، فإنها يمكن أن تتحكم في حجم الإنتاج العالمي من النفط من خلال مضاعفة حجم الإنتاج العراقي، ويمكنها بالتالي أن تعمل على خفض أسعاره بشكل كبير بما يحقق مصالحها كأكبر دولة مستهلكة ومستوردة للنفط في العالم، حتى لو أدى ذلك إلى تدهور اقتصادي يصل إلى حد الكارثة بالنسبة للدول المصدرة الرئيسية للنفط.

ولكن مع ذلك لم تجد أمريكا حتى تلك اللحظة الذريعة المناسبة التي تبدأ بها تنفيذ هذا المخطط حتى قدمها لها العراق نفسه، أو بالأحرى صدام حسين ونظامه.

المحطة الثانية، غزو الكويت سنة ١٩٩٠م: في نهاية الثمانينيات حدثت أزمة نفطية عانت فيها شركات النفط الأمريكية من شبح

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الإفلاس، وفي شهر مارس ١٩٩٠م ـ قبل غزو الكويت بأربعة أشهر وأيام ـ نشرت جريدة الحياة اللندنية جانبًا من تقرير أمريكي بعنوان (التقرير الأمني السنوي لمجلس الأمن القومي الأمريكي) جاء فيه: «إن المصالح الحيوية الأمريكية في الشرق الوسط المتمثلة أساسًا في مصادر الطاقة والعلاقات الأمريكية القوية مع بعض دول المنطقة تستحق وجودًا أميركيًا مستمرًا وربما معززًا في المنطقة»، وجاء فيه كذلك: «.. وإن الولايات المتحدة ستحافظ على وجود بحري لها في شرق البحر المتوسط وفي منطقة الخليج والمحيط الهندي... وستسعى إلى دعم أفضل للأسطول من الدول المحيطة وإلى خزن معدات سلفًا في مختلف أنحاء المنطقة!».

فرغم أن المشروع السابق ذكره وضع في أواخر السبعينيات، إلا أن أمريكا لم تجد الذريعة المناسبة لأن يكون لها موطئ قدم في الخليج، حتى كان لها ذلك في ٢/٨/ ١٩٩٠م عندما غزا نظام صدام حسين الكويت، فأوجد المسوغ المطلوب لزرع القوات الأمريكية في المنطقة، ليس فقط لتأمين منابع النفط، بل لحماية المصالح الأمريكية بشكل عام في منطقة الشرق الأوسط.

بالإضافة إلى ذلك: فإن صدام حين احتل الكويت زاد مخزونه النفطي تلقائيًا زهاء ٢٠٠ مليار برميل، ثم رفض اقتراح (أوبك) بتسعير البرميل بـ ١٨ دولارًا وفرض عليها ٢٣ دولارًا للبرميل الواحد، فأثبت أنه قادر على الضغط والتحكّم بسعر البترول، أي: التحكّم بالتالي بالشركات الكبرى وبالاقتصاد العالمي المرتبط

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بالبترول، وبذلك أعطى للإدارة الأمريكية مزيداً من البراهين والذرائع على المخاوف التي دعتها إلى وضع المخطط المشار إليه ودعاها أكثر إلى الجدية والإلحاح في تنفيذه.

وفي شهر سبتمبر ١٩٩٠م ـ أي بعد احتلال العراق للكويت بقليل ـ نشرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز مقالة للسفير السابق في الرياض جيمس إكنز بعنوان (الآن ومع وجود القوات الأمريكية حول حقول النفط، هل ندع الفرصة تفوتنا؟)، جاء فيها: «إن الذين عملوا والذين يعملون حاليًا في الحكومة الأمريكية ومن ضمنهم كيسنجر ـ الذي كان جاداً في موضوع احتلال آبار النفط في عام ١٩٧٥م ـ لا بد أنهم يرون الآن عدم ترك هذه المصادر غير العادية بعد أن أصبحت تحت سيطرتنا».

وبعد انتهاء الحرب قدم بول وولفويتز (نائب وزير الدفاع الأمريكي الآن) عام ١٩٩٣م إلى البنتاجون وثيقة تحت عنوان (الاستراتيجية الأمريكية الشاملة)، وقد تم تنقيح هذه الوثيقة وتعميقها فيما بعد، قبل نشرها عام ١٩٩٧م بما عُرف في الصحافة العالمية بـ (ثيقة البنتاجون)، وهي وثيقة سرية للجناح اليميني في الحزب الجمهوري الأمريكي محتواها هو خطط الهيمنة على نفط الشرق الأوسط.

وقد أعادت هذه الوثيقة تعريف التهديدات التي تواجه الولايات المتحدة وسبل مواجهتها، لكي تبقى قوة عظمى منفردة لمدة قرن كامل من الزمن، و تضمنت ضوابط شديدة لمنع أي قوة إقليمية من

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أن تتحول إلى قوة كبرى، حتى على مستوى إقليمها، من ناحية أخرى: فقد طرحت الوثيقة ضرورة بناء خرائط جديدة للشرق الأوسط بمفهومه الواسع.

وفي شأن آخر ذي صلة: قدَّم جون ماريا نائب رئيس مؤسسة يونوكل النفطية للعلاقات الدولية في ١٢/ ٢/ ١٩٩٨م شهادة إلى لجنة الكونجرس الأمريكي يبين فيها أهمية وجود حكم ملائم لأمريكا ومستقر في أفغانستان من أجل استثمار مشاريع النفط والغاز في المنطقة.

وانطلاقًا من (وثيقة البنتاجون) المشار إليها سابقًا أعد الجناح اليميني في الحزب الجمهوري خطّة لشن الحرب على العراق في سبتمبر ٢٠٠٠م ـ أي قبل استلام بوش الابن لمقاليد الرئاسة ـ، وقد صاغ هذه الخطة (ديك تشيني) (نائب الرئيس الأمريكي الآن)، و(دونالد رامسفيلد) (وزير الدفاع الآن)، و(بول وولفويتز) (نائب وزير الدفاع الآن)، و(جيب بوش) (أخو الرئيس جورج بوش الحالي)، و(لويس ليبي) (رئيس هيئة الأركان على عهد (تشيني)، وتكشف هذه الخطة هدف أمريكا الحقيقي من وراء احتلال العراق، حيث تشير إلى أن «الولايات المتحدة سعت على مدى عقود للعب دور دائم في حفظ الأمن الإقليمي في الخليج.

ورغم أن النزاع غير المحلول في الخليج يوفر المبرر المباشر [لضرب العراق]، فإن الحاجة إلى وجود عسكري أمريكي مكثف في المنطقة تتجاوز قضية نظام صدام حسين»، وبمعنى آخر: إذا لم يكن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

(صدام) هناك، فإن على الولايات المتحدة إيجاد ذريعة أخرى لاحتلال العراق لإحكام سيطرتها على ثرواته النفطية!.

المحطة الثالثة، أحداث سبتمبر ٢٠٠١م: يمكن القول إنه بعد أحداث سبتمبر التي أُعلن فيها عن نجاح تنظيم القاعدة بهدم برجي التجارة العالميين في نيويورك والهجوم على مبنى البنتاجون في واشنطن، وبعد أن قام السياسيون وأجهزة الإعلام الأمريكية باستغلال الحدث واستثماره لأقصى حد .. تهيأ الرأي العام لتحرك جديد في منطقة (الشرق الأوسط) واختلطت في حسه المطامع بالمخاوف، ومن ثم تأكدت الرغبة لدى الإدارة الأمريكية ووجد المسوغ الذي يمكن إعلانه للقيام بتنفيذ وجود دائم للقوات الأمريكية في هذه المنطقة، وذلك بزعم أن من يقدر على ضرب أمريكا في عمق أراضيها وفي رموزها الحيوية يقدر على تهديد مصالحها في مناطق أخرى لا تخضع لسيطرتها، وعزز ذلك ما أعلنته وسائل الإعلام منسوبًا إلى زعيم تنظيم القاعدة بعزمه على إخراج أمريكا من (جزيرة العرب) وتهديد مصالحها في تلك المنطقة (الخليج)..

وهكذا أصبحت الفرصة مواتية لأمريكا لضرب سرب من العصافير بحجر واحد ـ كما تصورت تلك الإدارة ـ، رغم أن معلومات كانت تسربت من قبل تلك الأحداث تؤكد أن واشنطن أعدت خطة عسكرية لغزو أفغانستان منذ سنوات طويلة للسيطرة على نفط المنطقة وخاصة بحر قزوين، وأنها كانت تنتظر الذريعة المناسبة لهذا التدخل، فجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر على طبق من

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ذهب لتُسَـرِّع من عملية تنفـيذ المخطط الأمريكـي للسيطرة على نفط العالم مباشرة وليس بالوساطة.. وهكذا أصبح غـزو أفغانستان بمثابة وضع أمـريكا لمـحور ارتكازها الأول في الطـرف الشرقي من قـوس النفط العظيم، ثم كان لابد من إكـمال المخطط وارتكازها في الطرف الغـربي من هـذا القـوس، ومن ثم: توالت الإشـارات، وتـكثـفت وتسارعت التطورات في هذا المنحى:

فلقد جـاء ضمن نصـوص استـراتيجـية الأمن القومي الأمـريكي المنشورة في ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٢م (أي بعد غزو أفغـانستان وقبل الحرب على العراق) ما يلي:

«لقد طورت الولايات المتحدة استراتيجية شاملة تهدف إلى تعزيز التجارة الحرة: . . .

٩ـ تعزيز أمن الطاقة، سوف نقوي أمن طاقتنا والازدهار المتشارك للاقتـصاد العـالمي، وذلك من خلال العـمل مع حلفائنا، وشـركائنا التجـاريين، ومنتجي الطاقة؛ لتـوسيع مصـادر وأنواع الطاقة العالمـية المزودة، وبالأخص في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وإفريقيا، وآسيا الوسطى، ومنطقة بحر قزوين، سوف نستمر في العمل أيضًا مع شركائنا لتطوير تكنولوجيات لطاقة اكثر نظافة وفعالية.

وجاء فيها أيضًا:

«علينا أن نكون مستعدين لوضـع حـد للـدول المـارقة وعملائها من الإرهـابيـين قبل أن يتـمـكنوا من تهـديدنا أو استـخدام أسلـحـة الدمـار الشـامل ضد الولايات المـتحدة وحـلفـائنا وأصـدقائنا، وردنا

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

يجب أن يستفيد كليًا من التحالفات المعززة، ومن إقامة شراكات جديدة مع أعداء سابقين، ومن ابتكار أساليب متجددة في استخدام القوة العسكرية والتكنولوجيا الحديثة، بما في ذلك تطوير نظام دفاعي صاروخي فعال، وزيادة التركيز على جمع المعلومات الاستخبارية وتحليلها».

«لقد استغرقنا الأمر عقد من الزمن تقريبًا لاستيعاب الطبيعة الحقيقية لهذا التهديد الجديد. وانطلاقًا من أهداف الدول المارقة والإرهابيين، لن تستطيع الولايات المتحدة بعد الآن أن تعتمد فقط على سياسة رد الفعل كما فعلنا في الماضي، فعدم القدرة على ردع معتد محتمل، والطبيعة الملّحة للتهديدات اليوم، وحجم الضرر المحتمل الذي قد يتسبب به اختيار العدو للأسلحة، لا يسمح لنا بذلك الخيار، لا يمكننا السماح للأعداء بأن يضربوا أولاً».

ولا نستطيع أن نفصل تلك الإشارات في وثيقة استراتيجية الأمن القومي عام ٢٠٠٢م، عن إعلان أميركي آخر صدر في أوائل الثمانينيات يؤكد على أن حدود الأمن القومي هي آخر قطرة نفط في آبار منطقة الخليج العربي.

ثم تتابعت الإشارات في اتجاه استهداف العراق عسكرياً، حيث أعلن المسؤول في وزارة الخارجية الأمريكية (ستيف مان) خلال مؤتمر في نيويورك عقد في شهر ١١ / ٢٠٠٢م أن «احتياطيات النفط في بحر قزوين ليست بالقدر الكافي لتشكل منافسًا لنفط دول الخليج».

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وبعد ذلك صرح وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في ٢٢ يناير الماضي بأن احتلالاً عسكريًا سيتم للعراق، وأن البترول هو أمانة للشعب العراقي، وستتم حماية حقول النفط، وفي اليوم التالي لتصريحات باول نقلت صحيفة (الجارديان) البريطانية عن مصادر قولَها: إن اجتماعًا مهمًا عقد في أكتوبر الماضي بين مسؤولين كبار في مكتب نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني وشركات نفطية مهمة هي (إكسون موبايل) و(شيفرون تكساكو) و(كوكوفيليبس) و(هاليبورتن) لدرس آفاق الصناعة النفطية في العالم بما في ذلك الوضع العراقي.

ثم توالت بعد ذلك الخطوات والتصريحات والأحداث التي يعرفها جميع المتابعين عن خطوات أمريكا (لتحرير الشعب العراقي من نير نظام صدام).

وبعد سقوط بغداد جاء في الأخبار: «كشفت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية عن خطط لعقد اتفاقات عسكرية أمريكية طويلة الأمد مع الحكومة الجديدة في العراق، وذلك وصولاً إلى إقامة قواعد عسكرية أمريكية في الأراضي العراقية، ونقلت الصحيفة عن مسؤولين أمريكيين أن واشنطن تنوي الاحتفاظ بأربع قواعد عسكرية في العراق لاستخدامها في المستقبل: الأولى في مطار بغداد الدولي، والثانية في تليل قرب الناصرية، والثالثة في مكان معزول في صحراء غرب العراق تسمى H-1 بمحاذاة خط أنابيب النفط بين العراق والأردن، والرابعة في باشور شمال العراق، وأن القوات الأمريكية تستخدم

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

بالفعل هذه القواعد حاليًا، وتخطط للبقاء فيها لاستخدامها في أي أزمات قد تحدث في المستقبل.

وكانت الولايات المتحدة قد كشفت للمرة الأولى عن خططها لوجود طويل الأمد في العراق، وقال بول وولفويتز، مساعد وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد والرجل الثاني في البنتاجون: إنه يرى إمكانية إنشاء قواعد عسكرية في العراق الذي سيصبح بلدًا خليجيًا صديقًا جديدًا لأمريكا، وأوضح قائلاً: «الحقيقة الأساسية هي أن إزاحة هذا النظام ستمنح الولايات المتحدة حرية أكثر للحركة في الخليج».

وبالطبع لسنا بحاجة لمعرفة دوافع وزير الحرب رامسفيلد الذي نفى صحة هذا الخبر فيما بعد، فالأمر قد أوضحوه سابقًا.

* ماذا يعني احتلال أمريكا للعراق؟:

نذكِّر أولاً أن حديثنا الآتي عن الأبعاد والاحتمالات المتوقعة لا يعني حتمية وقوعها، كما لا يعني وقوعها كلها ـ لو وقعت ـ في الزمن القريب.. فماذا إذا استقر الأمر لأمريكا وحققت ما ترنو إليه في المنطقة؟

هناك عدة أبعاد يمكن النظر إليها وأخذها في الاعتبار بهذا الخصوص، منها:

* أن أي قوة إمبريالية توسعية يهمها السيطرة على طرق المواصلات ـ بما فيها الممرات والمضايق ـ التي تربط بين أماكن مصالحها الحيوية والوطن الأم، وهذا ما فعلته بريطانيا عندما كانت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس وكانت مصالحها الحيوية تتركز في

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الهند ومصر وشرق البحر الأبيض المتوسط، فنجد أنها سيطرت على مضيق باب المندب ـ عبر احتلالها لعدن ـ، وقناة السويس في مصر باحتلال مصر، ومضيق جبل طارق عبر إقامتها قاعدة عسكرية في جبل طارق (٦,٥ كم٢) بموجب معاهدة (أوتريشت) سنة ١٧١٣م ثم استعماره سنة ١٨٣٠م، بينما لم تلتفت كثيرًا لمضيق هرمز بالخليج العربي ـ مع عدم إهماله أيضًا ـ لأنه لم يكن له أهمية كبرى حينها؛ حيث لم يكن للبترول الأهمية نفسها التي عليها الآن ولم يكتشف بكميات كبيرة في المنطقة حينها..

والأمر نفسه تقوم به أمريكا الآن بخصوص الممرات والمضايق وطرق المواصلات التي تهمها، فمع سيطرتها على مضيق هرمز (يمر به ١٥,٥مليون برميل يوميًا، بحسب تقديرات عام ١٩٩٨م) تسيطر أمريكا أيضًا على مضيق باب المندب (٣,٣ ملايين برميل يوميًا) عبر قواعدها في جيبوتي وإريتريا، ولا يبتعد عن ذلك محاولتها التدخل في الصومال وجنوب السودان، وعلى قناة بنما التي سيطرت عليها سيطرة عسكرية مباشرة لمدة ٨٥ عامًا (حتى ٣١/ ١٢/ ١٩٩٩م)، وبسبب أهميتها الاستراتيجية أبقت فيها حوالي ٦٠ ألف جندي خلال الحرب العالمية الثانية وعشرات الآلاف خلال فترة الحرب الباردة، وبعد تسليمها حرصت على وجود نظام موال لها دائمًا بها، كما أنها تحاصر قناة السويس (٣,١ ملايين برميل يوميًا) بدعوى مراقبة الحظر الذي كان مفروضا على نظام العراق السابق، إضافة إلى قرب وجود أقرب حلفاءها في المنطقة (إسرائيل) منها، أما مضيق جبل طارق (يمر منه سدس التجارة البحرية العالمية و ثلث التجارة النفطية) فهو

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

يخضع للسيطرة البريطانية والإسبانية، وكلاهما حليفان لواشنطن وعضوان في حلف الأطلسي، كما أن ولأمريكا قواعد في روتا ومورون الإسبانيتين على بعد ٤ كيلومترات من الجبل، إضافة إلى أنها تستخدم القاعدة البريطانية في صخرة الجبل، ولا يتبقى من المضايق والممرات المائية العالمية سوى خليج البوسفور في تركيا ومضيق ملقا بين ماليزيا وإندونيسيا وهما لا يمثلان أهمية حيوية لأمريكا، ومع ذلك فهما تحت حماية دول حليفة أو صديقة لأمريكا..

وإضافة إلى محاولات أمريكا للسيطرة على الممرات وطرق المواصلات العالمية عبر قوات (حراسة) لها تضمن عدم حدوث أي تقلبات أو اضطرابات تؤثر على أدائها، فإنها تحرص على تنصيب حكومات مرتبطة بها حول تلك الطرق والممرات.

وبخطوة احتلال العراق تكون أمريكا قد رسخت وجودها في منطقة استراتيجية تطل منها على عدة مناطق مهمة في القارات الثلاث، وتلتقي فيها أو تقترب منها طرق وممرات دولية بقدر التقاء مصالح أطراف دولية أيضًا، فالقوى التي ستسيطر على هذه المنطقة سيكون لها ضمان أمنها الاقتصادي الاستراتيجي إضافة إلى القدرة مستقبلاً على تسيير دفة الاقتصاد العالمي طبقًا لمصالحها الخاصة، ومن هنا نستطيع فهم تحركات أمريكا في آسيا الوسطى وأفغانستان، وأخيرًا في الخليج والعراق؛ فموقع العراق الملاصق للخليج العربي والقريب من منطقة بحر قزوين، والطرق التي سيعبر منها النفط المستخرج منها، سواء شرقًا عبر باكستان وأفغانستان أو غربًا عبر

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

تركيا، ووجود القوات البحرية والجوية التي ستتمركز في هذه المنطقة.. سيضمن السيطرة الأمريكية على كل ما يسمى بالشرق الأوسط الكبير، وإذا حدث ذلك فإن هذه السيطرة الأمريكية منفردة على تلك المنطقة الحيوية سوف يهدد مصالح أطراف دولية أخرى يهمها أن يكون لها أيضًا وجود فاعل ومؤثر في هذه المنطقة التي تلتقي فيها مصالح أطراف عدة.

* **يضاف إلى ذلك البعد**: الحديث عن أهمية ثروة العراق النفطية، فرغم أنه لا يمكن إنكار تزايد حاجة الولايات المتحدة نفسها للنفط، وضآلة الاحتياطي الأمريكي المؤكد ـ وهو ما سبق ذكره ـ، إلا أنه من المعروف أيضًا أن اعتماد أوروبا وآسيا على نفط منطقة الخليج أكثر بكثير من الاعتماد الأمريكي عليه (يصل الاعتماد الياباني على منطقة الخليج إلى ٨٥٪ من مجمل استهلاكها)، كما أن بعض القوى الأخرى ذات النمو السريع التي قد تكون مناوئة ـ مثل الصين ـ يتزايد اعتمادها أكثر فأكثر على استيراد النفط، خاصة مع تزايد معدلات نموها الصناعي التي تتجاوز ١٢٪ سنويًا.

ومن المعروف أن ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط تشمل المنطقة العربية التي تملك ٦٠٪ من احتياطي النفط العالمي، مضافًا إليها احتياطي النفط الإيراني واحتياطي نفط منطقة بحر قزوين، وهذا يعني أنه باحتلال أمريكا للعراق وسيطرتها على نفطه إضافة إلى السيطرة الأمريكية المطلقة على كل حقول النفط من كازاخستان في الشمال وحتى الخليج ـ إذا تحقق لها ما تريد ـ.. تكون قد سيطرت على

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أكثر من ٩٠٪ من احتياطي النفط العالمي، وعندما تسيطر أمريكا على هذا الاحتياطي فمعنى ذلك أنها تحكمت بمصادر الطاقة العالمية العصب الوحيد الآن للصناعة والتنمية، أي إنها وضعت يدها على أصل استراتيجي كبير في مواجهة منافسيها وخصومها المحتملين في العالم ـ وخاصة في أوروبا وآسيا ـ.

أما عن مكانة منظمة أوبك حينئذ، فحسب جريدة (الفينانشيال تايمز): «إنه بوصول الشركات الأمريكية واعتماداتها المالية الجبارة إلى العراق، سيتمكن البلد من مضاعفة قدراته الإنتاجية للنفط الخام لتصل إلى ٧ ملايين برميل في اليوم، وهذا سوف يدق ناقوس الخطر حيال السقف الإنتاجي المتفق عليه في منظمة الأوبك ويؤذن بزوالها، فمن شأن مثل هذا الاحتلال بالقوة للنفط العراقي أن يغرق السوق النفطية العالمية بكميات هائلة من النفط بأسعار رخيصة مما سينسف سياسة الحصص التي تفرضها هذه المنظمة الدولية للمحافظة على استقرار الأسعار في السوق النفطية العالمية، وبالنتيجة ستستفيد الولايات المتحدة الأمريكية من هذا التدفق الهائل للنفط العراقي الرخيص إلى الأسواق لانتشال الاقتصاد الأمريكي المنهار من السقوط، وهذا هدف تريد الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقه بكافة السبل وبأي ثمن كان» (د. جواد بشارة ـ الزمان اللندنية ٢/ ١٠/ ٢٠٠٢م)، وهذا يعني عملياً تحطيم أوبك أو على الأقل تهميش دورها وشل قدرتها إلى أبعد حد.

وعندما تستطيع الولايات المتحدة فعل ذلك تستطيع الهيمنة على سوق النفط، ومن ثم امتلاك زمام المبادرة في تحديد سعره وكيفية

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

توزيعه، وهذا ما يمكّنها من جعل الدول الأخرى المعتمدة على البترول تحت رحمتها في أي وقت، بل يمكن أن تقود أمريكا هذه الدول إلى الإفلاس متى شاءت، وقد أشارت مجلة (فورين ريبورت) في عدد أخير لها أن «الولايات المتحدة في استراتيجيتها الجديدة تريد أن تسيطر بصورة كاملة غير منقوصة على النفط وأنظمته بطريقة تسمح لها باستخدامه سلاحًا في صراعها السياسي ـ الاقتصادي مع القوى الرأسمالية المنافسة الأخرى»..

وذلك مما سيضع حدًا للحلم الأوروبي في منافسة القوة الاقتصادية والسياسية الأمريكية ـ فالذي يسيطر على النفط يسيطر على الاقتصاد ـ، وكل ذلك مما سيؤثر على اقتصاديات هذه الدول ويؤثر على الخريطة الاقتصادية الدولية.

* **وهناك أطراف دولية كان لها مصالحها الخاصة** في عراق ما قبل الاحتلال وجدت نفسها ومصالحها في مهب الريح بعد احتلال أمريكا للعراق، وعلى رأس هذه الدول تقف روسيا وفرنسا، فمعظم تسليح الجيش العراقي كان من هاتين الدولتين ـ وخاصة من روسيا ـ، كما أن هاتين الدولتين استطاعتا الحصول في عهد صدام حسين على عقود نفطية كبيرة ومنافسة.

وإذا استعرضنا خسائر روسيا الاقتصادية ـ على سبيل المثال ـ جراء الاحتلال ثم السيطرة الأمريكية على العراق، فتكفي الإشارة إلى أن حجم التبادل التجاري بين موسكو وبغداد بلغ مليارين ونصف مليار دولار عام ٢٠٠١م، معظمها صادرات روسية للعراق أتاحت

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

تشغيل كثير من المصانع التي كانت متوقفة في روسيا، كما أن الديون العراقية لموسكو تبلغ نحو عشرة مليارات دولار، كان سدادها متوقفًا على إنهاء العقوبات الاقتصادية المفروضة على بغداد، وأيضًا: فإن العقود المبدئية العراقية مع الشركات الروسية في مجال إعادة الإعمار والتنقيب عن النفط والغاز تبلغ قيمتها نحو أربعين مليار دولار، وهي عقود كان يتوقف تنفيذها على إنهاء العقوبات الاقتصادية كذلك، ويشير الخبراء إلى أن شركات النفط الروسية كانت تتوقع تحقيق أرباح تبلغ قيمتها نحو عشرين مليار دولار من تنفيذ عقود استثمار حقول النفط والغاز في منطقة غرب القرنة العراقية وحدها.

وهكذا نجد أن رفع الحصار عن عراق العهد السابق كان سيؤمن فرصة استرداد الديون العراقية لروسيا، وأن احتفاظ أسعار النفط بمستواها السابق أو رفعها كان سيدعم الدخل القومي الروسي باعتبار روسيا من الدول المصدرة للنفط، أما الآن بعد الاحتلال الأمريكي وتغيير الأوضاع في العراق، فإن الديون الروسية على العراق مجهولة المصير، وإذا ما أعيد ضخ النفط العراقي بكثافة ـ بدعوى المساهمة في تكاليف إعادة الإعمار ـ بما يؤدي إلى خفض سعر البرميل عن حدود ٢٢-٢٥دولارًا فإن الاقتصاد الروسي سيشهد تراجعًا كبيرًا، وهكذا نجد أنه إضافة إلى الضغط الأمريكي لتنازل الدول الدائنة للعراق ـ وعلى رأسها روسيا ـ عن ديونها، فإنه من شبه المؤكد ضياع جزء مهم آخر من دخل الميزانية الروسية الساعي إلى تدعيم الروبل العملة المحلية.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وكما يقول الدكتور جواد بشارة: فإنه بعد وضع فريق قيادي موالٍ لأمريكا بدلاً من نظام صدام حسين في العراق فسوف يشكل ذلك «نعمة سماوية للشركات النفطية الأمريكية الغائبة نسبيًا عن السوق النفطية العراقية التي تحتلها الشركات الروسية والأوروبية وخاصة الفرنسية منها.

والأوروبيون يدركون هذه الخطورة جيدًا ويعلمون أن الانتصار العسكري الأمريكي ـ سوف يفتح طريق بغداد أمام المجموعات الصناعية الأمريكية ومن بينها الشركات النفطية العملاقة ـ لقطع الطريق على منافستها الأوروبية الموجودة في العراق، فالأولوية ستكون بالطبع للشركات الأمريكية، وقد أوضح جيمس ولسلي المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه) لصحيفة (الواشنطن بوست) أن الأمر في غاية السهولة وبعيد عن التعقيد: (لدى روسيا وفرنسا شركات نفطية عاملة في العراق ولديهما مصالح مهمة في هذا البلد، وعليهما أن يعرفا منذ الآن أنه إذا ما جاء إلى السلطة في العراق نظام بديل لصدام حسين فإننا سوف نعمل ما في وسعنا لجعل هذه الحكومة الجديدة تعمل بصورة وثيقة ومتينة مع شركاتنا النفطية حصرًا، وإذا تعاونت الدولتان معنا في إسقاط صدام حسين فسوف ننظر في مصالحهما وديونهما ونحث الفريق الحاكم الجديد في العراق على أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار، وإلاّ فسوف لن نضمن لهما شيئًا).. [وقد كان، ولم يتعاونا في ذلك].

وقد صرح رئيس المؤتمر الوطني العراقي المعارض لنظام صدام حسين والذي تسانده وتدعمه الولايات المتحدة الأمريكية بما معناه

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

أنه: بعد تغيير النظام القائم علينا تشكيل اتحاد صناعي نفطي (كونسورتيوم) تقوده أمريكا ليأخذ بيده عمليات استغلال النفط في العراق وستكون للولايات المتحدة الأمريكية الأولوية بالطبع (حسب ما نقلته الصحيفة الأمريكية، وهذا يعني تراجع مريع لبقية الشركات النفطية العالمية الكبرى العاملة في هذه السوق النفطية الاستراتيجية الآن، وكانت صحيفة (البايس) الإسبانية قد أشارت إلى أن هناك شركات روسية هي لوك أويل وسلافينيفت، وشركات فرنسية هي توتال وفينا ألف، وشركات هندية وصينية وإيطالية وجزائرية وڤيتنامية، قد وقّعت اتفاقيات وعقود استثمار واستغلال للنفط العراقي كان من المفترض أن تدخل حيز التنفيذ بمجرد رفع الحظر النفطي المفروض على العراق منذ عام ١٩٩٠م)»، وغني عن الذكر أن الاحتلال الأمريكي للعراق يجعل كل هذه المصالح والاتفاقيات تحت الأنقاض!.

بل إنه ظهر أيضًا على السطح ـ بعد السيطرة الأمريكية على الكعكة العراقية ـ تنافس بين الشركات الأمريكية والبريطانية حول اقتسام هذه الكعكة، فقد ذكر موقع الجزيرة نت (١٢/٣/٢٠٠٣م) نقلاً عن مصادر صحفية: أن شركتي النفط البريطانيتين برتيش بتروليوم وشل أجرتا مناقشات مع الحكومة البريطانية بشأن نصيبهما من عقود النفط العراقية بعد أن بدأت نظيراتها الأمريكية في التخطيط لتقاسم المكاسب الضخمة المتوقع أن تظفر بها في عراق ما بعد الحرب...

ونسبت صحيفة فاينانشال تايمز إلى مسؤولين حكوميين ـ لم تسمهم ـ قولهم: إن الشركتين العملاقتين ناقشتا القضية في اجتماع

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

موسع مع جيفري نوريس كبير المستشارين السياسيين لرئيس الوزراء توني بلير، وحثت الحكومة خلاله على ضرورة ألا يسمح للشركات الأمريكية بالاستحواذ على المشاريع النفطية العراقية المغرية، وأضافت الصحيفة: أن الحكومة أبدت تعاطفًا وتفهمًا للقضية.

* **أما عن الأبعاد الإقليمية**: فوجود قوات أمريكية في المنطقة يعني أن الضغوط ستكون شديدة على دول المنطقة؛ بل يمكن التهديد بالاستغناء عن بعض الأنظمة باستبدالها أو تقليص دورها إلى أبعد حد؛ لعدم الحاجة إلى (وكلاء) غير كاملي الطاعة والاستجابة في وجود المُوَكِّل نفسه في المنطقة، مما قد يدفع هؤلاء الوكلاء إلى التفاني والتسابق في تقديم أقصى ما يمكن من تنازلات ـ بالنظر إلى محافظتهم على معادلة التوازن الداخلي أيضًا ـ لإثبات أنهم قادرون على لعب دور مهم ولا يمكن الاستغناء عنه في المنطقة، ولا شك أن ذلك سيكون له أثره الكبير على الحركات الإسلامية وعلى قضايا الأمة المصيرية.

كما أن من المخاطر الفادحة المحتملة: تعويق مشاريع التنمية في الدول العربية المحيطة أو المرتبطة بالعراق بعد تخفيض أسعار النفط وإضعاف الاقتصاد فيها نتيجة الظروف الجديدة ، ومن المخاطر أيضًا: ما يتهدد الدول النفطية في المنطقة من أن تلجأ الولايات المتحدة من خلال ضغوط سياسية أو عسكرية إلى فرض توجهات خصخصة شركات النفط الوطنية، وتصفية امتلاك الدول لها، ليتسنى للشركات الأمريكية الاستغلال المباشر لنفط تلك البلدان، كما كانت الأمور تسير في الماضي.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

* **ومن الأبعاد الإقليمية**: أن وجود أمريكا بقواتها في المنطقة يعني تلقائيّاً وقوع إيران وسوريا ـ مع لبنان ـ تحت الحصار الأمريكي الصهيوني؛ إيران يحاصرها الوجود العسكري الأمريكي من الشرق (في باكستان وأفغانستان)، ومن الشمال (تركيا)، ومن سواحلها الغربية (مياه الخليج)، والجنوبية (بحر العرب والمحيط الهندي)، والآن من العراق على حدودها البرية الغربية، أما سورية ولبنان فإن الوجود العسكري الأمريكي والصهيوني يحاصرهما من الشمال (تركيا)، ومن الغرب (البحر المتوسط)، ومن الجنوب (إسرائيل)، والآن اكتملت الحلقة من الشرق (العراق).

وهذا الحصار لكلتا الدولتين له أبعاده المهمة، فإيران ترقد على ٩٠ مليار برميل من النفط يمثل ٨,٥٪ من الاحتياطي العالمي (خامس أكبر احتياطي في العالم)، كما أنها الدولة التي تفصل بين المنطقة العربية ومنطقة آسيا الوسطى، أي إنها تمثل الحلقة الناقصة أمريكيًا في استكمال الهيمنة على (قوس النفط الكبير)، أما سورية ولبنان فإنهما يمثلان الحلقة الناقصة ـ ولو رسميّاً ـ في تأمين المجال الحيوي لـ (إسرائيل)، إضافة إلى أنهما يعدان قلب النجمة الثلاثية للحلف الأمريكي المرتقب (تركيا ـ إسرائيل ـ العراق)، مما يرشح تلك الدول ليكون الدور عليها في الاستهداف الأمريكي ومحاولة إخضاعها بكل السبل.

* **ومن الأبعاد الإقليمية أيضًا**: بروز فرصة تاريخية نادرة لإنهاء القضية الفلسطينية وانتهاز الأوضاع الإقليمية الراهنة ـ وأهمها: الهزيمة النفسية والشعور بالعجز في الوعي الجمعي للعرب والفلسطينيين

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

خاصة ـ لتركيع العرب والمسلمين بعد إقامة (نظام شرق أوسطي جديد) يقبل الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة.

ويمكن القول: إن هناك ثلاث مخاطر رئيسية تهدد القضية الفلسطينية يمكن لليهود التجاسر على ولوجها مجتمعة أو متفرقة: **الخطر الأول**: إنجاز مشروع إقامة الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى بأي صورة وأي صيغة، وكان قائد لواء القدس المحتلة في شرطة الاحتلال الإسرائيلي اللواء ميكي ليفي صرح قبل الحرب بأنه سيكون بإمكان اليهود تأدية الصلاة في جبل الهيكل (المسجد الأقصى) بعد الحرب في العراق، **والثاني**: القيام بعمليات ترحيل قسري (ترانسفير) للفلسطينيين لتفريغ فلسطين من أهلها وإعادة تشكيل التوازن الديموجرافي في البلاد ـ خاصة بعد ضعف أو توقف الهجرة اليهودية إليها ـ، وفي هذا الصدد فإن العراق مرشح بقوة لاستقبال أعداد كثيرة من هؤلاء المُرَحَّلين بدعوى المساعدة على إعادة إعمار العراق، وفي الوقت ذاته سيعملون على إنهاء قضية اللاجئين الفلسطينيين في الخارج بإلغاء حق عودتهم إلى فلسطين، **الخطر الثالث**: افتعال أزمة مع إحدى دول الجوار ومحاولة التوسع باحتلال أراضٍ مجاورة.

وفي إطار هذه المخاطر يأتي العمل على إعادة (شحن) ودفع تيار الداعين للتطبيع مع إسرائيل من المثقفين والسياسيين بدعوى الواقعية والاعتراف بمحدودية إمكانات الأمة وقدراتها، وعلى رأس ذلك يجيء تعيين أبو مازن تحديدًا رئيسًا للوزراء ـ بضغوط أمريكية وإسرائيلية وأوروبية وعربية ـ وهو المعروف بعلاقاته الخاصة مع

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الأمريكان والإسرائيليين، وبمعارضته لعسكرة الانتفاضة، وجهوده الحثيثة للتوصل إلى سلام دائم مع (إسرائيل) . . ليشير إلى أن حركات المقاومة في الداخل ستشهد مطاردة وضغطًا عنيفًا لتهيئة الساحة لقبول التنازلات والأحداث المأساوية المتوقعة في ظل هذه المخاطر، وليشير أيضًا إلى اتجاه التطورات والتنازلات المتوقعة في إطار ما يسمى بخريطة الطريق الأمريكية، وقد قال رئيس الوزراء الإسرائيلي إريل شارون صراحة: إن هناك فرصة للتوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين «بشكل أسرع» بعد الحرب على العراق، مشيرًا إلى أن تلك الحرب سببت «هزة في الشرق الأوسط». . .

ويدل على الشره الصهيوني للتوسع والهيمنة والعمل على فرض واقع جديد في المنطقة بعد احتلال العراق بقوات أمريكية:

ما جاء في الأنباء من أن الحكم الأمريكي المرتقب في العراق سيتخذ قراراً بالاعتراف بالكيان الصهيوني وإقامة تمثيل دبلوماسي بين (تل أبيب) وبغداد، وأن شركات الكيان الصهيوني ستشارك في عمليات إعادة الإعمار، مما يعني التطبيع بكل ما يحمله من معانٍ ومخاطر، وكانت صحيفة (يديعوت أحرونوت) الصهيونية كشفت أن أحمد الجلبي زعيم المؤتمر الوطني العراقي، الذي تضعه قوات الاحتلال الأمريكية على رأس مرشحيها لحكم العراق، زار الكيان الصهيوني سراً مؤخراً، والتقى شخصيات صهيونية رسمية وغير رسمية، وبحث معهم إقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والكيان الصهيوني، كما أن هناك أنباء عن إعادة تشغيل أنبوب النفط بين كركوك وحيفا ـ عبر الأردن ـ الذي كان متوقفًا منذ إقامة الكيان

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الصهيوني عام ١٩٤٨م، وقد أعلن وزير البنى التحتية (يوسف باريتسكي) أن تشغيل هذا الأنبوب قد يخفض أسعار الوقود في إسرائيل بنحو ٢٥٪، إضافة إلى توفيره فرص عمل لآلاف العاطلين عن العمل، إلى جانب مد خزانة الدولة بمداخيل إضافية، مؤكداً حصوله على معطيات تفيد بأن الحرب الأمريكية البريطانية في العراق ستؤثر بشكل حاسم على مجال الطاقة في إسرائيل.

ومما له دلالة في هذا الخصوص: ما أعلنته القناة العاشرة في التلفزيون الإسرائيلي أن ما يتراوح بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ جندي يدينون باليهودية كانوا بين العسكريين الأمريكيين الذين قصفوا المدن العراقية، وأن بعضهم احتفل بعيد الفصح اليهودي (يوم ١٥ إبريل) في القصر الجمهوري في بغداد.. وما أُعلن من أن عدداً من الحاخامات اليهود في إسرائيل قد نشروا مؤخراً فتوى دينية تنص على أن العراق هو جزء من أرض إسرائيل الكبرى، وطلبت هذه الفتوى من الجنود اليهود في القوات الأمريكية والبريطانية التي تقاتل في العراق أن يؤدوا الصلاة الخاصة عندما يقيمون كل خيمة أو بناء في أرض غربي نهر الفرات.

وعمومًا فإن المنطقة بكاملها ستكون مقبلة على تحولات كبرى ستكون منعطفًا تاريخياً في مسيرة الأمة..

ولكن هل بالفعل ستسير الأمور كما هو مخطط ومرغوب؟، وهل سيستقر الوضع للأمريكان في المنطقة ليحققوا أهدافهم؟، أم إن الرياح قد تأتي بما لا يشتهيه القراصنة؟

إن الناظر إلى المعطيات السابقة وإلى اتجاهات المستقبل يرى أن

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الوضع شديد التعقيد والتشابك، حيث تتداخل الأوضاع الداخلية العراقية مع الأوضاع الإقليمية مع الأوضاع الدولية.

فالمقاومة الشرسة التي أبداها العراقيون في أم قصر والبصرة والناصرية ومناطق أخرىٰ لا يستبعد تكرارها بشكل أو بآخر بعد الإفاقة من صدمة سقوط بغداد بهذه الصورة غير المتوقعة، ولا يعرف أحد كيف سيكون رد الشعب العراقي علىٰ الاحتلال الأجنبي وتعامله مع حكومة واضحة العمالة، كما لا يستطيع أحد تقدير حجم التفاعل العربي والإسلامي مع الداخل العراقي ولا كيفيته، فهناك تيارات جهادية وقومية ووطنية محضة ـ بل هناك قطاعات لا تنتمي إلىٰ شريحة فكرية أو عقائدية ـ من المتوقع أن تسعىٰ إلىٰ مقاومة المحتلين الغزاة بما يجعل العراق بعيدًا عن الاستقرار، وإذا انخرطت شريحة واسعة من الشعب العراقي في حركة المقاومة، فإن هذا يمكن أن يؤثر علىٰ نشاطات (إعادة بناء العراق) ويشكل مصدر تهديد لمصالح أمريكا وتعويق لمخططاتها.

كما أن القوىٰ والرموز التي تعول عليها أمريكا في تحقيق استقرار في العراق، إما أنها ليس لها قبول شعبي في الداخل كالمؤتمر الوطني العراقي وزعيمه أحمد الجلبي (صاحب سوابق ومحكوم عليه قضائيًا بالسجن ٢٢ عامًا والغرامة في قضايا اختلاس وإساءة الأمانة والاحتيال)، أو بينها تنافس وتناحر ـ لم يخمد إلا بالضغط الأمريكي ـ كالذي بين الحزبين الكرديين في الشمال، أو كالذي بينهما وبين فصائل المعارضة الأخرىٰ، وإما أن لها منافسًا أقوىٰ منها كالرموز الشيعية العلمانية أو المعلمنة التي ترتكز عليها أمريكا في الجنوب.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وإيران تعرف المخاطر التي تحيق بها، إضافة إلى أنها قد ترى في تطور الأحداث فرصة لإنجاز خطوة نحو تحقيق حلمها باتصال الهلال الشيعي الكبير الممتد من إيران عبر العراق والخليج حتى لبنان، وليس بمستبعد أن تسعى لزعزعة الأوضاع في العراق وتحقيق مكاسب لها على أرضه، وهي لا تعوزها القدرة على القيام بذلك، فهي تملك نفوذًا قويًا داخل فصائل المعارضة والقاعدة الشيعية في الجنوب، وتملك اتصالاً جغرافيًا ومذهبيًا بينها وبين جنوب العراق.

وبالتأكيد فإن أمريكا وبريطانيا يعيان هذه المطامع ويعيان أيضًا حجم هذا النفوذ، وإذا كانت إيران مكنت لأمريكا في السابق وباعت دماء المسلمين من أهل السنة في أفغانستان بل وفي العراق، فإن هذا لن يشفع لها لتتساهل أمريكا معها في مطامعها ومخاطرها في المنطقة، فالمتوقع أن يؤدي تضارب المصالح والمطامع بينهما في النهاية إلى التصادم والمواجهة، ولكن قد يختلف أسلوب المواجهة وأدواته، خاصة أن أمريكا لم تستنفذ كل جهودها بعد في محاولة تغيير النظام الإيراني من الداخل.

أما المواجهة داخل العراق فالمتوقع أن تعمل أمريكا مع معلمتها الاستعمارية (بريطانيا) على اتباع أسلوب (فرق تسد)، ومن غير المستبعد في هذا الإطار تغذية وإثارة التنافس بقوة على المرجعية الشيعية العالمية بين قم والنجف واستعمال بعض المرجعيات الدينية ـ بوعي منهم أو بغير وعي ـ في ذلك.

وهناك أيضًا تركيا التي لها الأقلية التركمانية في شمال العراق، وتريد أن يكون لها نصيب من الكعكة العراقية، كما أنها لن ترض

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

باقتراب الأكـراد من تحقيق أحلامهم في الشمـال قرب حدودها، ولا بد أن سيكون لها دور في الداخل العراقي أيضًا.

وإزاء هذه المـعطيات فـإنه ليس أمـام أمريكـا إلا تطبيق نمـوذج كرازاي أفغانسـتان معدل في العراق، حيث ستفـرض إدارة موالية لها بأسلوب ديمقراطي صوري، ولأنه يصعب أن يكون له قبول شعبي فلا مناص من تثبـيت هذا الحكم بأسلوب صدام حـسين وحـزب البعث وحراسته بالقوة العسكرية.

وإذا أخذنا في الاعتـبار هذه الأبعاد الداخلية والإقليمـية، إضافة إلى تضارب المصالح والتنافس بين القوى الدوليـة ـ المشار إليه سابقًا ـ فإن هـذه الأوضاع كلهـا تنبئ بأن منطقة (الشـرق الأوسط الكبـير) الممـتدة من آسـيا الوسطى وبحـر قزوين حـتى بحر العـرب جنوبًا، والأناضول والبحر المتوسط غـربًا، والصين شرقًا، والاتحاد الروسي شمالاً ـ وفي قـلبها العراق ـ سترتدي طابعًا دوليًا في شكل مـباشر، وستكون مجالا للمنافسة ـ أو لنزاع دولي ـ شديد التعقيد، ولا يستبعد في مثل هذه الحالة نشوء نوع من الحرب الباردة بين أمريكا ومنافسيها الرئيسيين في العـالم ـ وخاصة كتلة أصحاب المصـالح من المعارضة الأوروبية، وعلى رأسـها فـرنسا وروسيـا وألمانيا ـ بـسبب ذلك، مع توقع وجود حالة من عدم الاستقرار والاضطراب في المنطقة.

وفي النهايـة فإنه يحق لأي مراقب ومـحلل أن يتسـاءل: بعد أن ابتلعت أمريـكا العراق، هل تستطيع هـضمه؟.. هذا مـا ستوضـحه الأيام القادمة..

❁ ❁ ❁

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

هل أدينا الأمانة؟

١- من التولي يوم الزحف.

٢- فضيلة الشيخ سكوتي...

حمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

مِنَ التولي يوم الزحف (غ)

ماذا نقول عن جندي مقاتل يترك ساحة المعركة ـ من غير ضرورات تكتيكية ـ عندما يحمى الوطيس وتشتد الملحمة؟.. نقول عنه: إنه جبن وهرب وقت اللقاء، وهو فعل مشين عند أصحاب النخوة والرجولة، وزيادة على ذلك فهو عند المسلمين فعل مُتَوَعد عليه في الكتاب والسنة أكبر وعيد؛ حيث يقول (جل وعلا): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦]، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**».. وذكر فيهن «التولي يوم الزحف».

ولا يُغْني عن مقترف هذا الفعل أن يأتي (في غير يوم الزحف) ويستعرض مهاراته القتالية ويطلب النزال مع أشجع الناس، أو أن يتحسر على ذهاب العدو وعدم إعطائه فرصة أخرى لإظهار ثباته وإقدامه.

ومثل ذلك يقال عن الطبيب الذي يتخلى عن المرضى وقت الأوبئة والكوارث، ثم (يتطوع) لمعالجتهم بعد ذلك، أو عن الموسر الذي يبخل وقت المجاعات وأزمنة العسرة، ثم ينفق بسخاء وقت الرخاء والسعة.

(غ) ٩/ ١٤٢٢هـ - ١٢/ ١/ ٢٠٠١م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فهؤلاء جميعًا ـ والأمثلة في غيرهم كثيرة ـ لم يراعوا (واجب الوقت)، وكما يقول ابن القيم (رحمه الله): «فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه»[1]، وهو ما يعبر عنه آخرون بأن الإسلام عمل اللحظة الراهنة.

وبهذه المراعاة لواجب الوقت وعدم التخلف عنه برز من برز من الصحابة الشوامخ ﭫ؛ فتصديق أبي بكر ﭬ للرسول ﷺ في وقت لم يصدقه الناس لا يساويه تصديق آخر في وقت يدخل الناس فيه في دين الله أفواجًا، وصدع عمر ﭬ وجهره بالحق في وقت تشتد فيه سطوة أهل الباطل واستضعاف أهل الحق، لا يساويه إعلان الناس للحق في مجتمع يسوده ذلك الحق، وكذا يقال في مساندة السيدة خديجة ﭭ للنبي ﷺ وإنفاق أغنياء السابقين من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ﭫ، وهكذا يمكن النظر إلى كثير من مناقب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وقد أَعْظَم الله (عز وجل) هذا السبق كما جاء في قوله (تعالى): ﴿**لا يَسْتَوِي منكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [الحديد: ١٠]، وقَدَّره رسول الله ﷺ في أكثر من حديث.

بل إن رسول الله ﷺ كان يوجه عموم المسلمين إلى مثل ذلك، فجعل ﷺ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر؛ حيث

(١) مدارج السالكين، ١/ ٨٩.

حُمِّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حاجة الأمة وهذا السلطان في وقت الجور أشد منها وأوكد في غيره، إضافة إلى أن جور هذا السلطان قد يمنع كثيرين من القيام بهذا الواجب في هذا الوقت بخلاف ما لو كان عادلاً؛ حيث سيكثر الناصحون له لأمنهم من جوره، ولعل ذلك ما جعل من يقوم بهذه المهمة عند السلطان الجائر: أفضل الشهداء، لو قتله هذا السلطان.

وهكذا أيضًا فَهِمَ عامة الصحابة (واجب الوقت) وقاموا به بحسب ما يقتضيه هذا الوقت منهم، سواء أكان هذا الوقت وقت معركة أو وقت معاهدة؛ ففي أعقاب غزوة أحد اشرأبت أعناق المشركين وأرادوا أن يختموا تقدمهم العسكري بنصر معنوي ونفسي، فقال أبو سفيان ـ يُسمِع المسلمين ـ: اعلُ هُبَل. فقال النبي ﷺ: أجيبوه! قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلُّ. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه! قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم[1].

فما كان يغني عن المسلمين أن يصمتوا عن إجابة أبي سفيان ـ حتى ولو بذريعة الحكمة وعدم استفزاز العدو ـ ثم يرجعوا إلى المدينة ويهتفوا في طرقاتها: «الله أعلى وأجل»، و «الله مولانا ولا مولى لكم»؛ فواجب الرد كان وقت إعلان المشركين بباطلهم بعد المعركة، وليس وسط مسلمين يؤمنون بذلك.

وأثناء المفاوضات بين المسلمين والمشركين التي تمخض عنها معاهدة صلح الحديبية.. استعمل كل طرف ما يمكنه من أساليب

(١) انظر القصة بتمامها في: صحيح البخاري.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الضغط على الطرف الآخر للحصول على تنازلات، وكان من ذلك قول عروة بن مسعود الثقفي لرسول الله ﷺ: «فإني والله لا أرى وجوهًا، وإني لأرى أشوابًا من الناس [يقصد الصحابة] خليقًا أن يفروا ويدَعوك»، وفوق رد أبي بكر الحاسم عليه فإن الصحابة الكرام فَهِمُوا ما يمليه عليهم واجب الوقت وقاموا به خير قيام: «ثم إن عروة جعل يرمق النبي ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إليه النظر تعظيمًا له». ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعظمون الرسول ﷺ في كل وقت وكل حين، ولكن لم ينقل هذا التسابق الجماعي إلى مثل ما ذُكِر إلا في هذا الموطن فيما أعلم؛ لأن ذلك كان واجب الوقت في تلك اللحظة لهدف محدد تحقق بالفعل عندما «رجع [عروة] إلى أصحابه فقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمدًا»[1].

وإذا أردت أن تتأكد أن هذه الصور من (إظهار) التعظيم كانت مقصودة لتوصيل (هذه الرسالة) إلى قادة المشركين أثناء المفاوضات فراجع موقف هؤلاء الصحابة أنفسهم بعد عقد معاهدة الصلح مباشرة؛ حيث اعترض كثير منهم على بنودها التي أمضاها الرسول

(١) انظر القصة بتمامها في: صحيح البخاري، ومسند أحمد.

حملت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

ﷺ ، وامتنعوا في أول الأمر عن الاستجابة لأمر الرسول ﷺ بالتحلل من الإحرام حزنًا على عدم اعتمارهم بالبيت الحرام وأملاً في تراجع الرسول ﷺ عن العودة إلى المدينة من غير اعتمار. . إلى أن أفاقوا من ذلك وندموا عليه.

والمقصد هنا: أنه عندما تكون المواجهة مواجهة بين الخير والشر أو بين الحق والباطل، أو تكون مواجهة (حضارية) كما يقولون، فإنها تكون مواجهة متعددة الأبعاد ومتشعبة الاتجاهات، ويكون جنودها أيضًا متنوعين وأدواتها ومجالاتها كثيرة، ومن هذه المجالات الكثيرة مجال الدعوة والتوجيه والإعلام خاصة أوقات الفتن والمحن وانتشار الجهل والدعايات والدعوات المضادة، وجنود هذا المجال هم العلماء والدعاة والمفكرون، وأدواتهم هي الكلمة والنصيحة المكتوبة والمسموعة.

وكما يقال فإن الفتنة إذا أقبلت لم يعرفها إلا العاقل (أو العالم) وإذا أدبرت عرفها كل الناس، فإذا لم يقم هؤلاء بواجبهم من إرشاده الناس وقيادهم إلى الخير في ذلك الوقت فمن يقوم به غيرهم؟!، إنهم إذا نكصوا عن أدائهم لواجبهم في هذا الوقت الذي ينتظر الناس فيه كلمة أو توجيهًا منهم؛ فإنهم بذلك يكونون كمن تولى يوم الزحف؛ فهذا يوم زحفهم، وهذه ساحة معركتهم؛ فإذا فروا من أداء واجبهم فيه فسوف يتقدم العدو ليحتل عقول ونفوس المسلمين الذين كشفت ظهورهم الفكرية والمعنوية عندما فر الرماة بالحق؛ وعندما يفر هؤلاء فإنهم سوف يفقدون ثقة المسلمين فيهم فيما بعد، وسوف يبرز المخلَّفون والقاعدون والمتهورون على أنهم فرسان الساحة، وقد

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

حذر الله (عز وجل) من انحراف من سبقونا من أهل الكتاب عندما لم يقوموا ببيان دينه بوضوح وقوة، فقال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ثم لن ينفع أهل الحق والوسطية من هؤلاء العلماء والدعاة والمفكرين أن يقوموا في غير هذا الوقت بتوجيه الناس وتعليمهم عقيدتهم ودينهم وردهم على شبهات أعدائهم ونصحهم بسبل مواجهة الفتن؛ لأنه ـ كما يقول علماؤنا ـ: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ووقت الحاجة لم يقم فيه أهل البيان بالصدع بالبيان المطلوب.

إنهم إذا أخَّروا هذا البيان والتعليم لوقت لاحق ـ إن أدُّوه وقاموا به ـ إنما يكونون كهذا الأعرابي الذي سرق اللصوص إِبِلَه، فعاد إلى أهله قائلاً: سرقوا الإبل ولكني أوسعتهم سبًا!.. فعار أن يفوت وقت الواجب ولا يقوم أهل الحق بواجب وقتهم.. عار أن يولي بعضهم يوم الزحف!..

❁ ❁ ❁

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

فضيلة الشيخ (سكوتي) وبيان الأزهر (الإرهابي)(*)

في حادثة غير مسبوقة ـ وإن كانت غير مستغربة ـ هددت أوساط سياسية رسمية أمريكية بإدراج الأزهر ضمن ما تسميه بالمؤسسات الإرهابية؛ ففي التقرير الذي أعده (ريتشارد سكوتي) ـ وهو أحد مستشاري الخارجية الأمريكية ـ والذي نشرت بعض الصحف المصرية مقتطفات منه... شن حملة شعواء على الأزهر؛ معتبرًا «أن دور الأزهر الديني في العالم الإسلامي قد يتحول إلى قاطرة للعمليات الإرهابية ضد القوات الأمريكية في منطقة الخليج، وخاصة أن الإرهاب الفكري للأزهر معروف منذ قرون عدة»، وأضاف (سكوتي) أنه رَاجَعَ بنفسه العديد من فقهاء الأزهر طوال السنوات الماضية، وأن الأزهر ـ باستمرار ـ منظمة ذات طابع محافظ، تصدر البيانات أو ما يطلق عليه المسلمون (الفتاوى) ذات الأثر المحافظ الذي لا يشجع القيام بأعمال تخل بالسلام أو الاستقرار.

وقال: إن الإدارة الأمريكية مطالبة أكثر من أي وقت مضى بأن تتدخل بصورة حاسمة وقاطعة لدى الحكومة المصرية؛ حتى يصدر الأزهر بيانًا آخر يعتذر فيه عن هذا البيان الإرهابي، وإلا فإن الأزهر يجب أن يكون على قائمة المؤسسات الإرهابية التي تجب محاربتها!!.

(*) ٢/ ١٤٢٤هـ - ٤/ ٢٠٠٣م.

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

وقد أثار بيان الأزهر وتقرير الخارجة الأمـريكية ردود فعل مثيرة: ففضلاً عن مطالـبة الإدارة الأمريكية بممارسة ضـغوط على الحكومة المصرية، أجرى مسؤولون بالسفارتين الأمريكية والبريطانية في القاهرة اتصالات بالشيخ سيد أبو الوفا عجُّور ـ الأمين العام لمَجْمَع البحوث الإسلامـية، الـذي أصدر البـيان الأزهري (الإرهابي) ـ لحـمله على التـراجع عن البيـان، ولكن الشيخ رفض ذلك رفـضًا قـاطعًـا، وقال لمسؤولة ملف الشرق الأوسط بالسفـارة الأمريكية: «تراجعوا أنتم عن قرار الغزو؛ نتراجـع نحن عن البيان»، وسألها ساخـرًا عما إذا كانت تعرف سـاعة الصفـر لبدء الغزو؛ حـتى يقوم المـسلمون بالاستـعداد لهم!، وأكد الشيخ أبو الوفا أن البيان صـادر بإجماع علماء المجمع، وأنه لا يمكنه التراجع عنـه، وأنه يفخر أن يختم حـياته العمليـة قبل إحالته إلى التقاعد بالتوقيع على هذا البيان.

بقي أن يعرف القارئ ـ قبل أن نذكر المفارقات في تقرير مستشار الخارجية الأمريكية ـ شيئًا عن بيان الأزهر الذي أثار حفيظة الخارجية الأمريكيـة؛ فأهم فـقرة أثارت الإدارة الأمـريكية في بيـان الأزهر جاء فيها: «.. وفي ضـوء ما سبق يعتقد الجمـيع أن العدوان على العراق واقع لا محالة، وهنا وبمنطق وشـريعة الإسلام؛ أنه إذا نزل العدو في أرض المسلمين يُصـبح الجهاد فرض عين على كل مـسلم ومسلمة؛ لأن أمتنا العربية والمسلمة ستكون أمام غـزوة صليبية جديدة تستهدف الأرض، والعرض، والعقيدة، والوطن.

وبناءً عليه؛ فإن مَجْمَع البحـوث الإسلامية بالأزهر الشريف يدعو العرب والمسلمين في كل أنحاء العالم أن يكونوا على استعداد للدفاع

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عن أنفسهم وعن عقيدتهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، ويكونوا فوق ما يحيطهم من خلافات حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

ويدعو المجمع جميع العرب والمسلمين في كل أنحاء العالم ألا يهنوا وألا يضعفوا أمام هذا العدوان؛ لأن الحق (تبارك وتعالى) متكفل بنصرة دينه وإظهاره على الدين كله».

محتوى هذه الفقرة لم يكن جديداً على مسامع الإدارة الأمريكية، فقد تعددت أصوات علماء سابقين ولاحقين تنادي بمضمون هذه العبارات، ولكن ما أقلق هذه الإدارة اعتبارات أخرى خارج مضمون الكلام نفسه ـ وإن كان الكلام قويًا وصريحًا ومهمًا ـ:

* فقد أقلقها أن يصدر هذا الكلام عن أعلى هيئة علمية في أعلى مؤسسة دينية رسمية في العالم الإسلامي، وحسب تعبير (ريتشارد سكوتي): «إن بيان الأزهر يجب أن نقابله بجدية بالغة؛ لأنه صدر عن مؤسسة دينية كبرى في العالم الإسلامي ولها تاريخها، بل إن البعض يعتبر أن هذه المؤسسة تعادل وضع الڤاتيكان في أوروبا»، فصدور هذا البيان من الأزهر يعني شيوع مضمونه بين قطاعات كبيرة من عوام المسلمين في سائر أنحاء العالم الإسلامي الذين ليس لهم ارتباطات بفصائل العمل الإسلامي السياسي والجهادي، وهذا يعني عمليًا إمكانية ضم قطاعات من هؤلاء العوام إلى خندق العداء والمواجهة العملية مع أمريكا وقوات التحالف في المنطقة؛ تحت غطاء مشروعية دينية يطمئن إليها هؤلاء العوام. . وهذا ما أشار إليه (سكوتي) بقوله: «إن دور الأزهر الديني في العالم الإسلامي قد يتحول إلى قاطرة

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

للعمليات الإرهابية ضد القوات الأمريكية في منطقة الخليج».

* وأقلقها أيضًا أن يصدر هذا الكلام عن هيئة مشهود لها من جميع الأطراف ـ بما فيها أمريكا نفسها ـ بالاعتدال والبعد عن اتهامات التطرف والإرهاب، فالرئيس بوش كان قد استشهد في الخطاب الذي ألقاه صباح السبت في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السادسة والخمسين ـ عقب أحداث سبتمبر ـ بإعلان «شيخ الأزهر، أقدم جامعة إسلامية في العالم، أن الإرهاب داء، وأن الإسلام يحرّم قتل المدنيين الأبرياء».

ومجمع البحوث الذي أصدر هذا البيان هو نفسه الذي قررت لجنة العقيدة والفلسفة فيه منذ قليل العدول عن عقوبة قتل المرتد بعد استتابته ثلاثة أيام، وفتح الباب لتوبته طوال حياته؛ مما أثار كثيرًا من العلماء الآخرين.. وهو أيضًا الذي أصدر منذ وقت قريب فتوىٰ إباحة الفوائد البنكية محددة القيمة مسبقًا، وهو أمر أثار كذلك كثيرًا من العلماء الآخرين حتىٰ داخل الأزهر نفسه.

فصدور هذا البيان من هيئة علمية هذا حالها من (الاعتدال)؛ يعني أن محتوىٰ هذا البيان يمثل حدًا أدنىٰ في الإسلام لا يمكن التنازل عنه أو المساومة عليه، وهذا يعطي قوة ذاتية لمضمون هذا الكلام.

* وصدور هذا الكلام من هيئة علمية رسمية يضفي نوعًا من المصداقية والمرجعية لدىٰ العامة علىٰ (المفتين المارقين) الذين كان ينظر إليهم بعض العامة سابقًا بعين الشك والاستخفاف بقدراتهم العلمية، أما بعد أن تطابقت فتاواهم (المتحمسة) مع بيانات الهيئات الرزينة الراسخة و (المعتدلة)؛ فهذا يعني أنهم يصدرون عن أصول

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

علمية وليس عن أهواء نفسية.

* وإضافة إلى كون هذا البيان الصادر من مؤسسة دينية علمية رسمية يحرج المؤسسات السياسية الرسمية ويضعها في مأزق أمام شعوبها؛ فإنه يفضح ويعري أعضاء حزب (الشياطين الخرس) الذين كانوا يستترون وراء جدار الصمت المطبق، أما وقد تحطم هذا الجدار؛ فإنهم باتوا مكشوفين أمام أنفسهم وضمائرهم أولاً، ثم أمام متبوعيهم الذين كانوا ينتظرون منهم كلمة صدق وحق يبتغون بها وجه الله؛ في مرحلة مصيرية وأحداث حاسمة في حياة الأمة.

* تقرير (ريتشارد سكوتي) يحمل بوضوح صفاقة معتادة، وصلفًا يناسب الغطرسة الأمريكية الشائعة الآن في الخطاب السياسي للإدارة الحالية، وهو يعد تدخلاً، ليس في شؤون دولة أخرى فحسب، بل في شؤون ديانة عالمية ينتسب إليها أكثر من ربع تعداد البشرية، وفوق أنه يهدر ادعاءات حرية الرأي؛ فإنه يُظهر الرغبة الدائمة لدى الغرب وأذيالهم من العلمانيين المحليين في إقصاء الدين عن ساحة التوجيه والتأثير إذا كان ذلك لغير صالح سياساتهم، مع قبول تدخل الدين سياسيًا عندما يمكن استخدامه وتطويعه لصالح مخططاتهم وسياساتهم، وهذا ما يكشفه حرصهم السابق على الاستشهاد بفتاوى علماء الإسلام لمواجهة الاتجاهات الجهادية المعادية لأمريكا، ثم هجومهم الحاد على هذا البيان ومصدريه.

* ورغم كون البيان لا يعدو في حقيقته أكثر من تقرير حق مشروع لأي أمة في مواجهة عدو محتل غاصب يعتدي على بلد لم يناله منه أذى أو تهديد، ويستهدف منهج حياة شعوب وثروات بلدان المنطقة بأسرها، والتمكين للصهيونية والأصولية النصرانية، وهو

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

عدوان يظهر بوضوح لكل ذي عينين محايد حتى لو كان فرنسيًا أو ألمانيًا أو صينيًا. . . إلا أن الخارجية الأمريكية رأت فيه تحريضًا على الإرهاب يستدعي تحريك السفارات، والضغط على الحكومات، وممارسة كل أشكال الإرهاب السياسي.

ولكن الذي فات مستشار الخارجية الأمريكية أن مبدأ الولاء والبراء الذي يستند إليه ـ من غير تصريح ـ بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. .لم يخترعه ويبتدعه هذا المجمع، ولا الدعوة (الوهابية) المتهمة أيضًا سرًا وجهرًا بتهم التطرف والإرهاب، بل لم يبتدعه ويخترعه حتى الإسلام نفسه، فكل أمة وكل عقيدة تعرف هذا المبدأ وتطبقه، حتى أمريكا نفسها التي يشيع فيها الآن (من ليس معنا فهو ضدنا)؛ إلى حد اتهام بعض فناني هوليود المعارضين لغزو العراق بعدم الولاء، ووصمهم بانعدام الوطنية، إضافة إلى الدعوات الرائجة في البرامج الحوارية الإذاعية، وفي منتديات الحوار عبر الإنترنت، لمقاطعة أفلامهم وأشرطتهم الموسيقية. .

لم تكن أمة الإسلام بدعًا في تطبيق ذلك المبدأ، ولكن الإسلام الذي ينظم حياة هذه الأمة جعل محور الولاء والبراء على التوحيد والإيمان، وليس على العشيرة أو القبيلة أو العرق أو الأرض أو المصالح أو الفكر الوضعي. . أو غيرها من الروابط التي يتجمع عليها البشر والأنعام. . وهذا هو سر قوة الإسلام التي يرون أثرها من جاكرتا إلى طنجة، وهذا ما يخشون اشتعاله بهذا البيان أو بغيره. . لذا لزم التهديد ولزم الوعيد. . ولكن خفي عليهم أن الله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

❁ ❁ ❁

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)

الفهرس

الموضوع	الصفحة
استفتاح	٥ – ٧
أمريكا من أنت؟	٩ – ٨٢
١- ندوة لمحاولة فهم أمريكا	١١
٢- التحالف الأسود..GIA والمخدرات والصحافة	٦٣
٢٠٠١/٩/١١م.. انفجار الحدث والمشاعر	٨٣ – ١٩٨
١- الإسلامفوبيا والعدالة الأمريكية	٨٥
٢- فليستقل چورچ الثالث عشر	١١٩
٣- لماذا نكره أمريكا؟	١٢٧
وماذا بعد العراق؟	١٩٧ – ٣٠٣
١- خط الزمن في الأزمة العراقية	١٩٩
٢- حرب الخليج الثالثة.. الدوافع والمآلات	٢٣٧
هل أدينا الأمانة؟	٣٠٥ – ٣١٨
١- من التولي يوم الزحف	٣٠٧
٢- فضيلة الشيخ (سكوتي) وبيان الأزهر الإرهابي	٣١٣
الفهرس	٣١٩

☆☆ ☆ ☆☆

حمّلت هذه المادة من موقع مركز الفتوح للمعلومات (www.alfotuh.com)